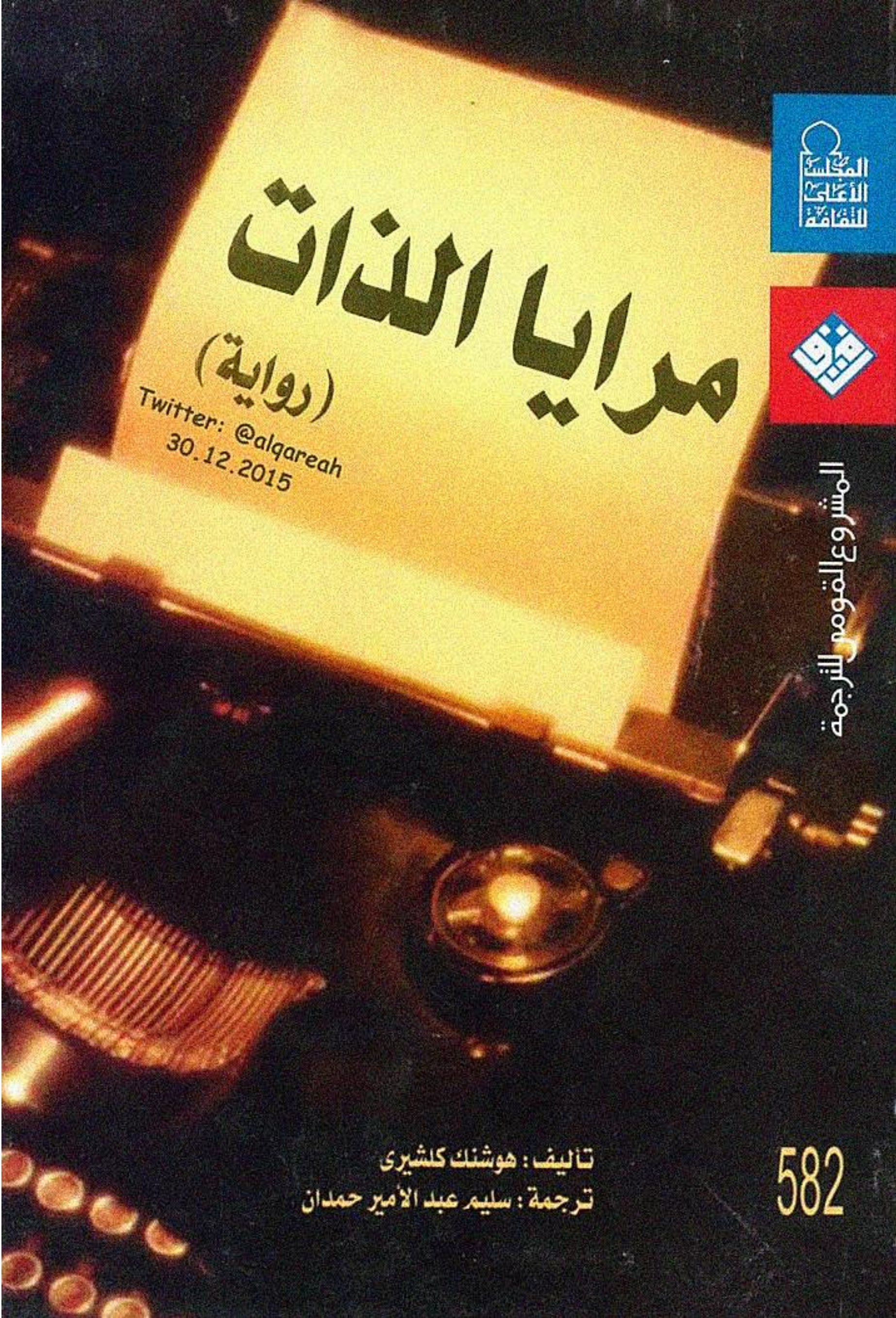


المجلس الأعلى للثقافة

مرايا الذات

(رواية)

Twitter: @alqareah
30.12.2015

المشروع القومي للترجمة

تأليف : هوشنك كلشيرى

ترجمة : سليم عبد الأمير حمدان

582

المشروع القومى للترجمة

مرايا الذات

(رواية)

تأليف

هوشنك گلشيرى

ترجمة

سليم عبد الأمير حمدان

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد :
- مرايا الذات
- هوشنك كلشيرى
- سليم عبد الأمير حمدان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة رواية
آينه هاى دردار
هوشنك كلشيرى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax** : 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تعريف

ولد هُوشَنْك گُلْشِيرى سنة ١٩٣٧ فى أصفهان ، ثانية المدن الكبرى فى إيران ، والتى كانت عاصمتها أيام الصفويين ، وقضى السنوات الخمس الأولى من طفولته فيها .

وانتقل ، مع العائلة ، إلى آبادان (عبّادان) سنة ١٩٤٢ ليقيم فيها نحو ثلاث عشرة سنة ، ويُتم فيها تعليمه الابتدائى والثانوى ، ليعود بعدها إلى أصفهان فيعمل فى أشغال يدوية مختلفة ، حتى ينتقل إلى طهران فيعمل كاتبًا فى مكتب توثيق عقود ، بينما هو يكمل دراسته .

وهو يعتبر سنى إقامته فى آبادان سنوات تكوينه الفكرى ، وفيها أو فى أصفهان - بعد عودته إليها - كتب بدايات شعره ؛ فقد بدأ شاعراً .

تعرف على أديب كان على اتصال بعدد من الأدباء ، فعرّفه على « أكثر مثقفى العصر تقدمية » ، عن طريق القراءة .

وعرّفه صديق آخر فى طهران على « الجمعية الأدبية » ، بينما كان هو يبحث عن « طريق أو موقع للنضال السياسى » ، ويبدو أن مناضلى تلك الأيام كانوا قد اتخذوا الجمعية ستاراً لنشاطهم السياسى ، مع أنهم كانوا يقرأون هناك الشعر ، ويجرون مناقشات أدبية أيضًا .

وفي طهران ، بعد دخوله كلية الآداب ، تعرف على مجلات العاصمة .

وإذ عمل - في دورة جامعية - على جمع التراث الشعبي ، فقد نظم قصيدة مقتفيًا بها خطا الشاعر الكبير أحمد شاملو ، فنشرت له في « الرسالة الجديدة » ، كما نشرت له دراسته « ألعاب أصفهان » . وقد أدى به التعرف على الجمعية إلى التعرف على حزب توده (الجماهير ، وهو الحزب الشيوعي الإيراني) ، الأمر الذي قاده إلى السجن في الشهور الأخيرة من سنة ١٩٦٢ .

ابتعد عن الحزب في السجن ، وبعد خروجه منه شكل ، مع عدد من الأدباء الشباب ، جمعية أدبية جديدة . وكان من أهم مبادرات هذه الجمعية وضع تقليد جديد : عقد لقاءات أسبوعية تقرأ فيها آخر أعمال الأعضاء ، وتتم مناقشتها. وقرأ كلشيري في هذه اللقاءات أشهر رواياته ، الأمير احتجاب ، التي سلمها بعد إتمامها إلى عضو آخر في الجمعية كي يسعى لنشرها ، فنشرت بعد انتظار أكثر من سنة (١٩٦٩) ، حين قوبلت « بصمت ، وبتقريظ منفرد » ، إلا أنها لقيت اهتمامًا ، بعد أن كتب عنها الناقد هاشمي نجاد ، حتى استقرت تمامًا .

اعتقل مرة أخرى في أصفهان في أواخر سنة ١٩٧٣ ، لمدة ستة أشهر ، دون أن يعرف السبب ، إلا أنه سمع فيما بعد أن بقية أمراء أصفهان (أمراء العائلة القاجارية المالكة قبل أسرة آل بهلوى) كانوا قد اشتكوه بصدد « الأمير احتجاب » إلى وزير البلاط أسد الله علَم - وهو أصفهاني أيضًا - فأمر بحبسه كي « يفركوا له أذنه » ، ولكن فرك الأذن كلفه

الحرمان من الحقوق المدنية لمدة خمس سنوات . وقد جرى منع إعادة نشرها ، رغم توسط إحسان نراقي - مشاور الشاه للشئون الثقافية ! .

ومنذ سنة ١٩٧٧ بدأت فعاليات مركز كُتّاب إيران ، واقترن اسمه بهذه الفعاليات ، حتى أواخر التسعينيات ؛ إذ جرت سلسلة الاغتيالات « الغامضة » للنشيطين فى هذا المركز ، حين جرت محاولة لاختطافه ! .

سافر إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٧٧ حيث قضى بضعة أشهر ، يلقى محاضرات وخطبًا ، ثم عاد إلى إيران بعد أسبوع من عودة آية الله الخمينى ، عاد إلى التعليم فى السنة التالية ، وتزوج فرزانه طاهرى - وهى مترجمة - فى السنة ذاتها ، ثم انتقلا إلى طهران ليعمل مدرسًا فى كلية الفنون الجميلة فترة قصيرة ، تقوم بعدها « الثورة الثقافية » التى يتقرر فيها فصله من الخدمة ! .

* * *

اشتهرت من أعماله ، إضافة إلى الأمير احتجاب ، روايته التى نترجمها هنا ، واسمها الأصلى : « المرايا ذوات الأبواب » ، ورواية أخرى باسم « كريستين وكيد » ، وقف النقاد منها موقفًا سلبيا ، كما كتب روايات لم تنشر بعد .

وإذا كانت الأمير احتجاب – كما قال كثيرون ممن كتبوا عنها – مثالاً لتداعى الخواطر والمونولوج الداخلى الخالصين فى الكتابة الروائية ، يشبهان ما استعمله فولكنر فى « الصخب والعنف » ، أو أفضل منه كما رأى بعضهم ، فإن هذا المثال يتضح فى المرايا – عندى – أفضل منه فى الأمير احتجاب .

ولما كانت اللغة الفارسية تخلو من التذكير والتأنيث ، فللقارئ أن يتصور صعوبة الرواية فى لغتها الأصلية .

* * *

كتب كلشيرى دراسات أدبية ، كثير منها فى الشعر ، واشتهر بكتابة القصة القصيرة ، التى أجد فيها - كما وجد أحد أصدقائه الكُتَّاب - أهم جزء فى أعماله الأدبية .

وعمل محررًا لصفحات أدبية فى مجلات ، ومسئولاً عن مجلات أخرى ، كما أصدر فى أواخر حياته مجلة « كارنامه » - صحيفة الأعمال الأدبية - الثقافية .

* * *

بعد وفاته فى سنة ٢٠٠٠ ، بادرت زوجته ، بمعونة عدد من أصدقائه ومريديه ، إلى تأسيس مؤسسة ثقافية باسمه ، نجحت خلال فترة قصيرة فى أن يكون لها صوت مسموع فى الحياة الأدبية فى إيران .

* * *

لم يشرح الكاتب الأسماء الكثيرة للأعلام والمواقع من أوروبا وفيها ؛ لأنه ليس من المعتاد - أولاً - أن يفعل كتاب الروايات ذلك ، ولأنه - ربما - أراد لقارئه أن يبحث عنها ، وأن يتعب ليجدها . ولأنى أميل إلى هذا الرأى ، فقد آثرت سلوك نهجه ذاته ، ولكننى شعرت أن أسماء الأعلام والمواقع ، وحتى بعض التعابير الفارسية ، تحتاج إلى إيضاح ، لا يجده القارئ العربى فيما حوله من كتب ومعاجم ؛ لذلك فقد أضفت إيضاحاتى لها .

وإذا كان لى أن أضيف هنا شيئًا ، فهو كلمة شكر خاصة لابنى غسان ، لقراءته المسودة الأولى والتنبيه على هفوات ونواقص ، لولا انتباهه وحرصه ما كانت هذه الترجمة تخرج بهذه الدقة والضبط .

سليم عبد الأمير حمدان

مرايا الذات

في مطار لندن ، لم يكن غلبه النوم بعد على مصطبة حين سمع أصواتًا ، ولامست يد كتفه أيضًا . كانا شرطيين طويلي القامة ، أحدهما يحمل جهاز إرسال واستقبال صغيراً . وسأل الآخر ، الذى كان قد لامس كتفه : لماذا نمت هنا ؟

- أنا منتظر طيرانى إلى برلين .

طلب جواز السفر . أعطاه . كان الآن واقفًا ، دائخًا من النعاس . وسأل الشرطى نفسه : تاريخ الميلاد ؟

ذكر التاريخ : ١٣٢٦ ، الذى يقابل ١٩٤٨ . لم يتذكر يوم وشهر الميلاد حتى بالشمسى (١) . قال : ليس لدينا حفل ميلاد كى نتذكر . كان ينبغى أن يقول : جيلنا أو أساسًا جئتُ إلى الدنيا خلال فترة انسلاخ أمى مرتين من مكانها ، ولم تكن أمى تتذكر كم شهرًا كان بقى حتى عيد تلك السنة حينما غلا الخبز مرة أخرى ، وكان أبى يبحث عن عمل . كان الآخر يُبلِّغ مكانًا ما بهويته ، سمع قوله : إيرانى ، حتى لا يعرف شهر ميلاده .

سأل : هل النوم هنا ممنوع ؟

فقال الآخر ، الذى كان يمسك دفتر ملاحظات يدون فيه : لا ، ولكن ليس مألوفًا .

أطبق عينيه ، قال : أنا متعب والطيران يستغرق خمس ساعات .

أخيرًا أعطاه جواز سفره . أشارا إلى الممر الذى ينبغى أن يجتازه بعد خمس ساعات من أجل الطيران : ينبغى أن تكون هناك .

ذهبا ، طويلان عريضا المناكب ، وهو الذى عنده شارب وقامته متوسطة ، وشعره أسود كث ، ولكن مع كثير من الشعرات البيض على صدغيه ووراء أذنيه ، وكانت علاماته المميزة فى جواز السفر النظارة فقط ، انطلق ، حاملاً حقيبة كتب على كتفه ، والكتابان اللذان فيها من كتابته أيضًا ، أخيرًا وجد مطعم المطار والمصرف . صرف خمسين دولارًا كى يتمكن من شراء قهوة وعلبة سجائر ، مع أنه كانت عنده سجائر . ثم جلس وراء منضدة : أنا موجود الآن .

كان يدرى أنه احتال ، لا على هؤلاء الذين كانوا جالسين عند طاولات هنا وهناك ، وكانت وجوههم وشعورهم وحتى ملابسهم تبدو لشرطة المطار عادية ، بل على نفسه . كان موجودًا ، وهو الآن موجود أيضًا ؛ إذ هو جالس ويكتب هذا بآلته الطابعة . من كان حقًا فى مطار طهران ، عند التفتيش ؟ أشار إلى كتبه ، وقال : أنا كاتب ، هذه بضعة كتب لى .

نظر إليه المأمور متعجبًا : كاتب ؟

مرة أخرى نظر إلى جواز سفره كي يقارن - ولابد - اسمه ولقبه بالاسم أسفل أحد كتبه . وماذا الآن ؟ في هذه الكتابات ، التي جمعت أخيراً في كتاب ، وصدرت أحياناً هنا وهناك ، لم يعد هو نفسه يذكر متى وأين ، أو أين كان ؟ أو أصله من أين ؟ هو الذي أعطى كل مرة قطعة منه لهذا وذاك، وقد تقاعد الآن كي يرى ما يفعل به في هذا السفر . كانت له هذه الحال نفسها في برلين الغربية ، مع أن أغلبهم كانوا يعرفون الإنجليزية ، فإنه كان له دليل - دائماً - من بين الأصدقاء ، وعندما كانوا يعبرون البوابة بين البرلينيين أيضاً ، كان جواز سفره مرة أخرى سبباً . كان يجب أن يتصلوا بمركز ما .

- ابن أية بلاد أنا ؟

قال هذا عندما رأى الصف الطويل لأهالي ألمانيا الشرقية وبولندا أمام محلات برلين الغربية . كان أولئك قد ضاعوا أيضاً . ما أن اجتازوا الجدار حتى مروا بأول مصرف ، وأخذوا خمسين ماركاً طُعماً ، ثم قاموا بجولة . رأوا كل تلك المواد الغذائية المغلفة ، ذهبوا إلى الطابق الثالث ولمسوا بأيديهم - خائفين مرتجفين - أبدان المكانس الكهربية وأجهزة التلفزيون وتسجيل الصوت الكبيرة والصغيرة ، وعادوا إلى ألمانيا الشرقية ، وإلى المجر ، كي يأتي غداً أو بعد غد آخرون ويأخذوا طُعم الخمسين ماركاً ، ويقوموا بشراء شيء ما كي يبيعوه أغلى هناك ، أو يتركوا مذياعهم على رف ما ، لا على منضدة ما كي يسمعوا الصوت الطليق لمذياع واهبي الخمسين ماركاً ، على نحو أفضل ، كي يأتوا أسرع مرة أخرى فيقفوا وراء الأبواب التي لا تزال مغلقة ، وفي أيديهم الأكياس .

كان هو - أيضًا - على هذه الحال ، أخذ مصروف السفر ، بالمارك ، وفى البداية كان قد قرأ فى برلين الغربية قصة عن الإيرانيين الموجودين هناك وعدد من الألمان ، سنة تسعين الميلادية ، ثم تجول فى المدينة ، وقرأ فى كل مكان شيئًا فى كولون وهانوفر وفرانكفورت وهامبورغ ، عن الإيرانيين الذين كانوا فى هذه المدينة ، الفارين من الحدود ، أو المقيمين فى هذه البلاد ، ثم ذهب بتأشيرة مرور صالحة لخمسة أيام إلى كوبنهاغن ، وقرأ قصة وشهد يوم أول أيار . كل أولئك الرجال والنساء الحاملين بالونات بأيديهم وحقائب الظهور ، التى لابد أنها ملأى بالأطعمة والمشروبات ، معلقة على ظهورهم أو مدلاة من عربات الأطفال . كما يمرون أحيانًا ممتطين الدراجات الهوائية ، والبالونات معقودة بالمقاود ، جميعهم أنصاف عراة ، مستعدون كى يتمددوا فيما بعد على النجيل الأخضر الناصع ، ويستمعوا إلى الموسيقى التى تبث من هنا وهناك ، ويتلمظوا لا طعامًا لذيذًا خفيفًا بل سموم أفاعيهم المزبدة ، ويتعرضوا للشمس . يا لصوت ذلك المغنى الرومانى :

المسكين جلس تحت شجرة قيقب

يتأوه ،

ويغنى : « صفصاف ، صفصاف ، صفصاف !» .

كان وضَع كفه على صدره

ورأسه على ركبتيه

مغنيًا : « صفصاف ، صفصاف ، صفصاف » .

كانت أغنيته هذه وحدها غرامية ، ويغنيها بالإنجليزية وكانت الأخرى ـ كما قالوا ـ بأية لغة ، كان يتحدث عن عمال العالم وعن الأيدى المعقدة ، والصفوف المحتشدة ، وفى الأخير غنى الصفصاف أيضًا :

وضع كفه على صدره

ورأسه على ركبتيه

ومرة أخرى يا عمال العالم اتحدوا ، وعندما انهار جدار قلعة البروليتاريا ، والآن أيضًا لا يزال ثمة هنا وهناك من جلسوا ، والإزميل باليد ، كى يكسروا قطعة من الجدار الخرسانى بين البرلينيين كى يُروها فيما بعد لأحفادهم أو يبيعوها فى الأسواق الشعبية التى كان الشرقيون يبيعون فيها كل شىء من الأوسمة إلى القبعة العسكرية والشمعدانات إلى كتبٍ من طبع موسكو . أين حضر احتفال أول أيار لآخر مرة ؟ أين كان بحيث بقى بين الدخان والأوراق المحترقة والغاز المسيل للدموع ، فى المكان الخالى لأولئك الذين كانوا يرتدون جاكتات عمل ، ويرمون النار وهم جالسون أو واقفون ؟ انطلق نحو لابسى الملابس الفوقانية . كان يسير بحذاء الجدول . قال واحد : ابتعد ، يا أخ ! .

تلك النظارة واللباس الفوقانى واللحية الكروية صارت سياجه ، وهو الآن يمضى من مدينة إلى مدينة ، ويقرأ فى كل مدينة قصة ، عن

تلك السنوات وهذه السنوات ، ومـرة أخـرى يتـعـرف على خطهـا بين الأسئلة . على نـوع الورق نفسـه ، وكله مـخطط ، بخطوط زرقـاء وعلى شكل مربعات . رأى أول ملحوظة فى برلين الغربية . كان مكتوبًا على أعلى الصفـحة ، بخط النستعليق [٢] : « لا تقرأ ، خصوصى » . وينص أدناه ، بخط الشكسته [٣] : « أنا معرفة قديـمة ، من سنوات ماضية ، لا أنتظر أن تعرفنى ، ولكن إن كنت موجـوداً تلفن غـداً » . وكانت قـد أعطت أيضًا رقم الهاتف .

نظر إلى الحشد ، إلى الـرءوس ، إلى الشعر الأسـود والمنـشـور أو التـمرى ، وحـتى المصبوغ والأشـقر ، وإلى الجبـهـة العـالية والوجـه العبوس الذى وضع يداً على الخد ، بشارب كث ، وراح ينظر إليه . كان أسمر غامق اللون ، ونحيلاً ، واحداً مـثل فرج ، أو طاهر الذى بـقى ، أو الذى كان لا يزال حيًا وينظر إليه - حتمًا ، بشـك متسـائلاً كيـف أنه لا يزال حيًا ، أو أنه يكتب فى الأقل عما صار ترابًا ؟ لا ، لم يكـن معرفة . ترك الدفتر جانبًا .

كان قد تلفن فى الصباح الباكر . رفع أحدهـم صوت السماعة . قـال : « هلو » لم يأت صـوت . حـتى أصـوات الأنفـاس . قـال مـرة أخـرى : « هلو ، أنا ، ذلك المعرفـة القـديم إياه » ، ومـرة أخـرى لم يأت صوت . عسى ألا يكونوا يتلاعبون به مرة أخرى . دعك الورقة ، ولكنه لم يلقها جانبًا . سوّاها ووضعها فى الجيب الصغير لحقيبته اليدوية ، قـرب المرآة ذات باب المينا . قـال : « أنا خلف هذا البـاب » ورأى الملحوظة الثانية فى كولون . بخط النستعليق فى أعلى الصفـحة كان مكتوبًا « يمكنك أن تقرأ ، ليس خصوصيًا » .

ولكن السؤال كان خصوصيًا ، يسأل عن أكثر اللحظات خصوصية فى إحدى قصصه التى قلّ من قرأوها ، أو على الأقل قلّ من فهموها . ما كان بمقدوره أن يجيب ! لم يتذكر فى البدء ، ولكنه قال : أحيانًا لا يدرى المرء بأين ، أو بمن تتعلق بعض الأشياء ؟ نكتب كى نتذكر وأحيانًا عندما نتأكد من ذلك الجزء الذى عاد إلى الذاكرة نصيغ له زمانًا ومكانًا . وفى بعض الأحيان أيضًا نخيط شيئًا مثل رقعة على قماش ؛ كى نغطى تلك القطعة العارية ، ولكننا نفهم فيما بعد أن ذلك العرى لا يزال موجوداً .

عندما كان يتحدث عن العرى ، تذكر فجأة ، أخرج الكتاب من حقيبته ، وجد قصة « العرس » القصيرة . عرض خلاصة القصة وقرأ مقطوعة أيضًا :

كانوا قد أمسكوا أمامها مرآة بالحجم الطبيعى وأخذوا يتراجعون رويدًا رويدًا حتى بلغوا الباب . لم تكن رأت وجهها ، وعندما أمالوا المرآة كى يخرجوها من الباب ، لم ترَ وجهها مرة أخرى . كانت لا ترى غير ساقيها ، وتنورة عرسها البيضاء الطويلة ، والوردة التى كانت فى يدها اليمنى . توثبت كى ترى من أعلى الباب وجهها . لم تره . ربما ؛ لأنها خشيت أن تسقط ، أو أساسًا لأنها كانت تبكى . جلست ودلّت ساقيها من أعلى الجدار وأمسكت ، بكلتا يديها من وراء ، الجدار . وعندما ظهر فى إطار الباب لم تره أيضًا ؛

لأن وجهها كان وراء التول ، أو لأنها كانت تزوقت كل ذلك الزواق . أغمضت عينيها . قبل خمس سنوات ، عندما زوقتها أختها ، صفيه ، بأحمرَ نشلته من أمها ، كانت أجمل منها الآن ، لأنها كانت ألصقت ترترة خضراء بين حاجبيها .

عندما فتحت عينيها أمسكت بالمرآة مرة أخرى ، ولكن رأسها كان ظاهرًا : نصف تاجها وشعرها المنشور على كتفيها وليس لون عينيها ، أو الخال على خدها الذى يقع ، عندما تضحك ، فى نقرة ما تحت ذقنها . حتى إذا ما كانت تضحك ، أو تفتح فمها كى تقول شيئًا ، لم تكن ترى أسنانها لأن الأضواء التى كانت مثل نصف تاج فوق رأسها تجعل وجهها منيرًا على الدوام . صاحت : بانو !

لم تسمع ، أو أنها كانت ، كالآن ، تنظر إلى العريس الذى كان قد وصل ، من الطريق الذى فتحه له الناس ، إلى أمامها وكانت فى يده - أيضًا - رمانة كانت رأته بضع مرات ، يأتى إلى بيت أهل بانو ثم يخرج مع بانو وأمها ويركبون حافلة . كان عنده شارب . كان أطول منها. كان أنيقًا . غالبًا ما يشد رباط عنق ، فى أيام الجمعة كان يأتى قبل الظهر ويبقى فى بيتهم حتى المغرب . جلس ذات يوم فى رأس الزقاق أمدًا حتى جاءت . كان يفرق شعره . ويضع زيتًا . كان

جالسًا على جدار الجسر وقد كوم الحصى قرب يده . وضع الهدف على حافة الجدار . علبة صفيح . عندما رآها وضع حصاة فى كفة المصيدة وسدد . كان للعريس فاصلة إلى رأس الزقاق . لم تكن تظن أنه سيصيب بهذه السهولة . ركض ووضع العلبة فى مكانها . كان العريس قد بلغ الآن رأس الزقاق . وقف مديرًا لها ظهره قليلاً وسدد . كانت مضطرة أن تمر من بين هذين الجدارين . بهذه العين الواحدة رآها تأتى نحوه . تراجع إلى الوراء كى لا تتمكن من الدخول من ورائه . عندما وازن العلبة بين ساقى المصيدة ، رأى أنها قد وقفت . بقى هو أيضًا ينتظر . قال العريس : أتسمعين ؟

ضرب وهذه المرة حمل حفنة حصى ووضع إحداها فى كفة المصيدة وشد الساقين ، وكان قد أقذع أيضًا بصوت مكتوم . كانت ترى حذاءيه المدهونين اللذين كان وضعهما مصفوفين . هذه المرة أقذع بصوت أعلى ووضع حصاة أخرى فى الكفة . قال العريس : لا أظن أنه يمكن التصويب على هذا البعد .

نظر إليه . ابتسم . كان شاربه مجرد خط أسود فوق شفته . وكان فى يده أيضًا سلسلة يلفها حول أصبعه . قال : يجب ألا ترتجف يدك .

كان يقـول حقًـا . كانت العلبـة تصعد وتهـبط على نحو سيئ بين ساقى المصيدة . قال : ليس لأحد شأن .

كـانت خطـى تأتى نحـوه . قـــال : ثم إنـــه يجب ألا تتعطـل إلى هذا القدر ، فليس هناك عـصفـور يبقى كل هذا الوقت فى مكان واحد .

صوب دقـيــقًا فى وسط العـلبة ، وسقطت الـعلبة عند أســفــل الجــدار . قـــال العـريـس : هذا هو رمى الحصاة .

مـرة أخـرى وضع حـصــاة فى الكفـة وشـد . قـال العريس : اسمح لى أن أضعها فى محلها .

لم يكن ينظر إليـها . لا ينظر إلا للعلبـة التى وازنها بين الساقـين ، ظهرت أولاً يده بين الساقـين ، ثم بياض مـا وراء عنقـه . كان يلبس يـاقة منشــاة ، وظهـرت أذنه أيضًا التى كانت بكل تلك الحمرة .

وهذا مـا وقع بـحـيث لـم تعـد قــادرة أن تجلس فى رأس الزقاق . وفى كل مرة بانو تأتى فيـها كانت تخرج بذريعة ما . وقد جـاءت الآن على الجدار كى تراه لآخر مرة .

قــرأ إلى هـــذا الحــد . قـــال : أترى ؟ هذا هو . ولكن ، فى واقع الأمر ، إن الشباب ليفكر ، بسبب هذا الجدار بالذات ، إنه لو كان قد

جلب المصيدة لكان أصاب تلك الرمانة فى يد العريس ، أو يصيب تماماً ظهر اليد التى رفعت الرمانة إلى أعلى كى يضرب دقيقًا أمام قدمى العروس .

فى هانوفر قرأ قسمًا من رواية لم يكن كتب إلا فصلاً واحداً منها ، واحتار فى الفصل الثانى ما يفعل بالمرأة الآن وقد انفصلت عن زوجها وتنازلت له عن حضانة الأطفال راضية راغبة وجاءت إلى بيت أبيها ، إلى غرفتها أيام صباها كى تبدأ مجدداً ، وفى سن الثانية والأربعين . يجب أن تجد بيتًا مستقلاً ، ولكن بدلات الإيجار عالية ، ولم يكن عندها توفير ما ، وكانت قد تنازلت عن مهرها أيضًا : مهرى حلال ، وروحى حرة [٤] .

دوّن ملاحظة كى يتحدث عن اللاصق خلف النافذة ويتحدث أيضًا عن شيخ كان يأتى فى تلك الأيام ، حين كان هو فى الرابعة عشرة من عمره ، فيلعب بالميل [٥] ويعرض تكوير العضد وهو الآن يأتى عصر كل يوم فيسقى حديقته ماء ، ثم يجلس عند حافة الإيوان ويُخرج نصف سيجارة من علبة سجائره ، وحتى أنه لا يرفع رأسه كى يراها متمددة على بطنها على سرير أيام صباها إياه ، واضعة يدها تحت ذقنها ، وينظر إليها . وماذا بعد ؟

عند الاستراحة صنف الأسئلة أولاً ، ثم فر الأوراق ، ثم كتب على المربع نفسه ، بخط النستعليق ذاته : لو أن أحداث حيوات الناس ، الجيدة أو السيئة ، لها بالنسبة للكاتب حكم المواد الأولية ، أفيمكن الاستنتاج بأنه مضطر أن يقوم دائمًا بدور الزوج أو الأب أو حتى

الكاتب ولهذا السبب فهو فى الأغلب غير موفق فى حياته الخصوصية ، فهو ليس أبًا جيدًا ، ولا صديقًا جيدًا ؟

وكتب أيضًا فى أدنى الصفحة : اقرأ قصة « مريم » مرة أخرى ، رجاء .

لماذا « مريم » ؟ أخرج من حقيبته مجموعته القصصية القصيرة الأولى . تذكر . يقول شخص اسمه « صَفَر » إنهم أرادوا أن يأخذوا مع أولاد المحلة « يدو » ، الذى يعنى : يد الله ، إلى الماخور . عندما يصلون ، يدلونه على بوابة الدخول والساقية المليئة وحلاً ، ثم النساء الجالسات على الصفّات . يشترون من بائع الكبدة سيخًا أو اثنين من الكبدة مع نصف رغيف خبز ويأكلنه . ثم يقفلن دراجتهن أخيراً بمكان ما ويمررن بالبيوت . كان ثمة حوض فى الوسط ، ويضع مصطبات أو أسرة حوله ، ونساء نصف عاريات ، فى أيديهن المراوح ، يلكن اللبان أو يدخّنّ السجاير ، لا يبقى إلاّ يدو إذ لا يقدر . ولما مروا ببضعة بيوت أخرى لم يذهب يدو مرة أخرى . وعندما يعدن ، قريب البوابة ، يقول يدو فجأة : إننى أذهب مع هذه .

> **كانت المرأة تجلس على صفة أمام الباب . غطت فخذاها كل الصفة ، أغمض يدو عينه ، وقال : ابقوا أنتم هنا ، سأعود حالاً .**
>
> **يدخل مع المرأة . ويبقون هم فيضحكون ، ويمزحون أنْ : مسكين يدو . يأتى – أخيرًا – أشعث**

الشعـر ومحمر العـينين من البكاء . فى الطريق لا ينبس بحرف ، ولكنه يتقيأ مرة أو مرتين ، كما لو كان يريد أن يقـذف أحـشـاءه إلى الخـارج . عندمـا يبلغـون بيتـهم ويذهب الآخرون ، يسأل صفر : ولكن لماذا مع تلك ؟

ـ من أجل ذلك الخال فوق الشفة .

ـ ماذا ؟

ـ عندما كنا نأكل الكبدة رأيتـها . كانت تضع أسلة أصبـعها فى فـمهـا ، وتعضهـا ثم تضعـها قرب خـالها وتنظر إلىّ . وفى الآخر مدت لسانها .

ـ طيب . كلهن يفعلن هذه الأمور ، ليس هـذا سببًا لكيلا لا تكف عن الاستفراغ!

ـ كان زائفًا .

ـ وليكن .

ـ لا ، ليس هذا فقط .

ـ ماذا أيضًا ؟

ـ اسمها أيضًا لم يكن مريم .

ـ أفناديتها مريم ؟

– نعم – طبعًا – ثم انتـابنى البكاء ولم يصر كانت

هى نائمة هناك ، على السرير بساقيها ، وبما لا أعلم أى شىء منها ، وكنت أنـا - أيضًا - واقفًا أمامها أبكـى . قـالت : « حسنًا ، أصير مريمك » . ثم نهضت فـجأة نحوى . مسدت شعرى وواصلت السؤال . فرويت لها ، قلت لها كل شىء . ثم عندما أردت أن أقبلها لم تدعنى ، قالت : « لا على شفتى ، تنمسح ، بارك الله فيك ، أيها الفتى الطيب » .

ـ طيب ، وبعد ذلك ؟

ـ عندما كنت ألبس ملابسى ، قالت : « تعال أيضًا علىّ ، سأضع خالى هذه المرة فى الموقع إياه الذى تحبه » .

ـ أين ؟

ـ تحت ذقنها ، فى المكان ذاته الذى تنحفر فيه نقرة عندما تضحك .

لم يستطع أن يقرأ هذه . كانت زوجته قد تلفنت أمس بالذات ، تقول : البنات نائمات .

ـ وماذا عن سهراب ؟

ـ هذا نام فى رأس التاسعة .

ثم قالت أيضًا : اعتن بنفسك ، على فكرة ، لا تنس أن تجيب على رسالة سيمين ، ولا تنس قولك : ليلة بليلة ، اكتب كل شىء .

كان عندها قرب شحمة الأذن اليسرى خال لحمى ، وعلى ظهرها كانت نقطة سوداء ، مثل حبة المواشى ، عندما تنام مولية إياه ظهرها ، تجمع ذهنه المشتت وتحمله إلى نوم بلا كابوس . قال : أنا متعب جداً ، لكثرة ما أرى من البشر ، ولكثرة ما أتكلم ، ولكننى مضطر ، يجب أن أعرف بما يجرى فى الدنيا ، فلربما فعلت شيئًا ما بشأنه فيما بعد .

ـ لا ، لا تتوهم ، وقته الآن بالضبط ، اكتبه فى دفتر تقويمك هذا لا أقل ، قبل النوم .

عند السؤال والجواب كان دائمًا قلقًا من عنينين يدرى أنهما تبعثان الاضطراب فى أحلامه ، أو تعيدانه مرة أخرى إلى وادى الروح المضبٍّ ذاك نفسه والرسوم على الماء التى ينبغى تسمية وسطها بالشعر وفمها بالنقطة . ثم ، لماذا يتشددون معه إلى هذا الحد ؟ أفلم يسبق لأسلافه أن كانوا ، طوال قرون ، وحتى فى اليقظة ، يرون هذه الأحلام ؟ مرة أخرى سألوا ، فى الأغلب عن المسئولية ومرة أخرى . . وقال هو أيضًا الكلام ذاته : نعم ، نحن كذلك ، الواقع هو نقطة انطلاقنا على الأغلب ، ولكن كتابة قصة يكون أحيانًا تشكيل كابوس فردى ، جهدا لتذكر ، وحتى لتثبيت ، حلم نسيناه ، ويمكن أحيانًا أن نتمكن بهذه الأعمال ، ذاتها ، أن نعرض كوابيسنا الجمعية أيضًا ، إذ ربما يصير مبطل سحرها ثمالة بدواتنا . أفليس أننا ما لم نر الشيء عيانًا لا يمكننا أن نتغلب عليه ؟ حسنًا ، كاتب القصة يستحضر أحيانًا أرواحنا الخبيثة ، يجسدها ويقول : « أنتم الآن وشأنكم ، هؤلاء أنتم وهذا جنّكم» .

حسنًا ، كان كلامه هذا يثير ضجة فى الغالب . كان مرًا ، كانوا يريدون تغيير الدنيا ، ولكن الدنيا صارت ما صارته بالضبط وهم الآن - فى هذه المدينة ، فى بيوت ذوات غرفة واحدة ، أو فى أكثر حد اثنتين ، وأحيانًا مع زوجاتهم وأطفالهم - يحيون ، بمرتب حدده رأسمالى ما ، ويشتغل بعضهم - أيضًا - وقد شاهد ذلك - شغلاً غير قانونى ، غسل صحون فى الأغلب ، وتصير النساء مربيات أطفال ، إن أيّد أحدٌ صلاحهن للعمل . مرضيه ، يعرفها ، لا تزال تلبس السواد وكان طفلها ابن تسع سنوات ، ولا يعرف من الفارسية غير كلمتين أو ثلاث . كان هناك - غالبًا - رفيق لعب ابنه سهراب . كانت هى أيضًا مُرّة وتصير أكثر مرارة . كانت تقول : ربما تكون نسيت ، ولكننى لا أزال أتذكر ، عضلة الساعد التى كانت بهذا الحجم ، وكيف أنك كنت تعتب وتوجه الخطاب دائمًا لإنسان لابد أنه يلبس نظارة - مثلى - وعنده حقيبة - مثلى - ويتكلم بالنحوى ، مثلى .

وفى الأخير ينجر إلى جدل لفظى وينتقع جبينه عرقًا ، ويعكر نظارته فلا يعود يميز أى وجه فى مقابله . خلع نظارته ، قال : وهذا هو السؤال الأخير . يسألون : « لماذا لست صادقًا ؟ » ، فأسأل : مع من ؟ لابد أنكم تقولون : معنا . حسنًا ليكن ، ولكن أين معيار الصدق ؟ لا ينبغى أن يقبل سماع شهادة الكاتب نفسه ، تبقى شهادة القراء التى ستكون متناقضة . يعتمدون هنا ، ظاهرًا ، على قسم الكاتب ، ولكن فى نظرى ليست نيته ،بل عمله مناط الاعتبار ، أما تأليفه ، فلا يمكن قياسه بمعيار الصدق ، لأن كل جملة فيه ليست هى ما كانت فى الواقع .

ثم قال : نعود الآن إلى الكاتب نفسه ، أيمكنه أن يكون صديقًا جيدًا ، أو أبًا جيدًا أو معشوقًا ، أو عاشقًا جيدًا ، عندما يكون هو ذاته والآخر أيضًا المواد الأولية للأعمال التى يقوم بتحريرها ، أو لأعماله المقبلة ، وأسهل من ذلك : ألا يرى الكاتبُ الناسَ أشياءً فى الحقيقة ، إنه يفعل ذلك غالبًا ، لأنه مضطر إلى الابتعاد عنهم ليجعلهم أبناءً كليين أو معشوقات عامات ، ولكن فى الوقت عينه ، لأنه يريد أن يرى هؤلاء من الداخل أيضًا ، يصيرون إذن الابن الفرد ، المعشوق الذى لا بديل عنه ، والخ . . هذا التردد بين الكلى والجزئى هو الذى يجعله يبدو متناقضًا : هو أب رحيم ، وفظ ، هو معشوق مخلص وكثير النسيان أيضًا . وأخيرًا ، فإن هذا الكلام مؤلم بالنسبة للأقرباء والعائلة ، ولا علاقة له بدنيا النقد . اسمع منى ، لا تصر أبدًا ابن ، أو زوج ، أو زوجة ، أو حتى صديقَ كاتبٍ . زد غبا تزدد حبًا .

وضحك . ما هذا الكلام الذى يقوله ؟ أمام أية محكمة يدافع عن نفسه ؟ مرة أخرى نظر إلى الورقة . عسى ألا تكون قد تعطرت أيضًا ؟ لا يمكنه أن يشم الآن . قال : اكتبوا لماذا هم على هذا القدر من الغم ؟

لم يكن كتب لماذا . كان مهمومًا ، كأنه فى مكان ما أزيح غبار عن نعش ما ، وهو يرى أن سبّابة أو خصلة شعر معروفة وشيئًا كقطعة صخر معلقة فى وسط صدره . قال : نعم ، نحن مهمومون ، أو أننى أنا مهموم ، أدرى ، ولكن هذه هى الحال . ربما أمكن للجيل التالى أن يتحدث عن الأشياء السعيدة ، أن يتحدث عن العلف أيضًا ، عن العلف نفسه الذى لسنا شيئًا إزاءه ، عن جدول ماء ، عن بحيرة يغطى

سطحـهـا بـأكـمـلـه فـى يوم مـشـمـس مـا مـوج دقـيـق ، دون أن يهب أى نسيم .

نظر إلى الحـشـد . كـان ثـمـة ضـبـاب . أو ربما كان ينظر من وراء زجـاجـة يعلوها بخـار . كـان يدرى أنه أينمـا جلس يكون هـو وحـده مـخـاطبـهـا . قـالت : فى أواخـر أيام قصف الصواريخ انتـبـهنا إلى أن الورد الأحـمـر أورق ورقًا أخـضـر ناصـعًا وصـغـيـرًا . وتفـتـحت براعـمـه . دون أن يكون ثمة من رآهـا ، وعلى سيقان الرمان العارية فار ورق أحمر دقيق ، كأنه لا يهـم إن كان ثمة ناس أو لم يكونوا . وإضافة إلى ذلك فقد صارت القطط من النحافة ، وتتعلق بأقدام المرء ، وتموء بأصوات حادة وممطوطة ، بحـيث تذوب أفـئـدتـنـا لكوننا غـربـاء فى حـفـل الربيع هذا ، ولكننى أظن الآن أن الربيـــع ربما كـان مـحـقًّـا ، بتلـك السـيـقـان الجـرداء . ثـمـة على هذه الأرض المـتـدة شـىء يسـتـمـر رغـمًـا عنا ، إن التنفس ليس موكولاً – حقًا – بكوننا موجودين ، وهذا جيد ، جيد إذ أن التجلى لم يُربط بغمنا وفرحنا ، جيد لأن غمنا ، حسب قول الشاعر « وكان غـمـك كـالنـار فـيـه دخـان» ، لا دخـان له ، كى يبـقـى العـالم خـالداً فى ظلامه .

كـان ينبـغى أن يقـول : يجب أيـضًا أن نُبقـى جوهـر السم المرّ لزمـاننا فى حناجرنا ، ونترك الآخرين الذين يأتون بعدنا يُطرّون حناجـرهـم بجوهر سمّهم .

لكنه قـال : إننا لم نفـعل شـيـئًا فى تقديس أن نكون أنفسنا ذاتها . عندمـا كـانوا يصـفقـون قـال لنفسـه : ينبـغى أن أفـعل وتذكـر العـهـد الذى

كان قطعه لمينا . فى الليلتين أو الثلاث الأولى فقط كان كتب عناوين الأحداث . ولكنه لم يكن ذكر شيئًا عن الملاحظات .

وبعد الجلسة بقى بعض الوقت ، ولكنه مرة أخرى لم يرها . عنده ثلاثة أيام حتى الجلسة التالية . لم يكن يأمل أن يراها خارج هذه الجلسات ، ولكنه بقى . فى الليلة الأولى كان ضيف المنظمين ، وكانت مرضيه حاضرة أيضًا ، ترتدى السواد . قالت : جئت من أجلك ، فأنا لا أشترك عادة فى هذه الجلسات الثقافية .

كان يدرى أنه إذ يذهب هناك ، بهذا اللباس إياه ، يتكلم فى البدء ، وعن الجبل والشمس وحتى الربيع يتحدث إزاء شىء آخر ، ثم يذهب فيجلس ساكتًا ، كما يجلس الآن : يد تحت الذقن ، بعينين سوداوين ترطّبتا دمعًا ، محدقتين إلى أولئك الذين نسوا أن حسينًا لا يأتى حتى ليلاً ، وأنه يبقى صاحيًا حتى الصباح ، عينه على الستارة المعلقة أمام الزقاق ، منتظرًا أن تتلون مرة أخرى بلون ما قبل الشروق الباهت ،ويميز أخيرًا ما بين زهرية القبلات وخضرة الأوراق الداكنة .

قالت : فى النهارات عندما آخذ سينا إلى المدرسة أنطلق فأذهب ، أذهب هكذا ، ثم أرانى فى مكان لا أعرفه ، واقفة أمام معرض لم أره ، أنظر إلى الواجهة ، إلى الأشياء التى وضعوها خلفها . حسنًا ، ما يعنينى أن المحل أجرى تنزيلات ، أو ما هو سعر آلة التصوير تلك ، ولكننى مع ذلك أقف وأنظر ، وحتى أذهب أحيانًا إلى معرض فأسأل عن قيمة شىء فى المتنزهات أجلس

على مـصطبـة ، كـأننى أنتظر أحـداً ، ومـرة أخـرى أنطلق ، وأحـيـانًا آكل الشطيـرة التى فى حـقـيبتى ، وأذهب مـرة أخرى . حـسنًا ، هذه هى الحال .

لم ينم إلى وقت متـأخر من الليل . كان يفكر دائمًا بفرج الذى كان يظن أنـه لابد فى هذه الأنـحـاء ، دقـيق وأسـود السـحنة ، كـمـا لو كـان صبيًا فى العاشرة أو الثالثة عشرة . فى الغد سـأل : حسنًا ، يا خالى العزيز ، ما البرنامج ؟

ـ هنا بستان يقولون إنه لا نظير له فى أوربا .

ـ وماذا أيضًا ؟

ـ فيه حجرة زهور .

ـ وماذا أيضًا ؟

ـ وفيه حديقة حيوانات ومركز مشتريات ، وثمة فى هذه الأنحاء بحيرة يسمونها بحر « شْتاين هوده » .

سأل : من أين ينبغى البدء ؟

ـ البستان قريب من هنا ، وحجرة الزهور مقابله .

فى بستان هرن هاوزن كانت الأشجار جميعًا فى صف منتظم ، كما مكعبات خضراء غامقة على جذوع الأشجار الجرداء . قال حميد : أنشئت فى زمان هتلر .

على امتداد ميدان واسع ارتسمت رسوم من الزهور والنباتات . كان لكل زهرة أو ورقة بساقها الأخضر مكان ، وفى المنحنيات جرى تعديل ذؤابات الجنبات ، أو أعواد الزهور بحاجز . رقيا السلالم ، والتقطا تصويراً جنب تمثال أو تمثالين . كان تورج هناك أيضًا ، جاء من برلين ، كان يعقد شعره وراء رأسه ، كان يقول : هذه كلها أعراض ولوج القرن الحادى والعشرين ، إن لم نستطع مطابقة أنفسنا نتحطم ، أو أننا نضطر أن نعود إلى الماضى الذى هو أيضًا الشىء نفسه . بالكتاب أو الكتابين اللذين قرأناهما هناك ، لا تمكن الإجابة على هذه الأشياء التى تجرى الآن هنا وهناك .

وبين الجدران السميكة والخضر التى اجتازاها لم يرها ، وصلا بحيرة هى أقرب إلى أن تكون ماءً راكداً عديم الموج . كان بضعة إيرانيين يجلسون على حاشية الجانب الثانى ، تحت صفصافة مدت سيقانها الطويلة والخضراء إلى السطح الساكت والمظلل للماء . لوحا بأيديهما . ينبغى أن يدورا كى يصلا إليهم ، ولكنهما مضيا على الدرب الضيق فوصلا أخيراً إلى الأشجار غير المشذبة . كانت امرأة ورجل ألمانيان واقفين تحت شجرة على نجيل أخضر . كانت المرأة تمد يدها ؛ فتأتى العصافير ، وتلقط الحب عن راحتها . وكانت السناجب كذلك أيضًا : تنحنى المرأة وتلقى شيئًا على الأرض فيتقدم سنجاب ، أو اثنان إلى أصابعها فيرفعه بقبضتيه ويضعه فى فمه

– واصلا المشى ، سأل : إلى أين يصل يا خالى ؟

– لا أدرى .

ثم قال : الأفضل أن نعود .

فى الطريق قال حميد : هنا أماكن الخلوة فيها خطرة ، فى الأسبوع الماضى ، فى الساعة الخامسة صباحًا ، ضرب الفاشست إيرانيًا فى المترو ، ضربوا برأس الجزمة تحت ركبته .

- لماذا ؟

- لأنهم يعتقدون أنه لدى اشتغال أى إيرانى يتعطل ألمانى عن العمل ، وقد ناصبوا الترك فى الأكثر .

قال حميد : يتحرك الترك فى الأغلب معًا ، كل جماعة معًا ، نحن لا نستطيع .

كان معلومًا أنه لم تعد ثمة جماعة . عندما كانا يتفرجان على حجرة الزهور تحدث عن وضع الجماعات . كانت حجرة الزهور شديدة الازدحام . هناك أيضًا لم يرها . من كان يجب أن يرى ؟ عند الغروب كانا ضيفين . كانوا قد صفوا بضعة كراسى ومقاعد ومصطبة حول منضدة وعلى النجيل بين بضعة مبان . زامياد وجّه الدعوة . كان عندهم كباب وكستلاتة ودجاج ولقانق . حتى الساعة التاسعة كانت السماء لا تزال منيرة ، وقد وضعوا شريط مسجلٍ أيضًا . كانت امرأة فقط ، فتاة أميركية أوربية هى صديقة طالب جامعى إيرانى ، ليس موجودًا الآن . كانت مغنية أوبرا ، أو تريد أن تصير كذلك . تغنى الأغانى الإنجليزية ، والفرنسية الرائجة . الصفصاف سمعها أول مرة منها ، بالإنجليزية :

وضع كفه على صدره

ورأسه على ركبتيه

مغنيًا : « صفصاف ، صفصاف ، صفصاف . . »

زامياد الآن عنده مطعم ، كان يقول : « الحقيقة أننى رأيت أننى أشيخ وسأضطر غداً ، أو بعد غد أن أتقاضى مرتب اللجوء ، أو راتب البطالة » . حسنًا ، ثم ماذا ؟ فأنت ترى الجماعات ؟

كان يشير إلى أولئك الجالسين هنا وهناك : يمكنهم الآن فقط أن يمزق أحدهم الآخر .

محاطًا بالذكريات المشتركة والمعروفة للأماكن العقدية العاطفية التى وضعوها حول طاولة العمل وجلسوا هم على الأرض . كان حسن يقول : دائمًا هكذا ، لا يمكن عبور طريق مختصرة . ولهذا ففى أوربا الشرقية عاد الجميع اضطراراً إلى أماكنهم الأولى .

قال هادى : إذن فحضرتك تقول إن التمدن جادة ذات طرف واحد تمتد من هنا إلى الأبدية ، ومهمة علماء الاجتماع والمخططين الاقتصاديين ، وحتى الساسة هى أن ينتبهوا ألا ينحرف أحد عن هذه الجادة ؟

مدّ حسن ، الذى كان منذ أواسط كلام هادى قد أطبق بأصابعه على حافة المنضدة ، رأسه إلى الأمام وقال : أقلت إلى الأبد ؟

لماذا تعاود تحريف كلام الإنسان ؟ إنني أعتقد أنه إلى الحد الذى بلغه التمدن البشرى فالمسير معلوم ، وأولئك الذين تخلفوا لا يستطيعون أن يقطعوا طريقًا مختصرة .

قال هادى ، الذى كان نهض وعلق حقيبته على كتفه ، وأمسك قبعته بيده : ليكن ، أوافق على أننى بالغت ، ولكننى الآن أختلف مع فرضك هذا أيضًا . انظر يا عزيزى حسن ، لو أننا أقررنا بأن المسير الحتمى لتاريخ البشرية هو هذا الذى طواه الغرب ، فلم لا نعلم كل الشعوب الأفريقية والآسيوية أن : لا ترتكبوا خطأ حتى نرسل لكم بضعة نماذج وعدداً من المستشارين كى تصلوا ، وفق تخطيط دقيق ، إلى حيث وصلنا نحن الآن ؟

قال حسن ، الذى جعل الآن ذراعيه عموداً لذقنه : سفسط ، يا هادى ، سفسط ، ولكن انتبه إلى أن المسألة الأصلية فى كل المجتمعات البشرية الآن هى الاستناد إلى آراء الناس ، حتى فى الكلام ، ولهذا فليست فى كل العالم حكومة يمكنها أن تتجاهل أى شعب .

كان هادى قد اعتمر قبعته الآن ووقف وراء كرسيه . كانت يداه على حافة ظهر الكرسى ، قال : نعم أدرى ، لقد قرأت مطبوعات هذه البلاد ، وأشاهد كل ليلة ـ وأنت تعرف هذا ـ تلفزيونها ، طبيعى أننى لا أرى القنوات الست عشرة جميعًا . كلها كلام عن الديمقراطية ، ديمقراطيتك العزيزة ، كما لو أن أحداً لا يموت الآن بالضبط فى هذه الدنيا جوعًا ، أو أن ترسانات أربع دول ليست ، هاهنا وراء رؤوسنا ، محشوة بكل ذلك القدر من القنابل ، لا يا روحى ، إننى لا أعتقد أن المسألة الأصلية هى الديمقراطية ، أو . . .

وصاح محمود ، الذى كان يهوى الكباب : فما المسألة الأصلية إذن ، عزيزى هادى ؟

ـ ما أدرانى ؟ ثم إن المشكلة هى أنه فى الأغلب وفى زمان واحد ينبغى حلّ مئات المسائل التى لكل منها جوابها .

قال حسن : أعرف إلى أين تريد أن تصل .

كان هادى قد رفع قبعته ، تقدم كى يجلس ، وقال : إلى أين ؟

فرك حسن جانبى أنفه بأصبعين ، بمعنى أنه لا يمكن القيام بشىء .

ـ متى قلتُ إنه لا يمكن عمل شىء ؟ قلت إنه لا ينبغى التشبث فى كل دورة بهدف واحد ، والتفكير أننا إن حللنا ذلك فإن الباقى سينحل لذاته .

ـ على العكس ، إننى أعتقد أنه فى كل دورة . .

مرة أخرى نهض هادى ووضع قبعته على رأسه ، كان يصيح ويدير يده فى الهواء : إن العصر عصر الحرية ، إذن فإلى أمام نحو نهوض حركة الديمقراطية لجميع الشعوب ، وكل قوم أو كل حكومة لا تستجيب ينبغى إجبارها بضرب العصى .

جاء محمود يحمل بيده الكباب ، وقال : لمَ لم تأكل ؟ برد .

سحب الكباب ، ثم انحنى وتناول لقمة ، وقال : أنا شخصيًا لست مستعداً من أجل كسب حق التصويت للعموم أن أُعدم ، أو أشرب ماء بارداً (٦) عدة سنوات .

قــال ذلك بـفم ممــلوء وكان يهـز سـبــابتـه : عديـــم الخـمـيـرة فطــير [٧] ، لا يمكن القيام بعمل بدون قـوة ، بدون تنــظيم . حسناً ، يجب أن نرى أية طبقة أكثر استعداداً للتنظيم ، أو أكثرها طليعية أساساً .

قـال هادى : لابد أن جـواب ذلك هو حـتـمًـا وفى كل مكان طبـقـتك العزيزة تلك .

قال عزيز : مرة أخرى رحت تحيك عموميات ؟

- ما رأيك فى أن نقول ليعش التكنوقراطيون ؟

كان ذلك حسن ، كان يضع فى المسجل شريطاً . ثم حدث صخب وعند تدخــل صديقــة سعيد ، التى جاءت تواً ، ولا تتكلم بغير الألمانية ، استمر البحث بالألمانية ، ودخلت بتال الحديث أيضاً . كان يرى صفحة خدها : كانت عكس الضوء وكانت دائرة زغب كالهالة تجعل خط أنفها وانحناء ذقنها ذهبيين . قال بالإنكليزية لبتال : بدلاً من هذا الكلام ، لمَ لا تغنين ؟

كان يتمنى أن تغنى الصفصاف مرة أخرى :

يغنى : صفصاف ، صفصاف ، صفصاف

كنت تاج رأسى

قالت بتال : رأيت أنهم لا يستمعون .

- ربما لم يروا بعضهم منذ زمن ؟

ـ لا ، هم فى الأغلب مع بعض ، وكل ليلة هذا الكلام نفسه ، إما حديث المرأة ، أو السياسة ، أو لا أدرى ماذا .

ـ ولماذا المرأة أيضًا ؟

ـ أنت ترى ، جاءوا جميعًا منفردين ، عدا سعيد ، ولكن تأكد أن لكل منهم صديقة يخفيها عن الآخرين .

كان ابن أخته قد قال ذلك أيضًا . كل عنق بتال وصدرها منمَّشيْن . وكان على ساعديها نمش أيضًا . انطلقت من لندن ، وانتقلت هكذا من مدينة إلى مدينة ، وبقيت فى كل مكان بضعة أيام ، ثم ركبت القطار وحلت هنا أخيرًا . قال حميد : دعوا هذا الكلام لما بعد . دعوا بتال تغنى .

غنت هذه المرة بالفرنسية . كان رأس قد خرج من نافذة البناية المقابلة . كان منوجهر يتكلم مع صديقة سعيد بالألمانية ، وكان هادى يفتش فى حقيبته عن شىء ، ولكنهم صفقوا جميعًا . لم يعد الرأس بتلك الضفائر المتناثرة . قال منوجهر : ولكنها تقول إنه ليس هناك إيرانى وألمانى ، فالرجال هم هم فى كل مكان .

كان يضحك ، قال : وقد قلت لها إن النساء أيضًا لا يختلفن .

قال هادى : طبعًا ليس هناك فرق ، ولكن بشرط أن تطأ أقدامهن أوربا .

قال حسن : معلوم ، إذن فإنك تقول إنهن هن من كنّ قبلاً ؟

ـ أنا لا أقول كلهن ، أقول هذا لأنهن هناك مليئات بالادعاء ، ولكن ما أن وصلت أقدامهن إلى هنا ووجدن أنهن يتمتعن بحقوق متساوية عمليًا نسين كل شيء وبدأن بـ . . .

فقال منوجهر : مثلنا جميعًا .

وقال عزيز : هذه الأزمة تشمل الجميع ، إن بقينا هنا فسنصير بعد جيل أو جيلين أسراها .

ـ نعم ، إنها الحتمية التاريخية .

كان هادى .

ـ حتمية أو أى شيء ، هو الموجود . الزوجة والزوج ما أن تصير أرجلهما هنا يبدأ الأمر بنقاش بسيط ، ثم يبدأ أحدهما بالتجربة والتعويض عما فات ، ثم معلوم : طلاق ودعاوى الطلاق . .

ضحك مقهقهًا : وأخيرًا تبقى السيدة الوالدة ، وطفل أو ربما طفلان ، ويعود جناب السيد إلى مرحلة العزوبة .

قال هادى : ها قد بدأ جنونه مرة أخرى .

وقال هو نفسه لبتال : غنّى أيضًا !

ـ أنت ترى أنهم لا يستمعون .

ـ غنى بالألمانية .

ـ لا تزال عندى لهجة .

بدأوا مرة أخرى ، يتكلمون بالألمانية . كان حميد يترجم له ، وفى بعض الأحيان لا يتحدث إلا عن خصوصيات المتحدث . كان عزيز قد انفصل حديثًا عن زوجته وهو يسكن مع زامياد . وكان هادى قد انفصل أيضًا ، ولكن المرأة لم توافق على الاحتفاظ بالأطفال . كان أحدهم يقول : إن شرط كل تنظيم من أجل الوصول إلى الاشتراكية هو وجود الرأسمالية .

فقال حسن : ما رأيكم فى أن نناضل من أجل إقامة الرأسمالية ؟

لم يعد يصغى بعد . كان هنا قبلاً الحى الجامعى - كما قال حميد - والآن فى البنايات المقابلة « بنكيون » (٨) احتلوها قبل سنة أو سنتين ، وعلى الجهة اليسرى يقيم الترك فى الأغلب ، وفى الجانب الأيمن لا يزال الحى الجامعى . كان طلبة فرع التصميم لا يزالون يشتغلون فى طابقه الأعلى .

إلى وراء ، كانت عمارتان فى إحداهما تلك التى يقيم فيها زامياد وعزيز ، يسكن بضعة إيرانيين ، والباقون ألمان ، أغلبهم من الخضر ، أو الاشتراكيين ، قال حميد ، هامسًا : هنا نحن فى أمان أكثر من أى مكان آخر .

من نافذة البناية المقابلة تكلموا مرة أخرى . كان هناك شخصان أخرجا رأسيهما ، ووضع كل منهما يديه أمام فمه ، وراحا يصيحان . قال حميد : إنهما يقولان : « لماذا لا تغنين » ؟

ثم قـال لبتال . لابـد أن تغنى تلك التى غـنيتها أولاً : «صفصاف ، صفصاف ، صفصاف . .» .

ـ عندما لا يفهمون يكون أفضل .

ـ غنّى بلا كلام .

ـ ليست فكرة سيئة .

قال حميد : سكوت ، تريد بتال أن تغنى .

كانت إما قد بدأت الآن . وبدلاً من الترجمة قال حميد : من الحركة الأنثوية .

قـالت بتـال : أرأيت أنهم شـرعـوا مـجـدداً ، ولا زالوا يمـارسـون الأعمال السرية ، حتى فى الحب ، أنا أقول إن المرء إن أحب أحداً يجب أن يقول ذلك بصوت عال .

قال : غنّى!

غـنت ، فجاة وبـعيار كامل . تدحرج صوت ينخفـض ويرتفـع ، أو يتدحرج بأحجام صغيرة ، ولكن كروية ومتدحرجة على سطح صاف حتى ينكسر أو يقفز على سطح صقيل آخر ويُجلس الكريات مستوية ، ولكن معلقة فى الجو . نظر . لم يكن الصوت يرشح من الشفتين نصف المفتوحتين ، بل من جلد العنق المنمش . كان هادى يقف ، وحقيبته على كتفه ، وقبعته على رأسه ، ووضع حسن ذقنه على حافة المنضدة . فجأة تذكر على نحو واضح . رأى ياقتها المخرمة على الثوب الشيت المورد .

كانا من السن نفسها وفى صف واحد ، ولكنهما يذهبان إلى مدرستين . وكانا يحضران درسهما معًا عصراً .

بقى فى اليوم التالى حتى العصر فى بيت حميد ، لم يتصل أحد هاتفيًا . لو أن صنم بانو أرادت لكان باستطاعتها أن تجده . ذهب بعد الظهر إلى مركز المشتريات ثم مرّ عصراً مع بتال وبضعة معارف آخرين إلى متنزه هرن هاوزن مرة أخرى . ذهبوا إلى المستنقع إياه ثم عادوا . كانت بتال قد جلبت شريط الصفصاف هديةً . وغنتها هى أيضاً .

أشارت إلى صفصاف الجانب الثانى ، وقالت : يقولون إن عاشقًا ومعشوقة يذهبان للسباحة إلى شاطئ نهر ، يغرق أحدهما ويبقى الآخر واقفًا على حافة الماء طويلاً بحيث تفرع قدماه جذوراً ويتبرعم شعره ويداه ، تورق وتكبر حتى تبلغ سطح الماء كى يمسك ، إن أخرجت المحبوبة رأسها من الماء أو مدت يدها ، شعرها المتناثر أو ذراعيها الطويلتين فتخرج .

مساءً تلفنت زوجته ، كانت تقول : لماذا أنت هناك ؟

ـ سأذهب غداً إلى فرانكفورت .

ـ وفيما بعد ؟

ـ ربما هامبورغ .

ـ ثم ؟

ـ الدانمارك ، ومن بعد باريس ، وبعد ذلك أعود .

ـ إذن فأنت مستمتع ؟

سأل : وكيف حالك أنت ؟

ـ طيبة .

ـ أعطى السماعة لياسمن .

ـ الساعة الثانية بعد منتصف الليل . كانت سيمين تطلب الرقم الآن ، ثم قالت : « إن حصّلت بابا سلّمى عليه . فأنا ذاهبة لأنام » .

ـ كيف حال سهراب ؟

ـ جيدة ، جيدة .

ـ ألا يمكن أن توقظيهم ؟

ـ لقد قلت لك . على فكرة ، قالت ياسمن ألا تنسَ . لم تقل لى ، ولكنها قالت أن أقول لك ليكن فستقى اللون .

قال : ممنون يا عزيزتى .

ـ علام ؟

ـ على كل شىء .

لم يدر لسانه كى يقول شيئًا أفضل ، لأنهم كانوا ـ قبل الهاتف ـ يستمعون إلى شريط الصفصاف .

وإلى فرانكفورت أيضًا ، استمع إليه عدة مرات فى سيارة زامياد . لم يتذكر إلا الياقة المخرمة على الثوب الأزرق ذى الزهور الصغيرة البيضاء ، كانت بتال قد قالت إن المغنى رومانى الأصل يغنى بالإنجليزية أحيانًا .

فى فرانكفورت قرأ قصة ساخرة مضى زمن لم يكن نظر إليها مجرد نظر ، ولم تكن طبعت أيضًا . فهم فى أواسط القصة كم هى سوداء :

لم نكن استيقظنا تمامًا عندما سمعنا صوت الأجراس ، كأننا كنا لا نزال نيامًا . لا كان صوت جرس العنق المعروف إياه هو الذى يرن مسلسلاً ، فى تلك الأيام كانت تأتى دائمًا من الجانب الثانى للشاليهات ، حتى تصل تحت نافذة المرء ، وتدق أجراس أعناقها كما لو لك فقط ، تقف تحت النافذة وتدق ثم تذهب وتبقى أجراس أعناقها ترن كالسلسلة .

حتى عندما انحنينا من النافذة ، أو الشرفة ونظرنا لم نصدق . كان قطار إبل . كانت عشرين ، لا ، خمسة وعشرين جملاً بتلك الأعناق والأفواه والشفاه المزبدة . ركض كثيرون منا هابطين الدرجات ، وفتحوا الأبواب فرأوا رأى العين أنها جاءت - حقًا - وهى الآن تأكل شيئًا ما مسرعة ، وفى بعض الأحيان تشخر وتهز رءوسها كى تقطع ، وتصل صوت ثلاثة أجراس أو أربعة

منفردة ، أعلى ، وبفواصل أقل ، مثل عقدة على حبل ،
على نحو مسلسل ورتيب .

لماذا قرأ هذا ؟ ما علاقة الإبل بهذه الواقعة التى تتكون الآن ؟ كان حلمًا ، كأننا نرى بقيته فى اليقظة ، من أواسط القصة ارتفع صوت الضحكات . لم يصدق . كما لو كانوا يضحكون على رأس مقطوع ، لأنه أنبت لسانًا . ثم كانوا يضحكون مقهقهين . مرة أخرى عرقت جبهته وتكدر زجاج نظارته . خلع نظارته . كان واحد ، أو اثنان من المعارف ، وصديق قد لزم بيته ، لا يزالون يضحكون . مرة أخرى قرأ وبقيت الإبل ، أقامت ، كما لو كانت تصب على النجيل الأخضر كومًا بعد آخر من الرمل أو الحصباء ، وتحرك الناس كى لا تبقى خضرة .

فى وقت الاستراحة لم يخرج فى البداية . كان يترصد ليرى من يجلب الأسئلة . كان رجل أو امرأة يأتى يعطونه السؤال بيده ويخرجون ، وأعطاه أحدهم مجموعة . وجلبت امرأة ثلاثة أسئلة . كانت قصيرة القامة متوسطة السن . تبتسم . لم يكن رآها ، نظر إلى الأوراق . لم تكن أى منها مربعة ، لم يكن يجلس فى الصالة غير بضعة نفر . يتكلمون فيما بينهم . مضى كى يدخن سيجارة هو أيضًا .

كان يدرى أنها لابد فى مكان ما ، وشرب قهوة أيضًا ، تكلم مع بضعة أشخاص . ووقع كتابين له . كان معلومًا أنها لن تُظهر نفسها .

عندما أعلنوا الأسئلة والأجوبة عاد . كانت ثمة بضعة أسئلة على حافة المنضدة ، وواحد تحت كأس الماء كانت هى ، وقد كتبت : «لا يمكنك أن تكذب علىّ . إن الحديث عن الإبل والحادى من أوله إلى

آخره مزاح . أنت تتحدث عن أخص لحظات حياتك ، مثل انتهاء رباط العرس » . كتبت بعد ذلك : « خاص . إننى عائدة إلى باريس . إذا جئت ، ثق أننى سأرفع السماعة » .

وكانت قد كتبت الرقم ، مرة أخرى وجد القصة . فكر فى تلك الأيام أن كل القصة خيالية ، حتى يتذكرها قرأ مقطعًا من هنا ومقطعًا من هناك . كبرا معًا ، وصارا بضع مرات أيضًا عروسًا وعريسًا ، وكانت الدراسة معًا بعد ذلك وأخيرًا كتابة الرسائل ، أحدهما للآخر ، عندما فرع طول البنت لم تعد تلقى عليه مجرد نظرة ، وفى ذات يوم مزقت رسالته أمام وجهه ، وبدلاً من جواب سلامه ضَرَبته . لفّ بضع ساعات فى الأزقة ، وغسل وجهه بالماء مرتين أو ثلاثًا ، ولكن خده بقى ملتهبًا . لا ، لا يستطيع ، الآن بالطبع ، أن يقرأ تلك الأمور لكل هؤلاء الغرباء . كانوا يأتون نحوه بمرآة بالحجم الكامل وظهورهم إليه ، ومصباحا ضغطٍ على طرفى العروس . كان ينظر من فوق الحائط .

تذكر . عندما وصلت صنم بانو على عتبة الباب ، رفعت رأسها وأخرجت له لسانها . لم يكن كتب هذا . لو كان كتب هذا ما كان ليعبر عن باطن الفتى . كان قد كتب :

> **جاء العريس من وسط الحشد الذى كان يهلل .**
> **كانت فى يده رمانة ، كان يلبس سترة ، وبنطالاً كحليين وقميصًا ذا ياقة منشّاة ،وقد فرق شعره وكان يلمع من الدهن الذى مسحه به فى محل الحلاقة ولابد . عندما وصل أمام العروس لم يرَ غير يدها المرفوعة والرمانة**

التى كانت فى قبضتها ، لم تدعه المرآة ذات الحجم الكامل أن يرى . عندما انطلقا رأى بقعًا حمراء على الجورب الأبيض ، وعلى حاشية تنورة العروس .

قرأ هذه القطعة فقط ، قال : « لا أذكر الآن إن كان ثمة رمانة - حقًا - أم لا ، ولكننى ما زلت أرى أن هذه البقع ضرورية ، أو مجرد بضع نقط حمراء ، من أجل طفلنا بلغ هذا الحادث نهايته المحتومة ، سواء أرآه فى الواقع مرة أخرى أم لا » .

ثم صار يتحدث عن إبله . قال : الإبل هنا كثيرة العدد بالطبع ويواصل عددها الازدياد ، ولكن الحقيقة أننى عندما كنت أكتب هذا وأبحث ، أو أسأل عن عادات الجمل وسلوكه ، رأيت رقاقات عن التضحية بالجِمال صورها لى صديق .

خلع نظارته كى لا يرى أحدًا على نحو دقيق . لماذا ضحكوا ؟ ثم وصف المراسم بتفصيل تام ذاكرًا ما يفعلون ، أو ما هى طقوسها ، قال :

- فى كاشان [٩] لا يزالون يضحون ، فى عدد من المحلات . ويصير واحد ، يكون قد ورث هذا العمل عن أجداده ، مؤسسًا . يشترى جملاً من بائع متجول ، يطعمه طعامه حتى يسمن ، ثم عندما يأتلف معه جيدًا يزينه بالورد والزهور . ويضع مرآة على جبينه ، ويكحل عينيه ، ويدور به بالطبل والناقور ، ويأخذ من كل بيت حاجة كى يأتوا جميعًا يوم العيد إلى ميدان المحلة فينحرونه ، ويأخذون لحمه قطعة قطعة .

توقف . كان هنـاك صمت : عند النحر ما لم يسمعوا صوته يدقون الطبل . وهم منتبهون ألا يطعن شخص من المحلات المنافسة الجمل .

نظف نظارته ، ووضعها على عينيه ، قال : لا يستطيع المؤسس غير أن يمسك زمام الجمل بيده ، لأنه معروف له وإلا لا يمكن ، فالجمل هو الحيوان الوحيد الذى يمكنه أن يرفس من أمام ، عندما يأتى القصاب كى يغرز سكينه الحادة تحت حنجرة الجمل ، ينظر الجمل إلى المؤسس ويبكى ، بتينك العينين المكحولتين ، وتلك المرآة فى وسط الجبين ، ينظر ويبكى . تنحنى يداه أولاً ، ثم ساقاه ، بعينين مفتوحتين يترقرق فيهما الدمع ناظرتين إلى المؤسس . يضع رأسه وعنقه على حوض دمه وينظر بعينين مكحولتين .

فى هامبورغ قرأ قصة امرأة عشقت ذئبًا يأتى كل ليلة تحت نافذتها ، ويعوى نحو القمر ، وكانت المرأة ، التى هى معلمة رسم ، ترسم فى صفوفها فى الأغلب مخططات لكلاب معلّمة ، أو قطيعًا كى يرسم الأطفال عنه ، وأخيراً تذهب مع الذئب وفى ليلة جليدية ، كتب هذه القصة عندما ألحت - ما كان اسمها ؟ - أن تصير مضمون قصة . كان هذا الكلام قد انتهى ، ولم يرها بعد ذلك . لو أن صنم بانو لم تكن ذهبت إلى باريس لكانت كتبت حتماً : « ماذا الآن ؟» .

يعنى أنه تروّض ؟ بعد الاستراحة ارتفع النقاش . لم تكن موجودة . قال إننى متعب وأنهاه سريعًا ، ولكنه فى المساء كان مشغولاً بالجدل مع المنظمين إلى وقت متأخر ، ووصل فى اليوم التالى كى يقوم بجولة فى المدينة.

فى كوبنهاغن لم يبق غير خمسة أيام . ذهب بالقطار وملتزمًا ركاب معرفة كان قد جاء إلى هناك ، كان يقول : صارت مؤسسة العائلة عديمة المعنى هنا . يعيش شخصان معًا مدة ، ثم ـ إذا لم يشاءا ـ فى أمان الله .

لم يكن الأطفال بالنسبة له مسألة مهمة . لابد أن أحداً سيتعهد بتربيتهم . تبقى مسألتهما هما ، كان يقول : كنت قلت لآزيتا ، كلانا حر ، لو أن أحدنا أراد ، حسنًا .

كان واثقًا من آزيتا بالطبع؛ ولكن كان عنده عنوان شخص فى هامبورغ ، لم يجده كان يقول : هنا يختفى الأغلبية ، ما زلنا أسرى تلك الرسوم ، وننافق ، وعندما ينكشف الأمر يصل صراخنا حتى السماء .

هناك ، فى البيت السرى ، كان قد أمضى سنة وأعاد تحرير أحد الكتب عشر مرات . كان يقول : كنت أكتب وأكتب منذ الصباح . إلى جانبى صفيحة كى ألقيه فيها كله - إن جاءوا - وأشعل فيه النار ، كانت مطالعتنا على هذا النحو .

فى الباخرة عاد إلى اكتشافه الجديد ، وتحدث عن آزيتا ، كان يقول : ينبغى أن تريها ، متوقدة جداً ، تدرس برمجة الكومبيوتر . بيتها مستقل . نرى بعضنا أحيانًا . هنا تعرفت عليها . يقوم سخط أحيانًا بالطبع ، ولكنه عابر .

في الموقف كان صديق من أهل القلم في انتظاره . كان بيته في مجمّع يخص المسنين ومدمني الكحول . أراه إياه في اليوم الثاني . كان عنده سرير لشخص واحد وطاولة صغيرة . جلس أحمد على حافة السرير ، وهو على كرسي الغرفة الوحيد . وكتبه لا تزال في كارتونات إما قرب الباب ، أو تحت السرير . قال : أنتظر منذ ستة شهور أن يعطوني بيتًا مستقلاً .

كان تصوير بدري بالأسود والأبيض لا يزال عنده . قد علقه فوق رأسه على الحائط . سأل : ما تزال مشغولاً ؟

- أنت ترى .

- كنت كتبت أنها في هذه الأنحاء ؟

- لا تزال في آخن .

- حسنًا ؟

- نتبادل أحيانًا الأخبار عن بعضنا هاتفيًا .

نظر إلى التصوير ، هو نفسه الذي وضعه في إطارٍ شغل فسيفساء ، في طهران . لابد أنه تركه هنا فكبّروه له . سأل : أتعرف أنك لا تزال . . ؟

- هذه مشكلتي ، لا مشكلتها .

لم يتكلما عنها بعد . في اليوم الأخير فقط ، قبل الطيران ، سأل أحمد : عندما كنت في ألمانيا ألم ترها ؟

ـ من أجل ماذا ؟

ـ كنت أريد أن أعرف إن كانت مالى لا تزال موجودة أم لا .

نظر إليه . كان قد حلق شاربه ، وصار لون وجهه الآن أبيض مما كان عليه يوم كان عنده شارب ، وعندما كانت تتدلى ، هناك ، من نؤابتيهما قطرة طل ، ولكن مُرّة ، كان لا يتحدث إلا عن بدرى . قال : تعرف أننى لم أكن فى آخن .

ـ وماذا عن بدرى ؟

كانت شفتاه ترتجفان . قال : سمعت أنه منذ سنة ـ عندما كنت هناك ، فى إيران ـ سمعت . . .

قال : نعم ، نعم ، سمعت أنا أيضًا ، ولكن ليس أحد متأكدًا . وكلما تلفتت أيضًا ترفع هى السماعة .

قال : هنا ، أنت تعرف ، من أجل الحصول على راتبىْ لجوء فللجميع بيوت مستقلة

ـ نعم ، أدرى .

ـ اذهب ، اسمع منى اذهب إلى آخن ، اذهب شُفها مفاجأة .

ضحك مقهقهًا . عندما كان هناك أيضًا ، كان يضحك فى أغلب الأوقات بتلك الصورة : يفتح فمه أولاً ، كما لو كان يريد إراءة أسنانه ، ثم يضحك عاليًا . تصير ضحكته شبيهة بعويل طويل ممطوط ، تخفت قليلاً ، ويبقى فمه مفتوحًا لوقت طويل . كان ينظر

إليــه فــاغــر الفــم . قــال اصح ! لم تكــن كــل هــذه الأمــور غــيــر كــابوس .

كان وبدرى فى صف واحد ، ومنذ سنوات لا يكتب أحمد إلا عنها : لها شعر تمرى ، له جعدات كبيرات منثور على الكتف ، ربما لأنها كانت معتادة أن تعقصه على أصبعيها خصلة خصلة . كان أحمد يجرجر قدميه ، مطأطأ الرأس ، برأس حذائه على الأرض الملمعة . لم يكن ثمة خط على البلاط عديم الرسوم . قال : ذلك التصوير إياه يكفينى .

ضحك مرة أخرى ، فتح فمه ، أبان أسنانه الكبيرة ثم ضحك بقهقهة تشبه عويلاً ممطوطاً .

ماذا عنه ؟ عندما وصل باريس انشغل فى السياحة والفرجة بحيث نسى ، وهو الآن متأكد أن ذلك كان متعمداً . عندما استقر فى مؤخرة غرفة صديق كى يرتب ملاحظاته ، وجد الأوراق المربعة المعطرة . مع ذلك كله تلفن بعد الظهر . حتى سمع أصوات أنفاس ، قال : أنت يا سمنو ؟

ناداها كما كان يفعل عندما كان يذهب إلى بيتهم ويناديها كى يذهبا إلى المدرسة معاً . سمع : إذن فقد تلفنت أخيراً ؟

- عندما رأيت أوراقك تذكرت .

سمع الأنفاس نفسها أمداً ، ثم سمع : كان لطفاً منك .

- أريد أن أراك .

- أدرى ، ولكن بشرط واحد .

- أى شرط ؟

- يجب أن تتعهد بألا تجعلنى ، أو - فى الأقل - لا تجعل سنواتى هذه موضوع قصصك .

قال : عندى الآن أعمال لم تنته من الكثرة بحيث لا أحتاج حتى نهاية عمرى إلى أى موضوع جديد .

سمع صوت ضحكتها ، لم تكن حبات البلور المتدحرجة تلك التى يأتى بها أحيانًا لوصف ضحكة نسائية . وسمع أخيراً : أنا لست موضوعًا جديداً .

تواعدا فى ذلك اليوم بالذات ، قالت : إن لم تكن تعرف فلنتواعد فى مكان قريب من مكانك .

كانت عنده خارطة كما أن عليًا كان اشترى التذكرة الأسبوعية؛ قال له أين ينبغى أن يترجل وأى خط يركب ؟ ورسم دائرة حول موقف «إدغار كينه» سأل : لن تعود مساء ؟

قال : صديق قديم ، ولكننى لن أطيلها أكثر من ساعتين .

ذهب مبكراً نحو ساعة ، وتجول مدة فى بولفار «مونبارناس» حتى وجد مقهى « سلّكت » كان على قال : كان محل لقاء أكثر المثقفين ، وربما لا يزال . أنا لم أذهب إليه .

ثم سأل : على كل حال من هو ؟

- قلت لك .

لا يزال عنده عشرون دقيقة . كانت الدنيا لا تزال مضيئة أمام المقهى وكل النساء بشعر أشقر ، أو تمرى . لم يكن أحد ينظر إليه . تمشى مدة وعند رأس الساعة السابعة عاد ، وفى هذه المرة دخل المقهى . كانت كل الموائد مشغولة ، بشخصين أو ثلاثة . عندما نظر وراءه لوحت امرأة بيدها لم يكن يعرفها ، كان شعرها أسود . كان لا يزال أسود . كان وجهها أسمر ، وقد دهنت شفتيها بلون الأحمر ذاته الذى عليه شفتا سمنو . ابتسمت وأشارت إلى الكرسى على جهة المائدة المقابلة . قالت : لم تعرفنى ؟

نظر إليها . وقد شدت وجهها من ثلاثة أطراف . كانت شعرات ما وراء أذنها رمادية وفى زاويتى شفتيها غضنتان دقيقتان وتحت عينيها غضون دقيقة . قالت : لقد نسيت وجهك أيام الطفولة .

- منذ متى ؟

- منذ ما قبل أربعة عشر عامًا .

عضت بنابيها سبابتها وقالت : فروردين خمسة وخمسون (١٠) ، عندما نشرت صورة لك وجدت أننى لا أذكر . لا تزال الصورة عندى . إن أردت سأريك إياها .

كانت تلبس جاكتة يشبية اللون مع زر زينة أحمر على الصدر . وقميصها أفتح لونًا من الجاكتة . بدون أن تسأله طلبت له قهوة . كانت قد شربت قهوتها . لم يعد ثمة أثر من ذاك الزغب الظريف على الأنف

والذقن وحتى فوق الشفة ، الذى يصير مثل هالة ، عندما يشع الضياء من ورائها ، ذهبية عندما أوصت على الغداء ، سألت : أتشرب ؟

ـ ليس كثيراً .

ـ هنا يجلبون قدحًا قدحًا .

ـ ليكن ، قولى لهم أن يجلبوا لى مما تشربين .

ثم سأل : قولى لى ، أكان همينغواى يأتى إلى هنا ؟

ضيقت عينيها ثم أطبقت أهدابها كالنائمة ومرة أخرى كما لو انفتحت من النوم رفعت رأسها منحنية منحنية إلى أن نظرت فيه بذينك البؤبؤين إياهما اللذين رآهما فى أحلامه . مع كل ذلك ، لم يكن يعرف بعد تلك الجالسة وراء البؤبؤين . قالت : ربما ، هنا كان محل تردد كثيرين ، فى كل زاوية منه كان ثمة أحد .

ثم جعلت من يديها عموداً لذقنها ، وسألت : حسنًا ، ماذا الآن ؟

كان لها وراء أذنها ، ووسط رأسها شعر أبيض رفع كتفه ونظر إلى قهوته . لماذا جاء ؟ من تحت لتحت رأى أنها تخلع جاكتتها . كان كتفاها العاريان أسمرين ، وممتلئين ، بحثت فى حقيبتها عن شىء . أخرجت تصويراً . قالت : هاك انظر ، فلربما تذكرت .

كان تصوير عرسها ، بتول العرس ذاك إياه على جانبى وجهها ، وكان على رأسها طوق نصف تاجى . لا ، لم يكن يعرف . عندما تزوجت

صارت أطول منه برأسها وعنقها لم يكن يذكر إلا أنه كان واقفًا على عتبة باب بيتهم ، وكان يذكر ، فى الأكثر ، نصف التاج بالأنوار الصغيرة والتول الأبيض الذى كان ألقى ظله على وجهها . قال : إننى لا أتذكر إلا أنك أزحت التول وأخرجت لسانك .

- مع كل ذلك الجمهور ؟ لا أظن ، وهو ليس مذكورًا فى القصة .

- عندما قرأتها ثانية تذكرت .

- عسى ألا تكون تريد أن تقول إن كل ما كتبت خيالى ؟

- لا أدرى ، ولكن – حقًا – إن الواقع بالنسبة لى ، الآن فى الأقل ، هو ما كتبت .

نظر إليها ، ورأى : خالها . مثل حبة ، ولكن سوداء ، كان تحت الخد ، فوق النقرة . نظر إلى نافذة هذا الجانب وقال : فى مغرب ذات يوم جئت إلى بيتكم – لا أتذكر الآن ما كان شغلى . كنت واقفًا فى الساحة ، قرب كرسيك . كنت تجلسين عادة هناك وأقف عند قدمك ، على جدول الحديقة ، وأملى عليك .

- ليتك كتبت هذا . لا تلك الرمانة ببقعها الحمراء تلك .

- رأيت هذا الطقس فيما بعد فى أماكن أخرى ، وقد قلت ذلك فى ألمانيا ، ومعناه أنه نقطة النهاية ونهاية القصة ، أو ربما أمنية يدو ذاك أن تنتهى .

أكلا بضع لقمات فى صمت . قال : جلستُ على كرسيك ، وجدته دافئًا ، جيدًا ، كانت الشمس قد تساقطت عليه . كنت أعلم منذئذ

ولكنه كان بالنسبة لى كما لو كنت جالساً على عضد أحدهم . أتذكرين ؟ كان كرسيك من خيزران ، تحت شجرة سنط الحرير (*) تلك . ولابد أننى أغمضت عينى وجالسًا على هذا النحو عندما رأيت فجأة أمك تقف فى مواجهتى .

مرة أخرى أكل لقمة؛ مغمض العينين ، قال : تذكرت الآن ، كانت فى يدها طاسة طعام نذر ، ووضعت فى داخلها وردة . وضعت يدها على كتفى ، وسألت : « تحبها كثيرًا ؟ » قلت : « كثيراً» مرة أخرى لم تدعنى أنهض ، قالت : « أدرى يا بنى ، صعب جداً ، ولكن ما من بد ، يجب أن تنساها» . قلت : « سامحينى » مرة أخرى وضعت يدها على كتفى ، وقالت : لم تفعل شيئًا سيئًا وهو أمر طبيعى ، لكما سبع سنوات مع بعض ، ليس ذلك قليلاً . كانت أمك تقول دائمًا : « سمنو كنّتى » . ومهما قالت صنم : « ما هذا الكلام ، يا خالة ؟ إننا أخ وأخت » ، لم يكن ينفع معها .

نظر إليها . كانت تنظر إلى النافذة . كان خالها على حافة النقرة بحيث إن ضحكت يسقط فى الحفر ، كانت تتلاعب بشفة الكأس بأصبعيها السبابة والإبهام . قال : كانت أمك تقول : »كلما رأيتها تسأل عن حالك ، ولما كانت تحرق رسائلك ، رأيتها تبكى بأم عينى » .

قالت صنم بانو : وعَدَتْ بألا تقول لأحد .

(*) Silk Tassled Accacia

ـ لابد أنهــا طـفـرت من فمـهـا . لأنهـا قـالت بعـد ذلك : «لا تقل لأحد قط يا بنى ، فسمعة صنم سمعتك أنت أيضاً» .

قـالت : نـعم ، بكيت ، ولكننـى أدرك الآن أن ذلك لم يكن من أجل الرسائل ، ربما كنت أبكى على مـوت طفولتى ، وكانت تلك الرسـائل جزءًا من تلك الطفولة بالذات ، وهـا أنا صـرت السـيدة زوجة المهندس إيمانى .

ـ لم تكن عندى أية رسالة كى أحرقها .

ـ لم أكـن قـــد كتـبت رسـالـة ، لا ، كنـت كتبت حقًـا ، ولكنــنى لــم أرسلها ، لأننى خفت أن تصير كمواضيع إنشائى التى أكتبها .

تذكر الآن كل شىء بوضوح . كانا يجلسان فى الموقف الثانى لفرح آباد ويذهبان صبحًا ، وعصـراً معًا إلى المدرسة ، كانت مدرسة البنات قريبة .

– قالت صنم بانو : كنا نعطل ظهراً ، وعصـراً نصف ساعة أبكر ، ولكنى كنت أبقى حتى تأتى فنذهب معًا . قلت للجميع إنك أخى .

ـ كنا نمسك بيد بعض ونركض .

كانت أمها عاليه خانم [١١] ، لا الخالة عاليه ، خياطة وأبوها أخذوه بعد الثامن والعشرين من مرداد [١٢] .

قالت صنم بانو : كنت تذهب فى الأعصار لتلعب كرة القدم ، ولكن أنا لم يكن يسمح لى بالخروج ، كنت مضطرة أن أجلس ، وأنصرف إلى تمريناتـى وقراءتى ، ولكننى لم أكن أكتب حتى ولا كلمة وكنت أبقى فى

انتظارك حتى تظهر . ببنطالك القصير ذاك ، الحقيبة على الكتف ، تأتى منقوع اليدين والوجه عرقًا . كان أبى يسأل : « أسد ، أم ثعلب» [١٣] . ، وكنت تجلس وتقص عليه كم بكم صرتم ، ومن حاول هذه المرة أن يخادع .

- كنت تعطينى مواضيع إنشائك فأكتبها .

كان أبوها ، السيد مقصودى دهكردى ، يقدر أن يكتب أيضًا . لم يكن يكتب ، كان يقول : « يجب أن تتعلمى بنفسك أن تُخرجى بساطك من الماء [١٤] » . كان يقرأ المجلة ويجلّدها بالجريدة ويأخذها فيضعها فى الصندوق الحديد ثم يقفله . كان رئيس عمال .

قالت صنم بانو : « كنت تضع رسائلك داخل دفتر إنشائى كى لا يعرف أبى أو أمى ، وأظن الآن أنهما كانا يعرفان ، ولكنهما يخفيان ذلك ، خاصة أبى ، إذ كان عنده ثلاث بنات ، وكان يحبك كما لو كنت ابنه » .

سأل : لماذا عندما انتقلنا إلى المدرسة الثانوية ، قلت لا تأتِ علىّ بعد ؟

- كانت البنات يسخرن منى .

شرب جرعة ، كانت تنظر إليه . من الذى كان الآن ينظر إليه من وراء ذينك البؤبؤين اللذين كأنهما غُسلا بالقير ليلتين ؟

قالت صنم بانو : كانت أمك قد قلبت جاكتتك ، كان في لياقة جاكتتك تجاعيد وقد نتأت في ظهرك ، فوق خط الفتحة ، كرة مكورة .

ـ لابد أنها كانت جاكتة أخي الأكبر . كانت أمي تعد مستعملاته لي أحيانًا ، كانت أمي تقول « أنا لست خياطة . كان يمكنك أن تأخذها إلى خالتك عاليه كي لا يصير ظهرها هكذا » .

قالت صنم بانو : « تذرعت أنا بذريعة ما وقلت لا تأت عليّ بعد» .

ـ أتذكّر ، قلت : « أنت أقصر مني كثيرًا ، الصواحب لا يصدقن أننا توءمان » . ثم أجبرتني أن أقف ، وظهري إلى الشجرة ، شجرة سنط الحرير في بيتكم . كنت أقصر منك بعقلتي أصبع . وفي السنة التالية ازداد الفرق .

ضحكت صنم بانو . كانا يشربان القهوة قالت : آخر مرة رأيتك فيها كنت تلعب كرة القدم ، وأنا ، كانت زهره إلى جانبي وشيء ما ، أظنه حقيبة ملابس ، في يدي هذه ، كنت أقف جنب عمود الهدف ، أعطيت أنت تمريرة لأحدهم ، أظن لإسي [١٥] وجئت نحو الهدف ، ضرب إسي الكرة اعتباطًا ، وشتمت أنت مقذعًا ، ولكن ما أن رأيتني حتى هربت . ولحقك إسي . كان يقذع ويقول : « لو كنت رجلاً قف» ، وأخيرًا وقفت ، كنت تتوسل إليه ، لكنه كان أمسك بياقتك وراح يضرب . توسلت إذ لكمك ، مرة أخرى أراد أن يضرب عندما هربت ، وركض إسي وراءك فبلغك . عندما أراد أن يضرب ، رأى دم أنفك فأمسك ، وربما كان سمع صوتي أيضًا ، أو رأى أنني كنت أناديك . أشار نحوي إليك وهرب ،

وأخيراً جئت . كنت تنظف أنفك وتأتى . قلت : «تعال يا أخى ، اجلب لى هذه الحقيبة» . فقلتَ بصوت عال : « حقيبة» ؟ قلت : « لا بأس ، احتضن أنت زهره ، وأنا أجلب الحقيبة» . تناولت الطفلة وتقدمتنى . قلت : « لا توقع طفلتى » . عندما أردت أن تعطينى إياها رأيت أنها كانت تضحك مقهقهة ، كنت تخرج لها لسانك وتلعّبه وتُحْول عينيك . قلت مرة أخرى : « لا توقع الطفلة » ، وأخيراً أعطيتنى الطفلة وحملت الحقيبة ومضيت مسرعًا حتى وصلت الموقف ثم ركضت فذهبت إلى ما وراء المبانى رباعيات الحجرات .

قال : إننى لا أتذكر هذه الأمور أبداً .

كان قد قطع عهداً لإيمانى ، فى المقهى ، ألا يراها بعد .

سأل : أين زهره الآن ؟

ـ صارت الآن امرأة ، تعيش فى هامبورغ . سنها ست وعشرون ، عندها بنتان .

ـ وأين هو المهندس ؟

ـ موجود .

ثم سألت : أتريد أن يجلبوا لك شيئًا آخر ؟

ـ لا ، شكراً .

نهضت ولبست جاكتتها ، ولكنها جلست مرة أخرى ، قالت : أتدرى أين قرأت أولى قصصك ؟

كانت المنضدة خالية الآن ، ولكن صنم بانو وضعت يدها على المنضدة . لم يكن فى أى من أصابعها خاتم . أين رأى هذه الأمور إذ فى مكان ما أجبر إنسان على أن يساقط على بقايا اللون الزهرى لهذه الواحدة مئات القبلات ، مثل الطل الذى يساقط على البتلات ؟ فى « مريم » كان قد تحدث عن خالها .

ـ فى مطبوعة من صحف الأقاليم . أعطتنى إياها صديقة . كانت تعطينى أشياء أحيانًا . أشارت إلى هذه القصة أيضًا . كانت منشورة باسم مستعار ، ولكن لست أدرى ما الذى جعلنى أجزم أنك كاتبها .

جعلت ذراعيها عمودًا لذقنها ثم ضمت ثلاثة أصابع من يدها اليمنى وضربت بسبابتها على خالها : أترى ، هنا ، ولكننى فهمت فورًا أنك أخذته منى ، من النفور الذى كان فيها فهمت أنك يجب أن تكون كاتبها .

كانت لا تزال تضرب خفيفًا خفيفًا على خالها .

قال : اغفرى لى .

ـ لقد مضى الآن ، ولكن لو كنت رأيتك تلك الأيام ، فلابد أننى كنت ضربت بعصا ، أو بصخرة على رأسك ، وفيما بعد ، ربما بالتوضيحات التى قدمتها تلك الصديقة ، فكرت أن هذه الأمور ليست بيد المرء كثيرًا .

كان يذكر الحوض الأوسط ، كانت السيدة الرئيسة تجلس خلف طاولة .

قالت السيدة صنم : أيمكن أن أدخن إحدى سجايرك تلك ؟

كان قد جلب من هناك لنفسه بضع دزينات ، مع أنه كان يأخذ هنا أحيانًا غلواز [١٦] . أرث سيجارته . راحت صنم بانو تسعل ، فكسرت السيجارة فى النفاضة .

قال : لم أكن أظننى سأراك .

ـ ولكننى أخيرًا كنت موجودة .

ـ نعم ، ولكن الإنسان إما لا يرى الأمور وإما أنها لا تنطبق . لا تستطيع ، فى الأغلب أن تتذكر ذاتها ، لا يظن الناس أن أحدًا آخر يراهم أيضًا .

نظرت السيدة صنم إلى ساعتها ، وقالت : هيا إن وقتى يتأخر . كما إننى يجب أن أذهب إلى العمل غدًا .

سأل : أين بيتك ؟

ـ والله ، ماذا أقول عن البيت ؟ ثم إنه خارج باريس فى « آن غن له بن » ؛ لكنه جميل ، صغير ولكن جميل .

رفعت حقيبتها عن يد الكرسى . كانت قد علقت معطفها المطرى على ظهر الكرسى . قالت : ينبغى أن ألحق بقطار الساعة العاشرة وعشرين دقيقة ، وإلا سأضطر للانتظار فى المحطة ثلاثة أرباع الساعة .

لم تدعه صنم بانو يدفع الحساب . قالت : يصير غاليًا جدًا عليك . أنا أعمل هنا ، وضعى جيد . كما أننى لا أدفع إيجارًا .

عندما كانا يخرجان عرف أن المطر هطل . قالت صنم بانو : أرجو أن أراك أيضاً . قال : أنا أردت أن أقول هذا .

ـ حسناً ، لنفرض أنك قلته ، حسناً ، ولكن تذكر أن شرطى ذاك لا يزال قائماً .

كانت تضحك وتهز سبابتها نحوه : لا يحق لك أن تعطى شيئًا منى لأحد ، أو أن تختفى أنت وراء أحد! تعرف أننى أقرأ ، يصلنى .

ـ فى بعض الأحيان لا يستطيع الإنسان .

فجأة رآه . كان تمثال بلزاك . ليس مطلاً عليه ، أو على صنم بانو بل يقف مطلاً على باريس . كان هو ذاته . يتطلع .

عندما كانا يهبطان سلالم محطة « فافن » قالت صنم بانو : حسنًا ، أفهم أنه غير ممكن . هناك ، بالإمكانات المتوفرة ، فأنتم إما تتحدثون فى السياسة فقط ، أو عن غراميات الطفولة ، فى بيت الأهل . إن العشق ، الحقيقة أننى أفهم الآن ، لا يتحقق بنظرة أو نظرتين أنا أفهم الآن قصتك مريم تلك على نحو آخر ، فى نظرة واحدة ، الأغلب كذلك . إن تعلق الخاطر بشخص ما هو حاصل سنوات ، عندما تراه طوال سنوات ، ولكن إن بقيت بعيداً عنه ، حتى ولو لساعة واحدة تتصور أنك أضعت شيئًا .

ـ يعنى مثلنا ؟

قفزت من فمه عندما اجتازا قضبان المترو الملتفة ، قالت :

ـ ربما ، ربما ، لا أدرى ولكن نحن كنا أطفالاً ، وعلى فرض أننا بقينا معًا فليس معلومًا أننا لم نكن سنصل حيث وصلت أنا الآن ، وحيدة فى ذلك البيت .

وقفت ، خلعت معطفها المطرى ، قالت : ولكنه جميل ، رتبته على ذوقى .

فى المحطة ، كانا جالسين على مصطبة ، إلى جانب أحدهما الأخرى ، وسط أناس وقفوا ينتظرون ، أو يترجلون من الترامواى وينطلقون راكضين كى يلحقوا بخط آخر . كانت امرأة شابة تمرية الشعر تبحث فى حقيبة يدها ، وفى المقابل كان رجل يمسك قبعته بيده فى اتجاههما ويتكلم بصوت عال .

قالت صنم بانو : لم يعد يتعين علىّ أن أقدم كشف حساب لأحد . فجناب المهندس إيمانى فى دبى ، وربما فى قطر ، يكدس المال فوق المال . وفى المقابل ، فزهره فى هامبورغ لا همَّ ماليًا لديها ، و« سيامك » كما تعرف عنده زوجة وأطفال . « زيب ا » فى لاهاى ، تعمل وتدرس أيضًا . وأنا أيضًا أعمل ، وعندى بيت أهداه المهندس . باسمى . صغير ، فيه غرفتان إحداهما ليست بالسيئة .

واجهته ، قالت : سآخذك يومًا كى تراه . محلته يخيم عليها السكون أيضًا ، لا أحد فى شوارعها ليلاً ، ومع هذا كله فهى آمنة ، لأنها حى أغنياء . إن كثيرين من أساتذة هذه البلاد ، وحتى كتابها يذهبون إلى مثل هذه الأماكن . وفيها مكتبة أيضًا . أشتغل أنا فيها .

ذكّرته فى أى محطة يترجل ثم بأى خط يذهب . قالت : انظر ، واعلم أيضًا أننى الآن سعيدة لأننى فى مكان ما من الدنيا ، حتى ولو كان على الورق وباللغة الفارسية . حسنًا ، ليس سيئًا أن يبقى شىء من كل ذلك الماضى الذى صار ترابًا ، غير بضعة تصاوير ، مع أنه محرف .

عندما نهضت كى تركب قالت : أنا ممتنة لأنك كتبت عنى أيضًا .

ثم استدارت وقالت : تَلْفن .

قضى بضعة الأيام التالية جميعًا فى التجول والسياحة والفرجة . ذهب صباح الخميس إلى متحف «أورسى» ، وبعد الظهر زار «البانثيون» . كان تمثال « فولتير » كأنه هو . هنا ، أى بشر ينامون على الحجر وراء أسماء! ، وفى اليوم التالى راح يبحث من الصباح حتى العصر عن لاعبة الحبال لـ « شاغال » . لم يكونوا يعرفون أين . لو أنه أراد أن يكون حريصًا على رؤية كل ما يريد فعليه أن يبقى ويأتى فى كل أسبوع يومًا ، بمفرده ، لعدة ساعات . انطلق مع على عصرًا وراحا على مهل إلى قبر « هدايت » (١٧) فى «بيرلاشيز» . لقد وجد مكانًا منعزلاً . وقال هذا لعلى أيضًا ، وقال بعدئذ : وهذا أيضًا لأننى تصورت أنه لم يكن موجودًا ، وإنما تصورت وجوده .

لم يسمع ، أو أنه لم يرد أن يتكلم . على جريدة على طريقته كان يعد البساط : بضع حبات طماطم ، حمراء ، وظرف لبن . يقشر خيارًا ، لم يكن من ذلك الأخضر المشبع الذى زهرته برأسه ، قال : سمعت أن كل القطط تجتمع ليلاً هنا على تلك الصخرة .

كان قد قال كثيراً من أمثال هذه الأشياء ، ولكنه قال : أتقول حقًا ؟

ـ قلت إنني سـمـعت . تـأتي أولاً قطة سـوداء . تجلس على هذه الصـخـرة وكما لو أنها حنجرتها مكلومة تئن ، ثم من هذه الأطراف يتجمع ما يوجد من قطط على تلك الصخرة الأخرى وتجلس على هذا النحو حتى الصباح ، مسمرة العيون برسم البوم هذا أو باسمه .

جاء بضـعـة مـعـارف من أهل القلم أيضًا ، لابد أن عليًا كـان أخبرهم . جلسوا حول قبره ومع كل جرعة كانوا يذْكرونه بقطرة . وأخذ هو حصته فذهب إلى لوح قبر « حسين غلام » (١٨) . « غلام حسين ساعدى » (١٨) كتبوها على لوح قبره بالخط نفسه الذى كان يُخط على أغلفة كتبه . على الاسم واسم العائلة المحفورين نثرها كلها ، ثم انحنى وبكى حتى شبع فؤاده . على أية صخرة يجلس المبدعون هنا ؟ استقرت يد ثقيلة على كتفه . لم تكن يده بل هذه اليد هى صوت بكاء ملعلع صار مقبِّلاً للقِمة محبةِ يده . كان ناصر ، قال : أتدرى ، إننى أتذكر دومًا ذلك اليوم الذى أردت فيه أن أستضيفه . ليس عرفًا هنا أن يحمل أحد همّ أحد . مرة واحدة ، تكون جيدة ، ولكنه كان يدفع دائمًا . ذهبت عنده . كان عندى مال نقد ، حتى أننى أخذت من المصرف ، قلت لعله يركبه هوس أن يكون ميتًا بالألوان . قلت : « لنذهب ، الليلة ضيفى » ، جاء . عندما أردت المحاسبة ، مرة أخرى أمسك بيدى . قلت : « أفلم نتفق ؟» . قال : « لا . لا يصح» . فقفز من فمى : « كل من عنده أكثر ، يدفع » . فقال : « موافق » . ثم أشار بما معناه كم عندك ؟ كشفت كل ما كان عندى . قال : « ليس سيئًا » . ثم مدّ يده إلى جيبه ، هذا الجيب وذاك

الجيب ، حتى جيب جاكتته الصغير ، وراح يخرج مالاً بقطع كبير وفكة ويصبه على المنضدة . كان عنده كوم مال ، مدعوك ومستو ، فكة وصك واحد . قال : « عدّ » . كان مالاً كثيرًا ، افرض مثلاً نفقاته لشهر . طبيعي أنه كان عندي أكثر ، ولكنه كان قد وضع كل ما عنده هناك في الوسط .

مرة أخرى ساعد بالبكاء اليد الموضوعة على جبينه . قال : ليس من المألوف هنا أن نحمل كل ما نملك إلى هنا وهناك .

جاء البقية أيضًا ، وذكره كل منهم بأمر . يذهب المبدعون بجاكتة أطول من سيقانهم ليجلسوا حيث لا يزال خاليًا ، وإلى جانب سفرة النجيل ، حتى ينهضوا فينفضوا عن أكتافهم غبارًا ، ويجلسوا في زاوية أخرى . إن السجال الدائمي صعب هذا هو الأمر . قال : كأن المرء يروي حلمه عما يرد في الواقعة .

قال مساء لناصر : أتعرف إيماني هنا ؟

- لماذا ، أفأصاب صابونه لباسك (١٩) ؟

قال إنه يعرفه الآن فقط باسمه ، ولكنه قبل سنوات ، عندما كان في الخامسة عشرة ، أو السادسة عشرة كان رآه . قال ناصر : إذن فأنت تراجع خاطرات طفولتك ؟

- إذن فقد سمعت أيضًا ؟

وأخيرًا انصرف إلى إيماني . كان قد سمع أشياء متناثرة . عندما جاء إلى هنا كان قد نهش يسارًا وعض يمينًا ، وفي البدايات أراد حتى

أن يصدر مطبوعًا بلغتين ، ولكنه انهمك لاحقًا فى التجارة ، أو فى الدلالية أصلاً . قال : كنت أعرفه على البعد ، يجب أن تسأل «بهمن» . كانا منذ سنة أربعين ، واحد وأربعين [٢٠] مع بعض .

قال صباحًا لعلى : إنكم تعيشون هنا فى القرية ذاتها التى جلبتموها معكم من إيران .

كان يلتقط صورة لامرأة سوداء ، قال : وما أحسن من ذلك! كلما تهنا نستطيع أن نذهب إلى تلك القرية ذاتها .

كان قد ضاع حتى الآن مرتين ، ولكنه يستطيع الآن أن يقول بضع جمل بالفرنسية : يأخذ سجاير ، أو يطلب شيئًا . كان على يقول : هنا حتى لو كانوا يعرفون الإنجليزية لا يجيبونك ، لو ذهبت إلى مركز « جورج بومبيدو » الثقافى ، لرأيت الخارجيين يضعون ، اضطرارًا ، السماعات فى آذانهم ، كى يتعلموا اللغة .

تلفن لبهمن أيضًا . شاهدا معًا المركز الثقافى وعصرًا أيضًا كنيسة « ساكره كور » . قال إنه كان يعرف صنم بانو منذ الطفولة وإنه قد رآها هنا الآن . وإنه رأى المهندس إيمانى منذ سنوات .

قال بهمن : صنم هنا تحضر للدكتوراه ، قرأت مؤلفات الجميع ، وهى تسأل عنك أيضًا أحيانًا . تعيش بمفردها ، لابد أنك تعرف . المهندس الآن فى دبى كما أظن . إنهما منفصلان منذ سنوات .

- أعرف هذا .

ـ وقد جاءت إلى ألمانيا . ألم تجر لقاء معك ؟

ـ رأيتها هنا .

رأى أن يده ترتجف . سأل : إن كان ذلك يؤلمك ، لا نتكلم فيه ؟

كان ينظر إليه بشعر أبيض تمامًا وشارب ملح ـ فلفلى تميل بعض شعراته إلى البنى بفعل دخان الغلواز . كانت عقد أربعة أصابع يده اليمنى على حافة الطاولة ، قال : ضنم لم أرها منذ سنوات ، روابطنا معًا تختلف . منذ البدء أيضًا كانت تختلف . مع أننى هناك أيضًا كنت أراها لمامًا . عندما كنا نذهب إلى بيتهم ، سواء أكانت هيأت شيئًا أم لا ، كانت تمر وتذهب . وكان عذرها فى الأغلب الاهتمام بدروس الأطفال وتمارينهم . ونحن كما تعلم كنا نأكل ونشرب . كنا أحيانًا فى الداخل وأحيانًا فى الخارج ، وفى أغلب الأوقات عاطلين . طبيعى أن المهندس كان وضعه حسنًا ، وكان يساعد . ثم جاء سنة ست وخمسين [٢١] إلى هنا . جاءت صنم بانو لاحقًا . وقد مضى أولادهما الآن كل لشأنه ، لا أعرف غير هذا .

سأل : أيأتى المهندس إلى هنا أيضًا ؟

ـ لا أظن . ولكننى فى الحقيقة لم أعد أراه ، لا طاقة لى على نظرياته العجيبة الغريبة .

ذهبا معًا إلى مونمارتر . فى وسط الميدان كان أكثر الموجودين رسامين يابانيين واقفين أو جالسين يرسمون صور أناس على ورق . ذهب ليلاً إلى بيتهم . كان عنده بنت وولدان . تشتغل امرأته فى محل

تصوير ، ويهمن نفسه ، كان ـ على الكبر ـ يحضر دورة تعليمية فلربما حصل على شغل . فى آخر الليل تحدث أخيراً عن إيمانى . وقعا سنة أربعين [٢٢] فى السجن معًا ، وعندما يعودان فيما بعد يشتغلان فى شركة النفط ذاتها . ويعتقلون إيمانى مرة أخرى سنة ثلاث وأربعين ، لمدة شهرين . كان يعرف ذلك ، ويعتقل سنة خمسين أو واحد وخمسين أيضًا . هـذه المرة يقيم ستة أشهر ، ولكنهم لا يسمحون بعودته إلى عمله ، فيأتى إلى طهران . بعد بضعة أشهر يحصل على عمل فى مشغل أحد الأصدقاء ، وأخيراً يصير شريكًا فيفوزان ببضع مناقصات ويعدلان أمورهما . قال : كثير من السياسيين السابقين ، أنت نفسك لابد تعرف ، حصلوا على الألوف المؤلفة فى تلك السنوات ، ثم عندما انقلبت الأوراق صاروا ، عن طريق الرشوة ، مناضلى مسيرة الطبقة العاملة ، ولكن إيمانى فى سنة ست وخمسين حوّل كل ما كان يملك إلى نقد وجاء إلى باريس . كان ابنه فى ألمانيا وإحدى بناته تدرس فى هولندا ، كما أنه اشترى بيتًا فى «روبلاج» ، فى الطابق الرابع ، ولكنه واسع جداً . كان فيه ثلاث غرف نوم وصالة بمساحة كل هذا البيت . سنة واحد وستين [٢٣] عندما وصلت أنا إلى هنا ، بعد ستة أشهر فى تركيا عانيت فيها كثيراً ، ذهبت إلى بيتهم . وكانت زيبا هنا أيضًا . كانت جاءت من أجل العطلة . كان مقرراً أن تأتى صنم أيضًا ، ولكنها لم تأت أثناء وجودى . فى تلك الأيام لم أكن أعرف لماذا لا تأتى . كان المهندس يقوم بتنفيذ كل أعمالها ، حتى أنه أخذ لها تذكرة باتجاه واحد . وأنا أيضًا كنت أنتظر مجىء «أختر» والأطفال . كنت ذات ليلة أنتظر هاتف أختر ، قال إيمانى : « لنخرج » . قلت : « ترى أننى أنتظر

هاتف أختر» . قال : « الجهاز يسجل . تلفن أنت فيما بعد» . كان مقرراً أن تتلفن أختر من «كويته» (٢٤) . مهما قلت لم ينفع معه . كانت حقيبته اليدوية في يده ويواصل فرك ذقنه . أخيراً قال : « لا نستطيع أن نعيش معًا » . قلت : « يعنى أنك تقول أن أرحل الليلة بالذات عن هنا ؟ » . قال : « مَن قال ، الليلة ؟» . وصاح : «تحرك ، يا رجل! إن أختر جنابِكم لا شك سيدلها عقلها أن تذكر رقم هاتفها . عندما نعود تتلفن لها» .

كان بهمن يلعب بشاربه . كان قد قلل سجائره؛ خمسة فقط يوميًا . وحتى عندما قدم لى ، لم يدخن . قال : خرجنا أخيراً وذهبنا إلى محل ما . قبل أن نجلس أوصى على مشروب ، شرب بضعة أقداح تباعًا وواصل التدخين . سألت أخيراً : « حسنًا ؟ » فقال : « ماذا تعنى ؟» . قلت : « هيا انفض! أفلم تكن تريد أن تتكلم ؟» . قال : « لم أرد إلا أن نخرج من ذلك المطمور» . ومرة أخرى شرب ، بقى صامتًا نصف ساعة أو نحوها .

كان بهمن هناك مترجمًا ، كان يترجم كتبًا علمية ، وفى بعض الأحيان يقوم بالتحرير فى مكان ما . هنا ، حسب قول ناصر ، انفصل عن الجميع كان قال : « يكفينى بعد . مجرد أن أوصل هؤلاء بضعة الأطفال إلى نتيجة ما هو بحد ذاته أمر كبير» ولكن مرة أخرى تملكه هوس ترجمة كتاب . ولهذا السبب كان مستعداً أن يراه فلربما وجد له ناشراً .ولم يعد يشرب . قال : يجب أن أنهض فى الصباح الباكر إذا أردت أنت اشرب .

قال : إى ، كنت تروى .

- أتعرف ، أنا لم أقل هذه الأمور لأحد . حاولت أصلاً أن أنساها . وأنت أيضًا يجب ألا تكتبها . هناك ، لدينا عرف جيد ، إننا لا ننشر قط ملابسنا الداخلية على حبال شرفاتنا .

- نعم أدرى ، لأننا نخشى أن يُعدّ منها الصديق والعدو قصة وضجة ، ولكن ألا تظن أن هذا هو السبب فى أن كل جيل يمضى على الدرب نفسه الذى قطعه الجيل السابق ؟

- العدو ، أعرف الآن ، يعرف ، هنا يوجد مقدار كبير من الوثائق والمستندات ، وكلها مصنفة بحيث لا تقوم حاجة لاعترافاتنا .

قال مرة أخرى : طيب ؟

- قلته لا لشىء . لأنه يمكن للمرء فى الحقيقة أن يرى الناس ، أو أحيانًا دون أن يريد حتى يهدم عش أحدهم .

وماذا عن عشه ؟ أو عشه هو ومينا والأطفال الذى يمكن أن يسلموهم إياه بعد بضعة أشهر فى الطابق الثانى عشر من المجموعة لا أعرف كم ؟

قال بهمن أخيراً : كنت أقول . سأل إيمانى ، ربما لأنه رآنى ساكتًا : « أفهمت لماذا خرجنا نحن الاثنين ؟ » . قلت : « لا » . قال : « أولاً ، لأننى لم أكن أريد ، إن تنازعنا ، أن تصحو « زيبا » . إنها تريد أن تعود غداً إلى هولندا ، وبالقطار . مهما حاولتُ لم تقبل أن أرسلها بالطائرة » .

سوّى أدنى شاربه برأس أصبعه ، قال : سألته أنا : « وما سببه الثانى ؟» قال : « أنت نفسك تعرف خيراً» . كان يغيظنى جدا . لا أذكر الآن . ربما كنت صرخت به . مرة أخرى طلب شيئًا ، وكان يطلب منى دائمًا أن أتكلم بصوت منخفض . أخيراً دفع وجهه المحلوق جيداً إلى أمام ، وقال من بين أسنانه : « قل الآن مثل رجل ، ما اعتراضك علىّ ؟ لا تخف ، لن أزعل» .

لزم الصمت ، ولكنه بقى مدة ينظر إليه ، ثم قال : لم أكن أعرف ما علته . قلت له ذلك ،وحتى قلت إننى لا أدرى لماذا تشبث بى هذه الأيام الماضية . ثم نهضت كى أذهب ، أمسك بيدى وأجلسنى . صار رحيمًا ، لا أدرى قال إنه سيفعل لى ولزوجتى وأطفالى كل ما يمكنه أن يفعل . وعندئذ طرق الموضوع الأصلى : أن أسرع قل لى ، قل مواجهةً ما تعرف عنى . وكان يصيح أيضًا . فهمت توًا ما كان يفعل . لابد أنك تدرى أننى تعرضت لاستجوابات مكررة . وطريقتهم هى أن يوالوا التهديد والترغيب دائمًا . طبيعى أن هذين الدورين يلعبهما شخصان . كان إيمانى نفسه يقوم بالدورين بنفسه . ما إن قلت له هذا حتى أمسك بمعصمى فجأة ، ثم وضع حقيبته اليدوية على الطاولة ، وقال : « سنرى الآن » . عندما فتح حقيبته أخرج منها كتابًا . كان قد جلّده بورق جريدة . قال : « أتعرفه ؟» قلت : « أنا لا أدرى ما هو» . أعطانيه بيدى . قال : « افتحه ، أينما أردت منه افتح ، ستفهم ما هو . لابد أنك قلّبته هناك مئات المرات» .

أخذ بهمن سيجارة أيضًا ، قال : سأدخن هذه فقط . أستحى أن أمد يدى غداً أمام أختر كى تعطينى ثمن السجاير .

سأل : أى كتاب كان ؟

ـ لابد أنك أنت أيضًا رأيته . كان إيماني يصرخ : «لا تخف ، افتحه!» . تكلم كثيرًا ، كان يسب كل من رأوا هذا الكتاب ، وحكموا عليه عن عميً . كان الكتاب يرتجف فى يده ، وعندما أمسكه باليسرى كان يرتجف أيضًا . حسنًا ، فتحت الكتاب . بنظرة واحدة عرفته . كان قائمة مخبرى السافاك [٢٥] الثمانية الآلاف ، التى طبعت حسب ترتيب الألفباء . تذكره ، لا ؟ طيب ، كنا جميعًا قد رأينا هذا الكتاب سنة ثمان أو تسع وخمسين [٢٦] ، وقرأنا أسماء واحد أو أكثر من المعارف . وكنت تجد فيه أحيانًا أسماء لا يقبل العقل السليم أن يكون أصحابها من مخبرى السافاك ، أو حتى أن يكونوا تعهدوا بالتعاون . أنا نفسى رأيت واحدًا فى سجن شيراز كان فى الأغلب محبوسًا انفراديًا أو يأخذونه إلى الكميته [٢٧] ثم يعودون به معجونًا مهروسًا . كان اسمه أيضًا مذكورًا . وقلت هذه الأمور لإيمانى أيضًا ، حتى أننى أقسمت أن هذه القائمة مزيفة وقد نشرت للتشويش . قال : « لا » . خطف الكتاب من يدى . قلت : « والمقصود الآن ؟» . وربما لم أقل شيئًا . لا أذكر الآن ، ولكننى أذكر أن يده كانت ترتجف مرة أخرى . أظنه رآنى أنظر إلى يده ، إذأمسك فجأة بالكتاب أمام ناظرى وصاح : « ترتجف ، نعم ترتجف » . وبعد أن وضع الكتاب فى حقيبته أمسك كلتا يديه أمام وجهى ، وقال : « انظر إليها جيدًا ، وانظر إلى هذه أيضًا . ولكن لا تتصور أننى أرتجف خوفًا ، أو خزيًا ، إننى أرتجف نفورًا ، نفورا من كل أولئك الذين أفلتوا ، وهم الآن فى هذه الأنحاء يضحكون على لحيتى ولحى أمثالى » .

رأى أن السيجارة ترتجف في يد بهمن ، قال : إن أردت فلنترك الحديث إلى يوم آخر .

قال : لا ، لا .

ـ قل لى ، أكان اسمه موجوداً ، أم لا ؟

ـ طبيعى أنه كان موجوداً ، أنت أيضًا يمكنك أن تراه . ليس عندى ، ولم أتجشم قط عناء أن أجده فأنظر فيه ، ولكننى متأكد أنه موجود ، ولكننى لا أدرى لماذا لم أره ، ربما لأننا كنا نفتش عن أسماء معينة . وقلت ذلك لإيمانى ، وحتى قلت : « ربما يكون وقع اشتباه ، تشابه أسماء مثلاً» . فقال : « اشتباه أو لا اشتباه ، ليس مهمًا ، المهم بالنسبة لى هو لماذا جئت مباشرة إلى بيتى ؟» .

كان بهمن أيضاً قد صار عصبيًا ، كان يطق سُلاميات أصابعه ، يسوى ـ بلا سبب ـ ياقته . قال : كان يتصور أننى ذهبت إلى بيته عمداً كى أنتقم .

سأل : على ماذا تنتقم ؟

ـ فى البدء لم أفهم قصده ، لكثرة ما كان يهذر من هنا وهناك . كان قد سكر على نحو سيئ ، هو بالذات الذى كان قليلاً ما يشرب ، أو يكتفى أحيانًا بترطيب شفته . كان قد أمسك بيدىّ ، وأخذ يصيح : «اعترف بأنك كنت تفكر فى قتلى » ، ولكى أهدئه ، قلت : « دعنى بابا ، لقد تعهد كثيرون اضطراراً بالتعاون ، ولكنهم فيما بعد لم يعطوا معلومات بقدر رأس إبرة » . فصاح : « أنا بالذات لا ، أنا كنت

ذا إيمان ، ولا أزال ، وكنت أعرف منذ وقت طويل قبل ذلك بأنه لن يخرج من البـيت السرى غير ما تـرى » . لا أدرى كيف طـفر من فمى أن : « الآن قل لى حقًا ، كم شخص أسلمـت للقـتل ؟» فارتـفع صراخـه : « أسلمت للقتل ؟ كلا ، ساعدت كى لا يسلموا أنفسهم بإرادتهم للقتل ، أو فـى الأقل للسجـن عدة سنوات » . كان يصرخ : « لو كان بيدى ، لم أكن لأدع أحداً منهم يبقى حياً » . حسناً ، عندما رأيت أنه كان يبالغ كثيراً ، وأن الجميع كانوا ينظرون إلينا ، نهضت كى أخرج ، لكنه أمسك يدى مرة أخرى وقال : « الآن وقد صرت تعرف كل شىء ، لا يحق لك أن تذهب هكذا » ، فقـلت : « عـساك لا تريد أن تعاقبنى أيضًا » . فـضحك وقال : « ما كان لأحد ، وليس له الآن ، شغل مع أمثالك ، لأنك كنت من أهل الكلام فـقط ، كـان يجب إفناء أولئك جـمـيـعًـا ، الذين يسـيـرون بالحكـومة نحو العـنف . إنك لترى نتيـجة عمـل « بادر ماينهوف » ، أو « الألوية الحـمـراء » . لا يمكن أن تذهب إلى أى مكان مـا لم تـأخـذ تأشيرة دخول ، بكل تأخيراتها ، مقدماً ، فى حين أنه قبل خمسة عشر عامًا كان يتم العمل فى المطار أو عند الحدود ، بتأخير لا يتجاوز نصف الساعة » .

قال : هناك أيضاً يقولون هذا الكلام . وجد هذا النوع من التسبيب عموميةً الآن .

- أدرى ، وربما لم يكن هذا الكلام كله كلام إيمانى ، لأنه يمكن كل يوم سماع هذه الأشياء من حضرات العقداء والجنرالات والساواكيين السابقين ، ولكننى سمعته أول مرة من إيمانى . كان يقول : « صارت

لعبة حروب العصابات هذه سببًا لحرمان الناس العاديين من كثير من الأشياء ، من السفر ، أو تبادل المعلومات» . ولم يكن كلامه بلا ربط أيضًا ، فأنت بنفسك ترى أن أساطين الرأسمالية ما زالوا يحصلون على كل شيء ، ولكن نحن . .

قال : موافق ، ولكننا أخيرًا ينبغي أن نجرب نحن أيضًا ، لم يكن بمقدورنا أن نجلس حتى يتغير العالم ، أو كما يقول ذوو الاصطلاحات تتهيأ وسائل التغيير كي نشرع نحن أيضًا بالعمل .

قال بهمن : أظن أنني قلت شيئًا في هذه الحدود . قال إيماني : « ماذا كانت نتيجة ذاك ؟ إذن فقد كنتُ على حق إذ وقفت بوجه ألاعيب حرب العصابات بقدر ما أمكنني» .

قال : مسكينة صنم بانو!

- نعم ، ولكنني أتصور أنها كانت قد شمّت شيئًا قبل ذلك بكثير . هي تدعي بأنها علمت بعد سبع وخمسين [٢٨] ، ولكن أنا بالذات لا أصدق . كان إيماني يتعاون منذ سنة أربعين ، أو واحد وأربعين بالذات ، كان هو نفسه يقول : «على الإنسان السياسي أن يلزم - من بين المتمرد والحكومة - جانب الحكومة ، من بين الحزب السري والحكومة جانب الحكومة ، لأن أي نوع من العمل السري ينفع الذين يريدون أن يصيروا باسم الشعب ، سادة على الشعب» .

قال : أتعبتك .

ـ لا ، ولكن كلما تذكرت كلامه ،أو أفعاله أصير عصبيًا . فى تلك الأيام كان وضعى أسوأ ، كنت مضطرًا للبقاء فى بيته ، لأنه كان مقررًا أن تتلفن أختر بمجرد وصولها إلى كويته كى أرتب أنا هنا أمورها . مرت علىّ عشرة أيام لن أنساها أبدًا ، وفى الأخير نبقوا من تركيا . كان إيمانى يستغل هذا الوضع ، كأننى كنت مساهمًا فى اغتيال أولئك الأميركان الثلاثة ،أو أننى أنا من أثار اضطراب الجامعة عندما كان مقررًا أن يزور « نيكسون » طهران . ذات ليلة ، فى منتصف الليل ، قفزت من النوم ، رأيته يجلس فوق رأسى ، ولم يكن يلبس شيئًا غير سروال داخلى قصير . قلت : « لماذا جلست فوق رأسى ؟ » . قال : « لا تخف ، لا شأن لى بك ، لم أرد إلا أن أرى هل الإنسان هنا عديم الدفاع فى نومه كما هو هناك» . الحقيقة أننى خفت . فى تلك الليلة ذاتها اعترف بأنه هو نفسه من كشف مجموعة دامغان [٢٩] . سألته : « لم تكن المحقق ؟» قال : « المحقق إنسان فظ لا يعرف غير أن يحمل شخصًا ، بضرب الكابلات ، أو فى الأقل بضغط عدم النوم ، على الاعتراف ، أنا كنت أعرف من أول نظرة » . كأنما كان هناك مهندس يأكل الشطائر ظهرًا ، وينام فى إحدى غرف المشغل . عندما توزع مناشير فى المشغل ، يذهب إيمانى مباشرة إلى غرفة صاحبنا ويفهم من كتبه ما هو . كان يقول : « عندما ينام المرء بملابسه ويأخذ صباحًا ، عند الفجر ، دش ماء بارد ويتسلق أيام الجمعة الجبل حافيًا يكون معلومًا أى خيالات ينطوى عليها رأسه» . كان يصيح : « لم يكن هؤلاء بناة المجتمع الجديد ، وإنما المبشرين بمعسكرات المستقبل » .

سأل : ما كانت أسماؤهم ؟

ـ لا أدرى ، لم يقل ، ولكن يمكن العثور عليها . كأنما رأى هو نفسه أحدهم هنا ، كان يقول : «أترى ؟ الآن صار هؤلاء شهداء أو أبطالاً ، ولكن أمثالى . . .» ليس مهما ، كان يقول لغواً ، وربما كان يخاف ، وأخيرًا ذهب إلى دبى ، يقولون إن شغله هناك رائج . أيقوم بالدلالة ؟ لا أدرى . يعمل بالنقد الأجنبى ؟ لا أعلم .

سمع هذه الأقوال ذاتها من الآخرين أيضًا ، كان يسأل هنا وهناك . وقرأ قصة على جمع الإيرانيين . كان قد أهداها إلى زوجته مينا ، مع أنه كان يدرى أنه قلما تحدث فيها عنها . لو لم يكن سيراها بعد لكان قال عنها أكثر ، ولكنه الآن استعار فقط منها شيئًا : ذلك الشعر الأسود الطويل الذى كان الآن ـ كان ذيله قصيراً وخفيفًا وذلك الخال اللحمى الصغير على خط خلف الأذن .

شرب من الكأس جرعة ونظر . كانت صنم بانو تجلس فى الصف الثالث جنب أختر . وكان بهمن أيضًا موجوداً ، حتى بعض ممن لم يلحق أن يراهم . ما الذى يستطيع أن يقرأه لهؤلاء فيكون جديداً ؟ إن ما هو أمامه لم يسبق أن قرأه حتى لزوجته . كان يجب أن يفهم أين هو فرج ، أو مهما كان اسمه ، الآن ، وكان حكيم موجوداً أيضًا . بعثنون وشعر أشعث أبيض . قال : هذه القصة الأخيرة ولكن قلبى لا يطاوعنى . أفكر أحيانًا أنها كما هى ليست رديئة ، وها أنا أقرؤها للمرة الأولى ، ربما يمكن القيام بآخر التصحيحات هنا ونشرها .

مرة أخرى نظر إلى صنم بانو . كانت قد جعلت يدها اليسرى عموداً لذقنها ، وراحت تنظر إليه وسبابتها على شفتها وأرنبة أنفها . كانت جعلت شعرها إضمامة ، وأهرقته على كتفها وصدرها . عسى ألا يكون تحدث هنا أيضًا عنها ؟ قرأ :

كان يراه جالسًا على حافة ساقية لم يكن رأى أولها ولا يدرى إلى أين تذهب من هذا الجانب . كانت ساقية ضيقة وماؤها رائقًا ، وكان باردًا أيضًا . يلتف حول ساقيه ويذهب ظليلاً زلالاً . كان حوض الساقية طينيًا . عندما وضع قدمه فى الماء عرف ذلك . ولكنه الآن صاف وظليل وجار ويمضى . ترك حذاءه وجوربه إلى جانبه وجلس واضعًا يديه على ركبتيه تحت وهج شمس كانت تشع ساخنة وعمودية وتحرق قفاه ، ولكن برودة الماء وصفاءه كانا يغسلان رجليه ، وهما يغسلانها ولم يعد مؤخر قدمه اليسرى يخز . على حافة الساقية فقط هنا وهناك كان ثمة خضرة ، خضرة ناصعة ، وكان الباقى ، بقدر ما يظهر ، منحدراً ، لا أجمة فيه ولا شجرة .

كان هذا كل ما كتبه خلال هذا الأسبوع أو الأسبوعين ، وصار يقرأه صباحًا بعد صباح ، والسيجارة بيده ، منتظرًا أن يتكمخ الشاى فيسحب مع أول جرعة نفَسه الأول ، ولا يتذكر أين رآه عندما كان

يتذكر كل وضوحه ذاك : جاكتة كحلية على كتفه وبنطال رصاصى حول ساقيه . كان حذاؤه متربًا ، كان خلعه وجلس ، واضعًا قدميه المنفطين فى الماء البارد والجارى ، وراح ينظر إلى هذه التربة الطينية المتشققة على الجانب الآخر من المنحدر ، بعينين مقروحتين من عدم النوم ليلاً ربما .

يأكل لقمة أو لقمتين ثم يعاود القراءة ، عاليًا كى يعرف ما يفعل به ، أو ما يفعل به الرجل ، إلى أين يأخذه ما دام يعرف أنه لا يريد أن يذهب إلى أى مكان . كان يحلق لحيته ومع ذلك يرى أن لا شبه له بالرجل . لم يكن للرجل شارب ، وربما كان حلقه ، وله أنف يخز المًا وشعر صاف وأسود ولكنه أشعث ، يجلس فى النسيم الرقيق الذى يهب ، اليدان على الركبتين ، تحت شمس ساخنة تحرق عنقه .

كان يلبس لباسه ويحمل الحقيبة والكتب بيده فيذهب إلى الكلية كى يلقى درسًا وإذ يعود ظهراً أو عصرًا يقرأ مرة أخرى ، ومرة أخرى كانت هذه السطور المعدودة نفسها ، والرجل الذى كان يجلس متعبًا ، محدقًا بالصحراء الخاوية الممتدة أمامه ، إلى حيث كانت كلها منحدرًا ترابيًا وأرضًا متشققة ، ومن بعدها أرض مستوية تمتد حتى الأفق ، بدون أى خط لجادة أو علامة على بيت أو شجرة أو مكان .

كان فى الثامنة والثلاثين وقد انفصل عن زوجته ، ولا يرى ابنته إلا فى فصول الصيف ، شهراً واحداً . كانت فى الثانية عشرة وتعيش مع أمها فى « آمُل »[٣٠] وكانت المرأة معلمة . كان قد أصدر حتى الآن ثلاثة كتب : رواية ومجموعتى قصص قصيرة ، ولكنه لم يعد يستطيع أن يكتب منذ مدة ، ربما لأنه يدرّس هذه الأمور ذاتها وفى بعض الأحيان يتكلم عن قصة كتبها هو .

لم تكن عنده دروس فى صباح السبت والإثنين والخميس فكان يبقى عادة فى البيت كى يكتب ، كان يكتب هذه البضعة الأسطر على ذلك النحو وكان اليوم الأربعاء ، العاشر من آبان ست وخمسين[٣١] .

عندما وصل المغرب إلى البيت قرأها مرة أخرى . وعندما كمخ الشاى أيضًا وسحب هاتفه ، جلس مرة أخرى وراء منضدته وقرأ ، والقلم بيده ، رآها جالسة وقد ألقى النسيم الرقيق الذى كان يهب شعرها على جبينها ، لا ترطب شفتيها المتشققتين حتى بلسانها ، أو برطوبة ماء من ذلك البارد الصافى الظليل الذى يصطفق على قدميها الحافيتين ، ويمضى إلى مكان لم تكن تدرى أين . نظر إلى بياض الورقة وأصغى إلى صوت النغمة القادمة من الدهليز ، كما لو أن إبرة الحاكى قد بقيت على الأسطوانة المشروخة .

صفّى صدره بسعلـــة ، وشـــرب مـــرة أخرى جرعـة ماء . قـال : « اعذرونى » . مرة أخرى تعكرت نظارته . مسحـها بمنديل . كم كانت بعيدة تلك الأيام التى كان الحاجز فيـها بين الفم والأذن قطرات المطر المنفردة المختلطة ، التى كانت تنهمر على ذلك الوجه غير المعروف! عندما ذهب بعد الظهر كى يرى ما هناك ، تعجب من كثرة الناس وراء الباب المغلق . كان مقررًا أن يقرأوا شعرًا، وكانوا قلقين خشية ألا يأتى أحد . مرة أخرى يصلون ، يترجلون عن سيارات الحمل الصغيرة أو دراجاتهم النارية . أحيـانًا كانوا يصلون حتى راجلين ، ويجلسـون جنب جدار الجمعية الثقافية ووراء بابها المغلق . كم كانت بعيدة تلك الوجوه التى كان الكلام ، المسموع أو غير المسموع ، يسد أفواهها . كلا ، كان عمر تلك الأيام وكفاحها ثلاثين سنة . كان يلقى أحيانًا درسًا ، وكانت المرأة قد ذهبت ، قالت : « لا تدعنى أنام ، أنا لا يؤاتينى النوم عندما يكون المصباح مضيئا» . فى عصر أحد الأيام عندما وصل إلى البيت ، رأى أنها كانت ذهبت . كانت موجودة . ولم يكن عندهمـا طفل كى يرى أحدهما الأخر بهذه الذريعة . وضع النظارة على عينه وقرأ :

لا ، لم يكـــن يرى ما وراءه ، حتى عندما يغمض عينه . لم يكن رآها فى الحلم أيضًا . كان قال فى مقابلة إنه يقرأ عادة قبل النوم ما كان كتبه ذلك النهار ، كى يرى بقيته فى الحلم . لم يرَ ، ربما كان هذا لأن سيمين أو ياسمن ، لو أنها كانت قالت الحق هذه الليلة أو الليلتين الأخيرتين ، كانت تتلفن أثناء هذا الشهر أو الشهرين

الأخيرين ، كل ليلة ، بين الثانية والثالثة بعد منتصف الليل ، ولا تتحدث إلا عن نفسها . فى الليلة الأولى قالت : « أخذت رقمك من صديق ، إن لم تكن تريد أو كنت أزاحمك ، لن أتلفن بعد» ، وفى كل ليلة كانت تدعى اسمًا .

كان يدرى أنه لا يستقيم هكذا . كان ثمة صخب كثير ، أو كان هو نفسه يجعله صخبًا . لندع الكلية وطلبتها جانبًا ، أو هذا الصوت الذى كان يراه كل ليلة بشكله ويناديه حتى بالاسم ، أو مثلاً عندما ذهبت المرأة ، فقد كان مكانها الخالى موجودًا جنب كل شىء وكل مكان . وكان ثمة ولائم أيضًا : ناس جدد ما أن يعرفوه حتى يتحدثوا عن أحلامهم ، أو عن موت الجدة التى تدخل فى لحظة احتضارها بصوتها عندما كانت فى الثالثة عشرة مع جد مات منذ عشر سنوات ، أنْ : «لمَ لم تشترِ الجارقد[٣٢] النَقَدى[٣٣] الذى وعدت بشرائه ؟» وفى بعض الأحيان يتحدثان حتى عن أكثر لحظات حياتهما خصوصية ، ومرة أخرى عندما يرونه يتساءلون بإشارة اليد والعين عما فعل به . كما كان كتب دفترًا عن تاريخ الرقابة ، ووضع النسخة المنقحة الوحيدة التى يملكها وراء بابه كى يأخذوها ، عندما يجلبون منشورًا ، وينشروها إن استطاعوا . وكان قد ألقى خطبة أيضًا على جمع ، فى الأمسيات الشعرية ،

وكـان قد اشـتكى من أنهم لا يدعـون الأعـمال تنشـر . يمكن الآن بالطبع ، وسـريعًـا ، أن تصـدر كل الأعمـال التى لم تطبع ، ولكنه الآن ليس عنده غيـر هذه ، وعندما كـان الجميع كـما لو أنهم يعـرفـون إلى أين يريدون أن يذهبـوا ، أو أين يريدون أن يذهبوا بالمجتمع ، كـان يراه جالسًا : سـاقان فى الماء ويدان على ركبتـين ، كأنه فتش جيوبه ، ولم يجد سـيجارة واحدة ، وهو يعـلم الآن أنه لا يوجد ، على امتداد بصره ، سواد أية قرية أو مقهى .

وفى المساء كان مدعـوًا أيضًا ، إن لم يذهب سيكون عنده وقت إلى عصر الغـد ، حين موعد الاجتـماع . قرأ شيئًا ، وضع شـريط تسجـيل . كان قـد سحب هاتـفه ، وقرأه مرة أخرى . لا ، لا يمكن ، ولكنه يجب أن يكتب هذا بالذات . استـحم ولبس ملابسه وذهب ماشـيًا . فى رأس الزقـاق كان قـد رأى سواد إنـسان أو اثنين ، كـانا يقـفـان خلف الأشـجـار وكأن فى يـد أحدهمـا جـهـاز استقبال ـ إرسال صغـيرًا . كان بيت المضيف قريبًا وبقى إلى وقت متأخر من الليل وحـتى أنه قرأ ـ من محفوظاته ـ لسيدة كانت تحب أن تعرف الآن ، وقد صاروا يتكلمون حتى فى الجرائد عن كل شىء ممنوع ، ما الذى يكتب هو . كلا ، مـا كان ينبغى أن يقـرأ . وقرأ ذات ليلة ليـاسمن هذه إياهـا . هذا الذى لا يمـكن . أوصله أحـــدهم إلى

رأس الشارع . وعد بأن يراها مرة أخرى . كانت الساعة الثانية ، ولكن الزقاق مزدحم وكان المأمورون يسحبون سيارة محروقة بوسيلة جر ، وكانت السماء تمطر نثيثًا . لم يسأل ، كان يدرى . عندما ضغط زر الطابق الثالث ، رأى أن بابه مفتوح . «إنى لدائخ» ، قالها بصوت عال . أقفل الباب ثم أضاء مصباح المدخل . كانت تترك المدخل مضاء دائمًا ، حتى نهارًا . كانت طاولته وكراسيه الأربعة فى مكانها . ذهب مباشرة إلى غرفة نومه ، ونام دون أن يكمل خلع ملابسه . استيقظ على صوت جرس الهاتف . مدّ يده وأدار مفتاح مصباح المطالعة ، ورفع السماعة . سمع : كنت نائمًا ؟

كان صوتها المبحوح . كانت قالت ليلة أمس : ما شغلك باسمى ؟ افرض أنه سيمين ، أو ياسمن .

كل ليلة تقول اسمًا ، إن كان يصر . قال : نعم ، وأنا متعب جدًا أيضًا .

ـ أتريد أن أقطع ؟

ـ لا بعد ، فقد استيقظت .

ـ أرجو المعذرة ، لم تكن بيدى حيلة ، منذ ساعة وأنا مترددة فى أن أتلفن لأحد ما ، وأخيرًا فكرت أنك ربما تكون مستيقظًا .

ـ لم أكن مستيقظًا ، ولكن ـ حسنًا ـ أنا الآن مستيقظ . قولى !

بقى ينتظر . نظر إلى ساعته ، كانت الثالثة والنصف . لقد تلفنت الليلة متأخرة . كانت فنية فى مختبر ، عندها طفلان هى مجازة بأن تراهما أيام الجمعة فقط . كان جدهما يجلبهما ، ثم يأخذهما فى تمام الساعة السادسة عصرًا . تقول : « عندما رأيته يسبب فضائح ، تساهلت » . كل ليلة تقول شيئًا فصار الآن يعرف قطعًا من أشياء ، ولكنه لم يرَ بيتها ليستطيع أن يتخيل . كان يعرف حتى أنها طرزت على وجه مخدتها غصن كرز . فى بعض الأحيان كانت تقرأ له قصيدة وتسأله عن معنى بيت .

سألت : أرأيت كابوسًا مرة أخرى ؟

ـ مثل كل مرة .

قبل سنة ونصف كان هناك ، حسب قوله هو ، منذ بضعة أشهر ، والآن ، حتى الآن أيضًا ، يقفز من النوم أحيانًا ، ويحس أن مؤخر رأسه غير موجود . ينبغى أن يشد شعره إلى حد أن يضرب رأسه بحافة السرير حتى يحس بجلد رأسه . سألت : كيف حالك الآن ؟

ـ الآن لم يعد بى شىء . لقد أنرتُ ضيائى . لا أستطيع النوم فى النور . وعندما أستيقظ ولا أرى مكانًا أعانى شديدًا .

ـ أفلم أقل ليلة أمس : شد غطاء عين

ـ لا أستطيع ، حتى إذا اضطررت أن أبقى صاحيًا طوال الليل .

قالت : نعم قلت ، تذكرت الآن .

انتظر مرة أخرى كى تبدأ . لم يكن يسمع غير صوت أنفاسها . أرث سيجارة وكانت تتحدث؛ كانت تشرح كل وقائع اليوم السابق ، أن : مثلاً أية سيارة ركبت ، وما قال الراكب الجالس بجانبها ، أو إذا كانت تشاجرت مع السائق على الأجرة ، تحكى عن وجهها : أين مكان الثؤلولة فيه ، أو كيف رمت النقود . وفى بعض الأحيان كانت تتحدث عن شغلها ، عن زملائها . كانا امرأتين ورجلاً ، السيد « مرتضوى » ، أو « مرتضوى زاده » والسيدة « سام » التى كانت عينها اليمنى حولاء ، وكأنها تنظر دائمًا إلى شخص يقف بجانب المرء . وكان للسيدة « سرلتى » زوج وثلاثة أطفال ، ومع ذلك كانت عيناها تستكشفان . سأل : قولى لى ، عسى ألا يكون هذا السيد مرتضوى عاشقًا لواحدة منكن أنتن الثلاث بحيث أنه من الصباح حتى المغرب . . . ؟

ـ عنده زوجة ، تزوج منذ خمسة أشهر .

ـ وما هو أفضل! كان عاشقًا قبلاً ، والآن هو . .

ـ دع ظنونك لما بعد ، إلى حين تريد أن تكتب . لو كان مرتضوى عاشقًا ، فهو عاشق ابنة خالته تلك .

ـ ألا تزال السيدة سرلتى تلاحيه ؟

ـ منذ مدة لا يرد مرتضوى عليها .

ـ وماذا عن السيدة سام ؟

ـ إنها فى الثانية والأربعين ، وقد قلت لك عن عينها . . .

ـ أدرى .

ـ كأن حالك الليلة غير حسنة . نم الآن ، وسأحكى لك غدًا .

ـ لماذا غدًا ؟ أنا لم أقل شيئًا .

كان هذا ديدنهما . قال : انتظرى دقيقة!

رأى فجأة : انفتح الغلاف الجلدى لدفتر هاتفه على الطاولة جنب سريره ، ورأى كومة أوراقه أيضًا ، بين السرير والجدار رفع السماعة ، سمع : عندما استيقظت صباحًا فهمت مرة أخرى أننى حلمت به ، كان يرتدى قميصًا قصير الكم ، وذلك البنطال الجينز الذى رقعت أنا كلتا ركبتيه وكأنما كان على خده الأيسر أثر جرح قديم ، وكانت فى يده أيضًا حقيبة . كان حافيًا . يضحك أتسمع ؟

قـــال : أيمكـــن أن أرجوك أن تتلفـــنى بعـــد ساعة ، أو صباحًا ؟

ـ إذن لم تكن تسمع ؟

ـ فى الحقيـقة لا ، لأنه يبدو أن أحدًا مـا جاء إلى هنا حين لم أكن موجودًا .

ـ أنا واثقـة أنه ما من شىء ، أنا أيضًـا أفكر هكذا فى الأغلب . أحـيانًا عنـدما آتى إلى البـيت عـصرًا أتصـور كتبى اختلطت ، أو مصباحى مضاء ، أو لا أدرى . . .

ـ تلفنى صباحًا .

ـ اصحِ يا نايم ، أنا ينبغى أن أكـون فى رأس الشارع فى السادسة صباحًا .

قال : اسمعى ، الأمر جدى حقًا . أوراق دفتر هاتفى مقلوعـة ، وملاحظاتى أيضًـا متناثرة فى الغـرفة ، وهناك أيضًا . . .

ـ عسى ألا يكون لص قد سطا؟

ـ لا ، لأن آلة تصويرى موجودة .

ـ وماذا عن تلك البضعة الأسطر ؟ أأخذوها أيضًا ؟

ـ لا أظن ، ولكـــن دعـيـنى أرَ . . أصـــلاً كـــيف بأن تتلفنى مساء الغد ؟

وضع السماعة ونهض ، أشعـل مفتاح نور السقف ، كـان صوان مـلابسه مـختلـطًا مبـعثـراً . مرة أخـرى دق الهاتف . ذهب وسحب قابـس الهاتف . كانت جرارات سـريره مسـحوبة إلى الخـارج أيضًـا . ركض إلى غرفـة عـمله ، كـانت فضـيـحة . كـانت كل أوراق الجـرارات والعلبتـان تحت منضدة الكتابة قد كـومت على المنضدة . وإلى الطرف الآخـر من المنضـدة أيضًا ، أمـام الأرفف ، كـان مغطى بدفـاتر مكتوبـة ، وغيـر مكتوبة . حـافظات المقـالات النقدية واللقـاءات التى كان اقـتطعهـا من هذه المجلة ،أو تلـك الجـريدة ملـقـاة علـى الأرض . الكتب مسحوبة إلى أمام . جلس ، قال : لابد أنهم أخذوه .

نظر : كـانـت صنم بانو تنظر إليه ، وسبـابتـها على خدها . قرأ أيضًـا ، تحدث عن السيجارة التى كان دخنها . جالسًا أمام منضدته ، كـان قـد نظر إلى العناوين والأسـمـاء على طيـات الكتب ، رأى بعـد ذلك حتى الصباح الأوراق صفحة صفحة ، وجمعها فى إضمامة . كان قرأ رسـائل مضـى على وصولها عشر سنوات . كان قد مزق الكثير منها ، حتى قصصاً غير مكتملة كان قد حملها كل هذه السنوات معه إلى كل مكان ، وكان ثمة أيضًا تخطيطات لم يتذكر كيف كتبها . لا ، لم يأخذوا شيئًا . وكان الرجل أيضًـا لا يزال جالسًا ، وينظر إلى الجانب الآخر من المنحدر ، إلى السهل الذى كان مستوياً إلى خط الأفق ، بدون أى سواد لشجرة أو بيت . ولكن الماء البارد الصافى الظليل لا يزال يأتى ويغسل

قدميه الحافيتين المنفوطتين ، ويذهب إلى حيث لا يعلم أين . وفى الصباح عندما كان يتناول شيئًا قرأها . ولابد أنهم قرأوها أيضًا . بها ذاتها ذهب إلى فراشه وقبل النوم قرأها مرة أخرى . كان جهاز تسجيل أو اثنان أمامه . ماذا يمكنهم أن يفهموا من هذه ؟ أحد أجهزة التسجيل جلبه بهمن ، لابد أنه كان يتحدث أيضًا عن الكر والفر بين طلبة الجامعة ورجال الحرس ، أو عندما استدعوه إلى سلطنت آباد [٣٤] . لم يعد بعدئذ شيء من الضرب والإيذاء . حدثه الجنرال ، هو وحكيم ، عن خطر الشمال [٢٥] فقط . لو كان كتب ذلك لكان حكيم سيتذكره حتمًا . نظر إليها . كم كانت بعيدة تلك الأيام! قرأ :

برائحة عطن وإحساس برد فى عموده الفقرى صحا . لم يكن عندهم غير عشر دقائق وكانوا اثنين وثلاثين شخصًا . للحمام ثلاثة رشاشات فقط . قال استكى : نازِع . تنتظر ماذا ؟

عاريًا من الرأس حتى القدمين ركض وراء الصف . هناك رأى محل الكابل أو خط القيد القبانى . الآن لم يعد بمقدور أحد أن يخفى . على ظهر برويز السمين والأبيض خطوط سوداء بحواشى بنية تخرق العين أكثر . كان نائمًا على صدره ، وكان استكى يفرك ظهره بالكيس[٣٦] . أية سنة كانت ؟ الآن أيضًا يخجل من بضعة خطوط متقاطعة تلك التى على ساقه اليسرى . ثم خيم الصمت مرة أخرى . جلس وأرث

سيجارة . سمع : نشترى أطقم ملابس ، كرسيًا ، خوانًا ، سرير نوم .

نهض وذهب إلى المطبخ . أعد شايًا ، غسل الصحون ، ولكن كان ما يزال ثمة سكوت ورائحة عطن . دخن سيجارة . ما زال صوت السكوت يأتى ، ولكن لم تكن عنده خلوة . كان أحدهم يراه ، أو أنهم رأوه . أدار شريطًا . مقطوعات باخ الخامسة والسادسة للفيولونسيل . كان الرجل لا يزال يضع يديه على ركبتيه . مضى فوصل قابس الهاتف وجلس ينتظر . كان الخميس ، الساعة العاشرة صباحًا . كان النداء الأول من دوستى . سأل : أية ساعة نبدأ ؟

قال : الساعة الثالثة إلى الثالثة والنصف .

ـ أمن جديد ؟

ـ لا ، لا بأس بى . أظن فقط أن هذا الهاتف يعاود الخرخرة .

كان يدرك ، عاد إلى غرفة المطالعة . دار دورة ، والسيجارة بيده . رأى آثار مواقع الأحذية . أوصل المكنسة الكهربائية وبدأ . كان الهاتف يرن . فليرن . عندما وصل الغرفة رفعه . كانت الفنية . لم تكن تتلفن نهارًا قط . قال : ماذا جرى حتى تذكرتِنا ؟

ـ قلقت .

ـ كان يمكنك أن تتركيه لموعد نصف الليل .

ـ هل هجم لص ؟

ـ ليته كان هجم ، ولكنهم كانوا لسوء الحظ من الأصدقاء . طبيعي أنه ليس سيئًا في بعض الأحيان ، إذ يضطر المرء إلى إجراء تنظيفات وإعادة ترتيب في البيت .

ـ بضعة الأسطر تلك عن ذاك الجالس على حافة ساقية ، أهي موجودة ؟

لماذا قرأها ؟ قال : نعم في موقعها نفسه حيث كانت .

ـ أيهما ؟ ورقها أو هو نفسه ؟

ـ كلاهما .

ـ قل لي ، هل تبقى مستيقظًا ليلاً حتى الثالثة والرابعة حقًا ؟

- لو كنت أنتظر هاتفًا من أجل جلب مواد البناء .

سمع أصوات تنفسها . كانت الآن ترطب شفتيها بأسئلة لسانها وتغمض عينيها الشذريتين - إن كانتا شذريتين - سمع : وصباحًا تنام حتى الظهر ؟

ـ سبق أن قلت ، أنا متقاعد من إدارة القند ، والسكر .

ـ في سن الثامنة ، والثلاثين ؟

ـ من أين خمنت سني ؟

ـ حسنًا ، من كلامك .

قال : الآن إذا فهمت ، فأنا مثلك تطاردني الكوابيس . ألا تريدين أن تُرى وجهك ؟

ـ لم يكن مقررًا أن تطرق هذا البحث .

ـ إذن فأنت أيضًا . . . ؟

ـ لا ، أطمئن إلى أنني سأتلفن الليلة ، لأنني الآن قلقة عليك .

عندما كان يقفز من النوم ، حتى لو كان غفا حديثًا ، كان يتظاهر بأنه كان صاحيًا . كانت «مه نوز» قد قالت : « لم تعد تستطيع أن تكتب فتخلي انزعاجك على رءوسنا » . وكانت محبوبه تبكي ، تفرك قبضتين مضمومتين على كأسي عينين وفي بعض الأحيان تنظر مختلسة . كان قد نقل كل اللوحات المطبوعة فبقيت إطارات خالية مكان أطر التصاوير على الحيطان . ليته لم يكن نقل وجه فان كوخ ذاك : غليون في الفم وبقعة بقعة من اللون الأبيض بدلاً من القماشة البيضاء على

الأذن التى كان قطعها . وكانت ثمة بقعتان حمراوان عنابيتان فى زاويتى عينيه ، وهو ينظر إلينا . كانت مه نور تقول : « نهايتكم وعاقبتكم جميعًا ، أخيرًا هى هذه » . كانت الآن فى آمل .

قرأ شيئًا . ربما لأنه أحدث ضجة كبيرة لم يكن ذلك ممكنًا . فى أيام الخميس تصير الضجة هائلة . يأتى ستون ، وأحيانًا سبعون ، شخصًا من أهل القلم يريدون ، فى الظاهر ، أن يجعلوا اتحادهم رسميًا . كانت إعلاناتهم قد دارت هنا من يد إلى يد ، كما قرئ أحدها من الإذاعات الخارجية . كان يقدم فاكهة وشايًا وحلويات ، وبعد أن ينصرفوا كان بضعة منهم يعودون ويبقون حتى يطر الفجر . منذ أن ذهبت مه نور صار بيته ملتقى . ليست هذه مهمة . كان يدرى أنهم يعلمون . ولابد أن هاتفه أيضًا كان مراقبًا ، وكان هؤلاء يجلبون له أيضًا منشورات أحيانًا . كان الفضاء السياسى المفتوح(٣٧) بالنسبة لهم خدعة ليس غير . ترك لهم ذات يوم ملحوظة أراد فيها ، لأى سبب كان ، أن يحقق مطالب السنوات الماضيات ، وأراد فى كل لحظة ، حسب الظروف ، المزيد ، وضرب مثلاً عربيًا أيضًا من أن صاحب خيمة أراد أن يأذن بأن يجلبوا رأس بعيره فقط كى يحفظوه من البرد . وضعه تحت ممسحة الباب ،

لم يكن ظاهراً غير ذؤابته . لم يجيبوه . لم يكونوا يعرفون النضال إلا مسلحًا . كان تلامذته فى الأغلب من هذه الأنواع . فى الليلة الأولى عندما جاءوا كان صاحيًا . سمع صوت الخشخشة ، كما لو كان أحدهم يخمش باب غرفته . فتح الباب ، لم يكن ثمة أحد . هبط السلالم . كان باب الزقاق مفتوحًا وكانت سيارة تستدير من رأس الزقاق . عندما عبروا من أمامه ، رأى ظل رشيش أو ربما بندقية . كانوا أربعة أشخاص . كانوا وضعوا المنشورات فى كيس ورقى ، تحت حافة الممسحة . كان واضحًا ما يقولون . كان شاهدَ فى الجامعة . عندما يقرأ يأخذه إلى غرفة المولدات . كان وضعَ الكراريس التى كانت تصله من يد هذا وذاك أيضًا هناك . كانت هذه ثم . . . أحدث ضجيجًا ، أو قام ضجيج أصلاً. فى كل يوم ـ كان يأتيه الخبر ـ كانت ثمة تظاهرات فى مكان ما . ذهب مرة ،أو مرتين ، مع أحد طلبة الصف الثالث . كان يجب أن يذهب ليشترى فاكهة وحلويات . رن الهاتف . كانت الفنية تريد أن تعرف ما صار . قال : ماذا جرى إذ صرت تتذكريننا سريعًا ؟

ـ إن كنت منزعجًا لن أتلفن بعد .

ـ حتى فى الثانية والنصف بعد منتصف الليل ؟

لزمت الصمت مدة ، وقالت أخيراً : حسنًا ، لن أتلفن بعد ، ولكن دعنى أجد أولاً واحداً مثلك يكتفى بالسماع .

ـ لا ، جدى واحداً لا يتورط فى مشغولية قط .

جاء صوت ضحكتها ، ثم قالت : كيف بأن تبدأ أنت بالكلام من الآن فصاعداً ؟

ـ أنا ؟ أنا لا أرى أحداً .

ـ فى المقابل ، أرى أنا يوميًا مائتين وخمسين ، وأحيانًا ثلاثمائة نموذج برازهم ، أو دمائهم .

ـ يا لسعدك .

قالت : جاءوا إلى هنا أيضًا ، طبيعى أننى لست متأكدة من أنهم أنفسهم الذين جاءوا عليك أيضًا . كانوا يسألون عن فرج . كان أحدهم يلبس جاكتة بلا ياقة ويتلاعب دائمًا بشىء فى جيبه ، وذاك الذى يتكلم أكثر كان شعره تمريًا . تتقافز زاوية شفته . عندما أرث سيجارته وضعها فى النفاضة . لا أظنه كان مدخنًا . كان يسأل لمَ لم أعد ألبس ملابس سوداء ؟ فقلت ، وقلت إن بمقدورهم أن يذهبوا إلى الجد ، إننى عانيت كثيراً . كما أعطونى كراسة كى أقرأها ، يعنى . قلت ،

أنا لم أكن فى تلك الأوقات أيضًا أقرأ هذه الأشياء . ثم طبيعى أننى قرأتها ، ولكننى قلت : « أنا أتمنى فقط أن يعود أطفالى » . ذاك الذى كان شعره تمريًا ، حتى عندما لم يكن يتكلم كان يهز رأسه ثم يبعد بيده شعره الطويل عن جبينه ، كان يقول : « لو ظهر فرج لا تكلميه ، أخبرينا ، قال : « يمكنك أن تخبريهم » . لم أفهم لماذا أيضًا جرجروا رجلك فى الوسط . لم أعد أرى أيًا منهم . أنت فى الأقل تعرفين هذا .

قال : لنترك الباقى لهذه الليلة . سأبقى صاحيًا فى انتظار هاتفك .

ـ ليس له بقية بعد .

ـ طيب ، إذن فتلفنى مرة أخرى ، لأن هاتفى يخشخش على نحو سيئ .

ـ يخشخش ،أو مهما يكن ، ليس مهمًا لى ، أردت فقط أن أقول إن رأيتهم لا تصدق كلامهم . كان طاهر يقول : « نحن أيضًا نحتاج إلى قدوة ، لا يستطيع الناس فى الأغلب أن يعيشوا فى فراغ ، لابد أن يرتبطوا بشىء ما » ، وأنا أيضًا أتسمع ؟ أنا أيضًا فى نظرهم يجب أن أكون قدوة لكن لم يمكن أن أصير . ثم . .

ـ حسنًا ، دعى الباقى لليلة ، تعرفين أننى . .

ـ نعم أدرى . ينبغى أن يغفو جنابكم بعد الظهر ، بدلاً من ذلك قبل الظهر . . – حقًا – ماذا تفعل عادة قبل الظهر ؟

ـ أفلم يكن متفقًا أن تتكلمى أنت وحدك ؟

ـ فى الليالى ربما ، ولكننى أردت حقًا إحاطتك علمًا أن الخريف حلّ ، وأى خريف . صباحًا عندما كنت قادمة من بهلوى[٣٨] رأيت يا للفوضى تساقطت أوراق على الأرض بحيث ترجلت ومن هناك تلفنت للمجد . أتدرى ما قال ؟ قال : « سيدتى العزيزة ، هؤلاء عندهم درس ، ولا أظن الخريف سيذهب حتى الصباح إلى أى مكان» . ولكننى أظن أن الخريف الحقيقى كان اليوم فقط ، اليوم صباحًا ، كل من رآه فقد رأى ، وإلا فينبغى أن ينتظر حتى السنة القادمة .

ـ إذن فقد فاتنى أيضًا ؟

ـ للأسف .

ثم قالت : أرجو ألا أضطر الليلة بعد أن أوقظك .

حتمًا توقظه وتقول أى حلم رأت ، وتتحدث عن ذلك المرحوم أيضًا ، عن شاربه الأسود وحاجبيه

الكثين وعليه هو أن لا يقول غير : « حسنًا » .

تصيح :

- ألا تسمع ؟

- أسمع ، وأنتظر أن تنتقلى إلى لب الكلام .

كانت تقول : لب الكلام هو هذا ، هذه الأشياء الصغيرة والجزئية التى ينساها الإنسان نفسه بعد ساعة .

كانت تتحدث عن لون لباسها أيضًا ، عن القرط الذى علقته بأذنها ذلك اليوم . ذات ليلة ذكرت له واحدة واحدة كل الخردوات التى فى حقيبتها اليدوية . كانت مرآة حقيبة يدها من تلك المرايا ذوات الأبواب التى لها ظلفتان ، كانت بحجم كف اليد ، ولكن أولئك كانوا قد كسروا ، للأسف ، أحد بابيها . كان يقول : « أدرى بهذه ، سبق أن قلت » . كانت تقول : « إذن أرّث سيجارتك حتى أتذكر ما كنت أريد أن أشرح لك » . كانت قد أدارت رقمه - كانت تقول أخيرًا - مصادفة . كان صاحيًا وتصور أنها من المعارف وتريد أن تتلاعب به . لا ، كانت واحدة ، تريد أن يعرف أحدهم لماذا أعطوا حضانة هما ومهرى لجدهما . كان سأل : كيف مات زوجك ؟

ـمـات ، الـناس يمـوتون ، يصابون بالسكتة ، أو ينـدهسـون بسيـارة ، وفـى بعض الأحـيان يرمـيـهم أحد ما عمدًا عن صخرة إلى أسفل . هذه مهمة بالطبع ، ولكن الأكثر أهمـية هو عدم وجودهم ، هو أن يسـتيقظ الإنسـان فـيـرى أنهم ليسـوا هناك ، جنبـك خال . ثم يـبقى مـكانهم الخـالى ، على الوسـادة ، حـتى على الكرسى الذى اشـتـراه المرء بعـد وفاتهـم ، عندئذ يبكى المرء حـقًا ، فى الأكـثـر على نفسـه أن لماذا ينبـغى أن يتحـمل هـذه الأمـور . طيب أنا ـ هل تسـتـمع ؟ ـ قضـيت ثلاثة أشهر على هذا النحو . أحيانًا ، صدقنى ، عنـدمـا أصـب الشـاى ، أصب اثنـين ، واحـدًا لى وواحـدًا له . كنت حاملاً بهذه الصغيرة ، فى الخـامس من آبان[٣٩] يكتـمل عـامـاها ، والآن أيضًا أهيئ ثلاثة صـحون لى ، وأفـرض لسيـمـين ، أو ياسمن ، أو همـا ومـهرى . أهيئ الصـحون مـع الملاعق والشوكـات على المائدة فى المطبـخ ثم ، عندمـا أرى أنهم لا يأتون ، أفـهم أنهم غير موجودين .

فى تلك الليـلة إياها تصور أنفـها مستقيمًا وعندها على خدها غمازة . وسأل المرأة عـن هـذا بالضبـط . كانت المـرأة قـد صاحت : مـا أهمـية هذه الأشـيـاء ؟ حـتى المرأة ذات الأنف المكور يحق لهـا أن تركض مع أطفـالهـا تحت المطر ، تمسك أياديهم وتركض الطريق كله معهم تحت المطر .

ثم كانت تقول فجأة : « يكفى هذا الليلة ، يجب أن أنام بعد ، عندى شغل فى الصباح » .

بعـد بضعة أيام ، لكى يستطيع أن يساعد ، ذهب إلى « عامرى » ، المحامى ، وكان ليلتها يدرى بحيث عندما أيقظته الفنية ، وقالت أين تريد أن تأخذ الأطفال غداً ؟ وأنها طبخت لغدائهما كوفته (٤٠) ، سأل : قولى لى ألم يؤيدوا صلاحياتك الأخلاقية ؟

ـ لا يخصك .

ـ أدرى أننى لا يحق لى أن أبدى رأياً ، ولكن مشاوراً ينبغى . .

ـ من قال إنك مشاور ؟ إنك تعرف حتى الآن أموراً لم يكن يعرفها حتى طاهر .

ـ نعم ، أدرى ، ولكن تذكرى أنه يحق لى ولو لمجرد إزالة الغموض . . .

ـ أن ماذا يعنى ؟

لم يكن يستطيع قط أن يسأل مثلاً كيف تمشطين شعرك ، أو ما لونه ، فى الأقل . كان شرطها منذ البدء ألا يسأل عن ميزاتها الجسدية . وهى أيضاً لم تكن تقول ما قال الآخرون ، السيدة سرلتى مثلاً ، عندما كانت هى ، سيما مثلاً ، تنظف زواقها أمام مرآة دورة المياه وتبكى ، وهو ، كلما كانت امرأة لها اسم آخر تضع السماعة ، كان يراها فى هيئتها ، والآن لم يكن غير الصوت ، صوت يقدم كل ليلة تقريراً بكل شىء باللون والظل وبصيص الضوء وحتى الفواصل .

كانت تعرف زملاء العمل جيداً . مرتضوى يلصق اللصائق من الصبح حتى الساعة الرابعة ، ويترنم دائمًا بشىء ما همسًا . لا يسمعون غير « دى بلال » منه . ذات يوم عندما قالت السيدة سرلتى ، التى لها على خدها حبة بشكل يجعل وجهها من أمام مليحًا جدًا : « لمَ تدندن هكذا ؟ غنّ عاليًا كى نسمع نحن أيضًا » .

فى ليلة اليوم التالى أخبرت أن مرتضوى لم يأت . بعد ليلتين أخبرت أنه جاء اليوم مبكرًا ، كانت تقول :

ـ دخل من الباب ، كان يمسك قبعته بيده ، بدون سلام ذهب إلى منضدة السيدة سرلتى . أتذكر أننى قلت لك إن السيدة سرلتى لا تتفاجأ من أى شىء ؟ كانت تنظم مجهرها ، ثم أحنت رأسها وأغمضت إحدى عينيها ، متظاهرة بأنها تنظر إلى النموذج . كنت واثقة من أنها كانت تراقب مرتضوى بتلك العين المغمضة ذاتها . قال مرتضوى : « عندى ما أعرضه ، سيدة سرلتى » . قالت السيدة سرلتى ، ورأسها منخفضا ما يزال : « بلا سلام » . راح مرتضوى يدير حاشية قبعته بيده ويديرها وأخيراً قال : « أقدم التحية يا سيدة سرلتى » . فقالت السيدة سرلتى : « وعليك السلام ، يا روحى » . ثم أخذت عينة ، دونت ملاحظة ، وأخيراً وضعت كلتا يديها على يدى الكرسى وأدارته كى تستقر بكامل وجهها أمام مرتضوى ،

وقـالت : « أنت ، يـا باقـر خـان ؟ مـاذا جـرى بحيث تذكرتنا ؟ » . نقل مرتضوى قبعته من يد إلى يد وقـال : « أردت أن أعرض . . » . صدقني انحبس لسانه . كانت السيـدة سرلتى تقـول دائمًا : « هؤلاء الرجـال لا يبلغون سنّ الرشـد أبدًا ، يمكن لامـرأة ، إن كـانت تعـرف ، أن تدير عـشرة منهم عـلى رأس أصبع واحد» . وضـعت السيـدة سرلتى يدها تحت ذقنها وقالت : « كنت تتـفضل بالكلام ، جناب مرتضـوى » . مرة أخرى قال مـرتضوى المسكين : « أردت أن أعـرض . .» ومـرة أخـرى قـالت سـرلتى : « كنت تتـفضـل بالقول ، يا روحـى» ، غمـغم مرتضـوى مرة أخـرى وأخيرًا ذهب فـجلس فى مكانه ، ولـم ينبد عنه صوت حتى الظهـر . كانت السيدة سـرلتى ترفـع رأسها أحـيـانًا ، تقـول : « لمـاذا خرست اليوم ، يا باقـرخـان ؟ أنا قلت لا تـدندن ، لم يكن قـصـدى ألا تغنى أسـاسًا » . وعند الغـداء حاصـرته مرة أخـرى أن : يجب أن تغنـى وإلا فإننى سأجلـب منذ الغد مسجـل صـوت ،وأضـع منــذ الصباح حتى المســاء شـريط (دى بلال) عصـرًا ، لما فرغ مرتضـوى من عمله ، ذهب أولاً خلع مريلتـه وعقّم يديه ، ثم عندمـا لبس جاكتـته ، تناول قـبعـته بيده وذهـب مـرة أخــرى إلى منـضـدة السيـدة سـرلتى ، وقـال : « إننى أغـنى لنفـسى ، لمسـرّة

فـؤادي فقــط ، إذا لم تكــوني تريــدين قولي للســيد الدكتور كي يعطيني حسابي فأذهب» .

كانـت تضحك ثم كـانت في الليلة التاليـة تخبـر أنه غني اليـوم ، ولكن كـالسـابق من أنفـه . كانت الـسيـدة سرلتي قد قالت : « حـسنًا ، ليس مهمًا ، كيفـما أحببت غنّ ، غنِّ فقط كي لا نظن أنك نسيته » .

نظر مرة أخرى . لماذا قرأ هذا ؟ وتحدث أيضًا عن تلك الليلة التي بقي فيـها صاحيًا ، انتظر بالضبط من السـاعة الثانية والنصف حتى الرابعـة على أمل أن تتلفن . وفـي الليلة التـاليـة أيضًـا لم تتلفن . عندمـا تلفنت أخيـرًا لم يتـصـور أنها هـي . لم يعـد حـتى يفكر فـيـهـا ؛ لكثـرة الازدحـام . كـانت المظـاهرات في كل وقت ومكـان . كـتب تقـرير كليـة الصناعة في ليلة واحدة وفي اليوم التـالي ، فيما سمـع ، كثّروه . كان الرجل لا يزال جالسًا وهذه التي كان يقرؤها كان قد دونها قطعة قطعة بحيث أنهـا لا تزال خامًـا . كان يجب أن يحظى بخلوة إلا أنه لم يحظَ بها . قرأ :

عنـدمـا رفع السمـاعة وجد أنهـا السـاعـة الخامـسة صباحًا . كانت هي ، قالت :

ـ إذن فلا زلت موجودًا ؟

ـ عـسى ألا تكوني توقـعـت أن أذهب أنا أيضًـا عند طاهرك

ـ ليس هكذا ، ولكنني فكرت أنه إن حدث شيء ألا أزيد عبئك .

أرث سيجارته وقال : « حسنًا » .

ـ لا ، انتهى نفض الهموم ، أريد أن أراك .

ـ متى ؟

استمع إلى أنفاسها بصمت . لعله يعرفها ، سمع أخيرًا : اليوم بالذات صباحًا .

ـ ولكن اليوم الإثنين .

ـ أدرى ، أخذت إجازة لمدة أسبوع ، لقد قلّ شغلنا بحيث حتى الثلاثة أشخاص كثيرون عليه . كأنه يمكن الآن أن يصيحوا في الشوارع لم تعد ثمة حاجة إلى اختبار الطفيليات في البراز .

- سأل : أين ؟

ـ الساعة السابعة والنصف ، في رأس فرشته(٤١) .

ثم قالت : لا تتأخر ، ها! أريد أن أريك الخريف حقًا .

ـ لكنك قلت إن الخريف هنا يوم واحد .

ـ أدرى ، ولكن آمل أن يكون هناك في الأعالي .

- سأل : عنوان شيء ؟

ـ أجدك ، غدًا ، الساعة السابعة والنصف فقط امرأة تنتظر رجلاً في الثامنة والثلاثين لا يكون قد نام ليلته .

لا ، لم يكن تصور ، خاصة ذلك الخال اللحمي على خط النكاف الذي يبدو للعيان إن نشرت شعرها وراء أذنيها . كانت طويلة القامة ولها شعر سبط أسود وطويل ، كانت تلبس بلوزًا وتنورة ، وجاكتة جلد أسود وحذاء رياضيًا . كانت الساعة السابعة والربع . قالت : اسمي مينا ، عمري ست وعشرون ، أم لطفلتين ، ولبيق اللقب لما بعد .

انطلقا معًا . كانت تقول هنا أزقة لا يمر فيها خلال اليوم أكثر من عابر أو اثنين . وليس للسيارات أيضًا شأن بسابلتها .

من ثم سارا بطيئين ،وساكتين . أحيانًا كان الرصيف كله ، وحتى جزء من الشارع مغطى بالأوراق ومن كل لون . كانت مينا تنحني ، ترفع ورقة ، وتقول : « انظر هذه الورقة بالذات كم لونًا فيها » .

تتركه كي يرى هذه الورقة بالذات ، ثم ترميها وتقول : التفت الآن وانظر إليها! لن تجدها بعد . حسنًا ، مشكلتنا هي في هذه الأمور ، ولكنني أتصور الآن أنني

يجب أن أنحنى ، وحتى أجلس فأنظر إلى واحدة ما ، دقيقًا ، كما لو أن المرء يكون وضعها تحت المجهر ويريد أن يراها عِرْقًا فعرق .

ورجعا عن زقاق أو اثنين غير نافذين . وصلا أخيراً إلى زقاق كان فى الأغلب زقاق بستان ، بمظلة من أغصان تنفض أوراقها . قالت : آخر مرة هنا ضربت موعداً لطاهر .

ـ وبقيت أيضًا إلى الساعة الرابعة ، ولم يأت .

ـ أشكرك لأنه بقى فى بالك .

ـ ماذا صار بعد ذلك ؟

ـ قلت إننى لم أره بعدئذ ، عدا فى ذلك المكان الذى واجهونا فيه ، وهذا غير محسوب ، لأن عيونى كانت مشدودة ، لم أرَ إلا قدميه اللتين كانتا تورمتا ، وكان إبهام رجله اليسرى ملفوفًا بخرقة سوداء ، كان داميا .

ـ وبعدئذ لم يأت إلى الموعد ؟

ـ كانوا قد اندلقوا إلى بيت أبيه . كان لنا ثلاث سنوات حيث أقيم الآن ، وكانت مضت ستة أشهر لم يعد يأتى فيها ليلاً . كان يأتى صباحًا فى بعض الأحيان فيمر بى وبالطفلة ويمضى ، كان يقول : « تحت كل جسر ، جنب كل عمودِ نقلِ كهرباء لابد أن يضعوا

بضعة حرس . لنفعل ما من شأنه أن يجعلهم مضطرين لأن يضعوا حتى فى غرف نومهم حراسًا مسلحين» .
وبعد ذلك كان يتلفن ، بين الثامنة والتاسعة . كان يقول : « أهى أنت ، يا نرجس ؟ » . فإذا لم يكن ثمة خطر كنت أقول : « لا تكن مزاحمًا ، يا سيد ، الطفل نائم » . ولكن إن كان ثمة فى الزقاق أحد مثلاً ، أو تكون ثمة سيارة غريبة واقفة فى رأس الزقاق يجلس فيها راكبان ، أو ثلاثة ، فكنت أقول : « النمرة غلط » . وإذا كان يريد القدوم ، كان يقول : « عندى شغل مع الطابق الثالث » ، ثم كنت أذهب إلى الشرفة ، ومرة أخرى إن كنت أرى المكان آمنًا كنت أضىء مصباح الشرفة . فى عشية الصباح الذى لم يأت فيه على الموعد ، دقّ أحدهم الجرس ، سأل : « أهى أنت ، يا نرجس ؟ » لم يكن هو . فهمت أنه قد جرى شىء ما . لم يواتنى النوم حتى الصباح ، وفى الصباح التالى جاءوا إلى محل عملى بذريعة إجراء اختبار ، ذاك الذى كان تلفن فى الليلة الفائتة ، قال إن اسمه مسعود . لكنه لم يكن . أوصى بأن أنظف البيت . كان يقول : « لم يكن مقررًا أن يذكر بيته » . لم يكن عنده فى البيت شىء . جاءوا بعد أسبوع ، أظن أباه ذكره ، لكثرة ما آذوه . لم يأخذونى أنا تلك المرة ، ربما لأننى كنت حاملاً فى شهرى بهذه الصغيرة .

فجأة بدأت تركض ، كانت تضحك : لو أمسكت بى ؟

فى استدارة منشعب ثلاثى أمسك بكوعها ، قال : ماذا الآن ؟

ـ فلألتقط أنفاسى .

مضيا معًا ، تابعا جدول ماء ، ومضيا . قالت مينا : لم يكن طاهر ينظر ، كان الزقاق بالنسبة له مفرًا ، كان يبحث فيه عن مساربه . لو أن أغصان الصفصاف كانت مدلاة على حائط ما ، كان يقيس ارتفاع الحائط ، بنظرته . كان يقول : « هذه المحاسن موجودة دومًا ، إننى أفكر فى كل أولئك الذين ينامون تحت قطعة صفيح » . صدقنى أنه لم يحدث قط أن يأخذ ساق زهرة آس عديمة القيمة ويأتى بها إلى البيت . كان ينام ليلاً على الأرض وفى بعض الأحيان يتسلق الصخور حافيًا . حتى أننى لم أره ، عندما كنا نذهب للجبل ، ينحنى فيأخذ ماء من نبع بين الصخور ويرشه على وجهه .

ثم صار الطريق منحَدَرًا ،وصار الماء يجرى سريعًا توحدت خطاهما ، كان صافيًا ويحمل ورقة أحيانًا . ثم يتدحرج نازلاً درجة فى أمواج . عندما كان ينصب إلى فتحة مغطاة ، قالت مينا : أتحزر أين يخرج ؟

ذهبا مرة أخرى . أحيانًا ، إذا لم تكن ثمة صخرة فى مجرى الماء ، كانا يريان صفاء الماء وتظليله وهو يجرى . ثم كان المجرى كله صخراً وبين فاصلة وأخرى غطاء معدنى ذو شبك . عندما بلغا مفترق طرق ، مرّ من تحت إسفلت الشارع . لم يرياه بعد . قالت مينا : أتحزر الآن من أين ينبغى أن نمضى حتى نراه مرة أخرى كى نعرف إلى أين يمضى جدولك الظليل والزلال ؟

ذهبا إلى الجنوب . فى زقاق البستان كان يسار الجدول الإسمنتى قد جف ، كان الكناسون يضعون أزبال المنازل فى السيارة . مضيا فى زقاق البستان كله ، كان يؤدى إلى شارع ذى اتجاه واحد ، تنتظر السيارات فيه ، اثنتين اثنتين وراء بعض ، انتقالَ الضوء إلى اللون الأخضر المفضى إلى الجادة القديمة . قالت مينا : أنا والأطفال أيضًا كلما وصلنا إلى هذا المكان ، أُجلس ياسى فى عربتها ، وتتعلق سيمين بمؤخرتها .

أمسك يدها وقال : يجب أن نعود فنبدأ من الأول .

ـ ذهبت مرة واحدة إلى الشمال . كله طريق صاعد . وثمة زقاقان ، أو ثلاثة ، ولكن ليس منها ما هو بخلوة وجمال زقاق البستان هذا الذى رأيناه الآن .

ذهبا إلى جسر تجريش(٤٢) بسيارة أجرة ، كانت تجلس إلى جانبه ، مغمضة العينين ، والآن فى جو

السيارة المغلق كان يشم عطرها الخفيف ولكن المر ، وأطلا أيضًا على سوق تجريش . اشترت مينا مرآة ذات باب ، قالت : عندما يسد الإنسان ظلفتيها يفرح بأن صورته تبقى ثابتة خلف هذين البابين .

تناولا الغداء فى مطعم فى دربند(٤٢) ، فى شرفة مطلة على الماء وجدار النهر الصخرى . قالت : كنت أعرف طاهرًا من قبل ، تعرفنا فى الجامعة . كان يحب الطعام الجيد ، يحب مطعمًا نظيفًا أو منشفة غسلت حديثًا وفيها جفاف وخشونة على نحو وكأنها جديدة ، وفيما بعد ، عندما صار يريد تغيير العالم ، قتل كل هذه الأمور فى نفسه . لو لم أكن أمشط شعرى أو لا ألبس ثوبًا جديدًا لم يكن يمتعض ، عند حملى بياسى لم يضع أذنه ولا مرة على بطنى كى يسمع صوت قلبها . قلت كأنه كان يذهب ليلاً فينام على بساط على الأرض ويسحب فوقه بطانية منسولة . عندما اضطر للذهاب صار ما كان يتمناه . عندما كنت أراه ، إذا كنت واضعة عطرًا كان يعبس . كان يسخر من حذائى ذى الكعب العالى ، يقول : « لو أنهم جاءوا الآن ما تفعلين ؟» ذهبت ذات يوم إلى الموعد لابسة شادرًا ، عندما عرفنى ضحك كثيرًا ، قال : « فى الجزائر كن ينقلن تحت مثل هذا الشادر رشاشات » . حسنًا ، لو كان الآن موجودًا

لرأى مئات بل آلاف الشبان يلبسون كما كان يفعل : بنطال جينز ، وجاكتة بلا ياقة ، وزوج حذاء قماشى . طبيعى إنهم يضعون أيضًا غطاء رأس صوفيًا أو زغبيًا كى يسحبوه على وجوههم عند الحاجة . كانت تتلاعب بسَلَطتها بدل أن تأكلها . قالت : بعد أن أخذوه بثلاثة أشهر ويومين ، تلفن شخص ما بين الثامنة والتاسعة ، عرفته من صوته ، كان صديقه نفسه ذاك الذى سبق أن تلفن مرة وجاءنى إلى عملى أيضًا عندما قال : « عندى شغل مع الطابق الثالث» فهمت أنه قادم . ذهبت فأشعلت ضياء الشرفة ،ووقفت أنتظر هناك . كان المطر يهطل . لم يكن فى الزقاق أحد . فجأة انقطعت الكهرباء . كنت قد أنمت الأطفال حديثًا . كنت أضعهما من الصباح حتى الساعة الرابعة فى دار الحضانة وأجلبهما معى عصراً . ذهبت فأخذت المفتاح ، وضعت الشادر على رأسى ، وركضت نازلة . كنت أدرى أنه ليس طاهراً ، ولكننى مع ذلك كنت أنتظره . جاء أخيراً . نزل من سيارة . كانت سيارة أجرة . وكانت فى يده حقيبة . كان الظلام سائدًا . قلت : « طاهر ؟ » ، التفت ، كان ذلك الذى قال أنا مسعود ، كان له قامة وقوام صبى . قال : « أنا فرج » . عرفته من ذلك الصوت المشروخ الأجش . قال : « سأبقى الليلة فقط . لم يعد مكانى مأمونًا » .

جلبوا كباب برك (٤٣) مع واحد كويسه[٤٤] إضافى . أكلا بضع لقمات فى سكوت ، سأل : إن لم تكونى تحبيه لأقل كى يجلبوا كباب الدجاج[٤٥] .

ـ قل لى ، أتعبت ؟

ـ كلا . لماذا سألت ؟

ـ هكذا ، لأننى من الصبح حتى الآن أنا التى تكلمت فقط .

ـ كان اتفاقنا هكذا .

أكلا لقمة ، أو لقمتين أخريين . لماذا كانت تقول له هذا ؟ كما لو أن الرجل يمد يداً فيهيل حفنة تراب فى ساقيته ثم يوالى القيام بهذا العمل . نظر إليها . كانت أذناها صغيرتين بشكل عجيب ، عليهما قرطان صغيران ملتصقان بشحمتى أذنيها . قال : لم أكن أتصور أذنيك على هذا الصغر .

أهالت بيديها شعرها على أذنيها ، قالت : لا تتحدث عنى ، أرجوك . افترض أننا لا نزال نتكلم بالهاتف .

ـ عندما كنت تتلفنين كنت أراك كما أنت الآن .

وضعت يداً أمام شفتيها وذقنها ، وقالت : لا أظن .

ـ ولكن الشعر وهذا الخال اللحمى أنا متيقن منهما ، كما لو كنت رأيتهما فى الحلم . أرث سيجارة ، قال : كنت تتحدثين عن صديقه ذاك ، عن مسعود ، أو فرج ذاك .

ـ لم أعرف أخيراً ما كان اسمه حقًا . كان قال : «منذ شهرين وأنا على سفر دائم ، من هذه المدينة إلى هذه المدينة . لا يمكن الذهاب إلى دور الضيافة ، أو الفنادق . عندهم أسماؤنا ، كما أنهم لا يسمحون بنزولنا من دون دفتر نفوس . ما أن أصل حتى آخذ تذكرة وأذهب إلى مدينة أخرى ، أنام فى الطريق أو فى مكاتب شركات السفر» . لا يزال موجوداً بالطبع . أطلق سراحه أو سيطلق هذه الأيام . عندما جاءوا إلى بيتنا وجدوه .

كان ينظف زاوية عينه اليسرى بسبابته . سأل : أتريدين أن نذهب ؟

فقالت مينا : أين ؟

ـ يمكننا أن نذهب إلى فوق .

عندما كانا يصعدان كانت ساكتة ، تلهث ، ثم عندما بلغا أرضًا مستوية ، قالت : ليت تصويره كان عندى كى أريك ، كان صبيًا صغيراً لا أكثر .

جلسا على صخرتين . أرث سيجارة ، قالت مينا : لا ، أنا لا أدخن كثيراً ، بضع سجاير يوميًا ، وفي الليل عندما أفز من نومي فقط . وفي بعض الأحيان واحدة أو اثنتين نهاراً ، بعد الغداء أو العشاء . كان طاهر في البدء يدخن سيجارة من الأخرى . وفيما بعد عندما وجد ، كما كان يقول ، هدفه ، ترك التدخين . ولم يكن يشرب أيضًا .

سأل : أكنتما تجيئان معًا إلى الجبل أيضًا ؟

ـ عندما كنا طلبة ، وفيما بعد عندما كنت حبلى بابنتي الأولى ، وأمر الطبيب بالاستراحة التامة ، لم أعد أستطيع . ومجيء المرء بمفرده أيضًا ـ أعني الآن ـ لا لطف فيه . كان طاهر وأصدقاؤه يبقون أحيانًا أسبوعين في الجبل .

ـ ومع فرج ذاك ؟

ـ لا .

ـ إذن فقد كان يبقى دائمًا في البيت ؟

ـ كلا ، كان يخرج أحيانًا ساعتين أو ثلاث ثم يظهر .

تناولت قطعة خشب ، رسمت خطًا على التراب بين صخرتين ، قالت : لا أحد يفهم شيئًا من هذه

التـعمـيـمـات ، وفى المحكمـة أيضًا انصـرفـوا إلى هذه العـمـوميات ، أو حـتى فى اللجنـة المشتـركـة ، عندمـا واجـهـونى بطاهر كى يقنـعـوه بأننا ، أنا وفـرج ، خنّاه . حسنًا ، كـان علىّ مثلاً أن أصف شكل بيتنا ، كم غـرفة فيـه . كان طاهر يعرف بالطبع ، ولكن عندمـا يكون ثمة أحد دائمًـا فى البيت فذلك صـعب . أنا لم أكن أستطيع أن أذهب حتى إلى الحـمام . انظر ، عندنا غرفتـان فقط ، واحدة هنا والواحدة الأخرى هنا .

رسـمت مربعـين على التـراب ثم رسمت الصـالة . قالت : تنفـتح أبواب الحمام ودورة الميـاه والمطبخ وحتى الغرفتـين على هذه الصالة ، بحيث أنه إن كـان ثمة أحد جالسًا فى الـصالة فإنه يرى حتى زاوية الـسـرير فى غرفة النوم ، أو باب الصـوان الـذى هنا . كـان فـرج ـ كـيف أشرح ؟ ـ طفلاً ، كل قامته تصل إلى كتفى . كان جنوبيًا مدور الذقن صغيره ، ووجنتـاه غائرتان ، فى اليوم التالى عندما عـدت عصرًا ، رأيته جالسًـا يلعب مع سيـمين . عندما استدار رأيت أنه قد حلق شاربه . فكرت فى لحظة مـا أن عندى ثلاثة أطـفـال ، أن هذا ولد عـمـره خـمس عـشـرة أو سـت عـشـرة سـنة . قـلت : « لماذا حلـقت شـاربك ؟ » قال : « هكذا ، حسبتـه أحسن» . ثم قال إن له ، فى ملفه الجامعى ، شاربًا .

تحدثت عن طاهر أيضًا . لم يستمع . أو كان يسمع ولكنه ينسى . مرة أخرى تحدثت عن فرج الذى كان ، نهارًا عندما تكون مينا فى الشغل ، يغير حفاظات الطفلة ، يعطيها حليبها ويغسل الصحون ويكنس البيت كل يوم . قالت : بتلك المريلة وتينك اليدين السوداوين المليئتين بالشعر يصير له شكل مضحك .

كانت تتلاعب بقبضة حقيبتها اليدوية، ، وأحيانًا تسحب أصبعين من يسراها على جسر أنفها . قالت : عندما انصبوا فى بيتنا وجدوه هنا فى الغرفة .

كانت تشير بعينها إلى أحد المربعين ، وقبل أن تقول مينا ذلك بلسانها سأل :

ـ أين إذن هذا الخريف الذى قلت عنه ؟

كانت مينا قد خفضت رأسها ، قالت : نعم ، كان الخريف ذريعة ، أردت أن أقول لك هذه الأشياء ، أشياء لا يمكن قولها بالهاتف . ولكن ذلك اليوم الذى حدثتك عنه كان حقًا حفل تساقط الأوراق . دائمًا تهب رياح أولاً ، كأنها تريد أن تكنس الحرارة ، فى أواسط مهر(٤٦) تمطر خفيفًا مرة أو مرتين . أيضًا كأنهم يريدون أن يكنسوا حرارة الأرض . وعندئذ ، إن لاحظت ، تسّاقط أوراق منفردة ، ولكن ما يزال الفصل ليس خريفًا ، ففى الصيف أحيانًا تساقط الأوراق

أحيـانًا مـن شدة الحرارة ، تكرمش ، يتـجمع عليـها نوع من الغم فـتـسّاقط . أقـصـد عندما تـتجـمع الأوراق فى الأغلب ، تصـير بنيـة ، أو بنية داكنة ، أو حـتى خضـراء يشبـية أحيـانًا ، ولكنها تجـمعت ، كأنهـا تخاف . تصـير ذيول أوراقـهـا سـوداء ، ثم ذات ليلـة يسـقط كل الورق الموجود بنسيم لطيف كـان قد هب طوال الليل ، أو بمطر تسـاقط قـطرة قطرة . لم يكن طاهر يـرى هذه الأشـيـاء بعد ، كـان يقول : « هذا تلاعب رومانسى » . هو نفـسه أعـــدمـــوه بالـرصـــاص فى آبان[٤٧] . لا أدرى أى يوم بالضبـــط . كـانـــت سنة خمس وخمـسين[٤٨] . كانت الطفـلتـان لا تـزالان عندى ، وفـيـما بعـد عندمـا أطلق سراحى أخذهما جدهما بحكم المحكمة .

- لم تتأيد صلاحيتك الأخلاقية ؟

وأضاف توًا : أعتذر .

- لا، لا ، لماذا تعتـذر ؟ كان هذا هـو السبب بالضبط . كان جدهما قد بلّغ ، ثم اشتكى .

- بهذه البساطة ؟

- طيـــب ، نعم . مـا من أحد هنا يهـتم بالتفـاصيل . كان فرج محمـومًا ، مضى يومان ، أو ثلاثة وهو يلتهب كالكـانون . كأنه فهـــم أن البيت مراقب . كان يقـــول :

« أنا لا أخشى الموت » . لا أدرى . ربما كان يقول الحق . ليس المهم اختيار اللحظة ما بين الحياة والموت ، المهم هو التحمل ، ولمدة طويلة ، كما كان طاهر ، أو كما كانوا يتوقعون منى أن أكون امرأة ترتدى السواد ، وطبيعى أن تكون الطويلة القامة والجميلة التى رأوها فى الأفلام؛ نموذج المقاومة . إى ، ليس سيئًا ، كان الجد لا يريد إلا هذا ، كان قد مضى علىّ وقت لا آخذ الطفلتين فى الأصباح إلى بيته ، ولم أكن آخذهما إلى دار الحضانة أيضًا . وفى البيت كان مقررًا ـ عندما لا أكون موجودة ـ ألا يردوا على الهاتف . أظن الجد انتابه الشك ، كان سأل جيران الطابق الأسفل فعلم أنهما موجودتان . جاء ذات يوم إلى محل عملى . قال : »قلت إنك أخذت إجازة ؟» فقلت . . نسيت أى عذر ذكرت . لم يقل شيئًا وذهب ، تصور أنه ذهب ذلك اليوم بالذات فكلف محاميًا . وبعد أسبوع أيضًا ، كما فهمت فى التحقيق ، بلّغ هاتفيًا . وأنت تعرف أن هؤلاء لا يأتون فورًا . أظنهم وضعوا البيت سبعة أيام ، أو ثمانية تحت المراقبة . كان فرج ، سبق أن قلت ، يدرى . كان قد رأى ظلالهم حتى على سطح البيت ، جاء فى منتصف الليل فأيقظنى ، قال : « جاءوا » . قلت : « اذهب عن طريق السطح » . فقال : « موجودون هناك أيضًا » . قلت : « لا أظنك تريد أن تقاوم ؟ » قال : « لا شيء عندى ،

منذ وقت طويل أنا مقطوع الارتباط » . قلت : « ماذا أفعل في رأيك ؟ » قال : « لا تقولي لهم إنني هنا . أتعهد لك بأن أجد مكانًا غدًا فأذهب » . كان ينام في هذه الصالة ، بملابسه . صار وجهه لا مثل الكلس ، ولكن قل مثل شيء أصفر جرى تخفيف لونه ، وكان العرق أيضًا مستقرًا على جبينه ، قطرات كبيرات على تلك البشرة البنية والمبقعة في أماكن غير منتظمة . كان يرتجف ، يمسك كلتا يدي ويقول : « أرجوك لا تقولي إنني هنا . أخشى ألا أستطيع الصمود » . كأنه افترض أنه ولدي وهو الآن يخاف ؛ لأن أباه جاء كي يؤدبه . قلت : « حسنًا جدًا ، إلى أن أرتدي ملابسي اجمع هذه ، ثم اذهب إلى الشرفة » . قال : « لهم إطلالة على ذلك الجانب » . ارتفع صوت الجرس فقلت : « لا أدري ، جد لك مكانًا ، أينما يكون ، فلربما لن يفتشوا كل مكان » . نهضت مينا ، لم يكونا تقدما خطوتين عندما التفتت ، أشارت بمقدم حذائها إلى زاوية مربع غرفة النوم ، وقالت : هنا وجدوه ، في صوان ملابسي .

إلى مقهى درويش كان هو من تكلم . لماذا حدثته بهذه الأمور ؟ وكان المطر يتساقط خفيفًا أيضًا ، كان قال بأنه يدرّس في الجامعة وأنه قد انفصل عن زوجته وعنده بنت واحدة ، لم تكن مينا تعرف هذه الأمور ، كان قال إنه يكتب أحيانًا بعض الأشياء ، كانت مينا تعرف ، وقد

قرأت منها واحدة أو اثنتين . قالت : أعطانيها طاهر ، قال : « اقرأي ، ليست سيئة » . كانت قد نشرت في المجلة : « أختر ، لجمتنا » ، تلك القصة حيث عاد خمسة رجال في سنين مختلفة من المقبرة ، وجلسوا في مقهى واحد ، وراحوا يتكلمون عن امرأة ، ونفهم أخيراً أنها المرأة التي دفنوها . اعذرني طبعًا ، قلت لطاهر : « ويعني ماذا ؟ » فقال : « طيب ، من هذه الأمور التي ترين ! لا يمكن بهذا الكلام تغيير شيء » ، كان يقول : « هنا في (خاك سفيد) تعيش عوائل تحت قطعة صفيح ، ثم يذهب هؤلاء فيجلسون في مقهى ويتحدثون عن امرأة كانت ترقص لهم ، تضع على جبينها قدح شاي ، وتنحني أمامهم كي يرفعه مثلاً هذا السيد مسعودي ويقول : دوري» .

سأل : أتظنين الآن أنني لو كتبت قصتك سيتغير شيء ؟

ـ أنا لا أريد أن يتغير شيء ، الحقيقة أنني أخاف ، لا أريد إلا أن أعطي الطفلتين ، حين تكبران ، كتابتك وأقول لهما إن شخصًا كان يعرف كل شيء كتب الصحيح ، إن أردتما فاقرآ .

عندما التجأ تحت عقد طاقيّ تحدث لمينا عن مشكلات العمل ، عن كونه يخاف أنه ، بتجميع هذه

النتف التى يعرفها ، أو كل ما يخمنه ، فسيصير مرة أخرى شيئًا مثل « أختر ، لجمتنا » .

قالت : حسنًا خمس روايات عن خمس نساء فى سنوات مختلفة بأسماء مختلفة نفهم الآن ، عندما وجدوها لصق الزقاق ، أنها امرأة واحد ،ة وقد وجدوا فى حقيبة يدها أرقام هواتف هؤلاء الرجال .

قال : أنا أكتب على هذا النحو .

ـ أدرى . والإشكال فى الأمر أنك لم تكن تعرف التفاصيل ، اكتفيت بالتخمين . مثلاً أصدقاء طاهر أولئك الذين جاءونى كى يقنعونى بأن ألبس السواد مرة أخرى ، أحدهم ، ذاك الذى كانت زاوية شفته تنتتر ، طوال وقت تكلمنا لم يرفع رأسه كى ينظر إلى . حسنًا ، كنت جالسة هناك أمامه بتلك الملابس التى أرتديها عادة فى العمل ، طبيعى لم أكن أرتدى معطفًا ، وكان هو يواصل الحديث عن ، لا أدرى ، البروليتاريا العالمية ، ولكنه لا يرفع رأسه كى يرى هذه الأسوة التى كانوا يريدون إقامتها ما شكلها ؟ إننى لا أرى بين هؤلاء وأولئك المحققين ، الذين كانوا يريدون بوقاحتهم أن يحملونى على أن أبين كل شىء جزءا ، فجزء ، أى فرق . فقد كنت فى كلتا الحالتين شيئًا ، فى مكانٍ شىء للكسر ، للمسح أيضًا ، وهنا شىءٌ تزيينى .

ركضا حتى المقهى . أكلا تصبيرة عصرية خبزاً مع بيض مقلى وكأسى شاى . عندما كان يؤرث سيجارته نظر إليها . كان خداها مبللين وأرنبة أنفها ترتجف قالت : عندما كانوا يأخذون مسعوداً ، أو فرجًا أو كائنًا ما كان اسمه ، كان قد ألقى البطانية على رأسه ، حتى الآن عندما أتذكره يتجلى فى ذهنى ذلك الجسم الملفوف فى البطانية ، بذلك الجبين البنى الذى برزت عروقه .

ـ وفى التحقيق كيف ؟ ألم يواجهوكما ؟

ـ كلا ، لأننى عندما سمعت ما قاله ، أيدته ، حتى قبل أن يحرمونى من النوم أو يضربونى بالسياط ، ثم كانوا يريدون منى أن أقول أمام طاهر هذا الكلام نفسه .

أحنت مينا رأسها وغطت اتساع وجهها بيديها . لم يسمع صوتًا ، ولكنه كان يرى أن كتفيها يرتجفان . عندما رفعت رأسها ، كانت تغرس أسنانها بزاوية شفتيها .

أشار إلى ثلاثة أشخاص وصلوا حديثًا وراحوا يضعون حقائب ظهورهم على المنضدة فى الجانب الآخر . فتحت مينا حقيبة يدها ، مسحت بمنديل زاوية عينيها ، وقالت :

- أرجو المعذرة .

رأت نفسها فى المرآة ذات الأبواب . عندما كانت تغلق حقيبتها كانت تضحك . قالت : حسنًا ، كان هذا كل ما فى الأمر . لم يكن طاهر فى المحكمة مستعدًا أن يتراجع ، دفاعه موجود ، هو تلك الكراسة التى طلبتها فأعطونى إياها .

فى الطريق ، عندما بلغا المنحدر الحاد المدرج ، قالت : افرض أنهم يأخذوننى . إلى أين ؟ لا أدرى . افرض أنهم أمسكوا بيدىّ ، لم يقيدوهما من وراء ، ولكن بشكل كما لو أن يدين قويتين أمسكتا بمرفقىّ وراحتا تدفعاننى إلى أمام . كان الحشد من الكثرة بحيث لم يكن ممكنًا المضى سريعًا ، ولكن أحدًا لم يكن يرانى . ربما كانوا هم أيضًا يروحون بالاتجاه الذى كنا نروح فيه ، أو أن بعضهم كانوا يجرّون بعضًا ويأخذونهم . ثم نصل إلى ساحة ، مكان شبيه بميدان مولوى(٤٩) أو خراسان(٤٩) ، بالازدحام عينه . وافرض الآن أيضًا أن فى المقابل خلوة ، ووراء الدخان أو الغبار والتراب الموجود كانوا يعدمون عدةً . أربعة أشخاص ، أو خمسة لا أكثر . وكان الجنود أيضًا ثلاثة أشخاص جالسين أمام حجيرات أبوابها ذوات ظلفة واحدة بلا شبابيك وبلا سقف ، وبنادقهم على رءوس أيديهم ، وقد أراح كل منهم ركبة على الأرض . أما المحكومون بالإعدام ،

فكما قلت ، عـدة أشخاص ، ووراءهم شـجرة لا أوراق فيها . جذع تقشر لحـاؤه هنا وهناك ، وفرعان محروقان ، وعلى الجـانب الأيسـر جلس حشـد مـغمـض العيـون ، مشدود الأيدى ، ينتظر أن تحين نوبته . أنا أيضًا منتظرة ، بدون أن يكون أحد قد أمسك بمرفقى ، واقـفة . وفيما بعد ، لكى أرى نوبة من الآن ، أرتقى مكـانًا ما . لا ، لا تتـوهم ، لست أبحث عـن طاهر ، أو لا أتصـور أن بمقـدورى أن أرى فرجًـا هنا . من مكان ما أسحـب نفسى إلى أعلى ، أو أمد عنـقى ، فرضًا ، مـن فوق كتف أحـدهم كى أرى من هم فإذا بهم يمسكون معصمى فجأة ويأخلوننى كى يقـدّموا نوبتى ، يضعـون نوبتـى إلـى أمام ، ثم لكـى لا أكـون عـارية يلقـون بطـانيـة جندى على كـاهلى ، ولكـن عندما أنظر إلى نفسى أرى أنها رداء بلا أكمـام وثقيـل ، لا لأن قـمـاشه خـام أو جنفاص ، لا قمـاشه قطنى وخـفـيف ومـخطط ، خطوطه بنيـة ثَقُل من عـرق أجـسـاد مئـات الناس الذين سـبق أن لبسـوه ، ثقل من روائح أجسـادهم ، من الخاطرات التى سمـعوها ولكنهم نسوها . ثم أنا مرة أخرى مـاضية وهذه الـ(جوخا) (٥٠) أو لنقل منشـفة الحـمـام عديمـة الأكـمام على كـاهلى ، فنصل إلى بائع (لبو) (٥١) لديه من ذلك البنجر الأحـمر الساخن الذى يرتفع منه البخـار فى ذلك البرد . أنا أيضًا أشتهى ، أشـتهى أكثر أن أمسك إحـداها بكلتا يدى كى

أفهم من سخونتهـا ولينها أن يدىّ لا تزالان موجودتين . أسحب يدىّ وأضعهمـا فى جيبى ، فى جيب كل أولئك الذين كـان هذا الرداء على كواهـلهم ، فإذا بهـا تصطدم دفعة واحـدة بأشياء ، أشياء لا أفـهم فى الـبدء ما هى ، ثم عندما أُخـرجها أرى أنها من هذه الملاعق والشـوكات التى يصنعونها فى السجن من المَجْـمعـات النحـاسية ، أو الحرض من صفيح علب الزيوت النباتية .

بلغـا السـاحة . قـال : لا ، ليس عـدلاً ، أصـلاً ليس عدلاً .

قالت مينا : ما الذى ليس عدلاً ؟

ـ هذا المعطف الذى تـريدين أن تلقيـه على أكتـاف ابنتيك .

ـ إذن فما يجب أن أصنع به فى رأيك ؟

عندما ركـبا سـيارة الأجرة ، قـدمت مينا رأسـها إلى أمام ، وقالت هامسـة : ما رأيك فى أن أذهب إلى البيت فألقيه فى طست نحاس وأغسله عـدة مرات حتى ينظف وألبسه غداً صباحًا فأذهب به إلى الشغل ؟

ـ هذه طريقة أيضًـا ، ولكن يمكن أيضًا عـدم إظهاره لأى إنســان . كل جـيل ، أو حـتى كل إنســان ، عنده جوخاه التى لا ينبغى أن يورثها .

فى ميدان تجريش ، عندما قالت مينا يجب أن أذهب الآن ، قال : طيب ، فى أمان الله ، أرجو بعد اليوم ألا تفزَّى من النوم ، ومع ذلك فإننى أظن أيضًا أن عادة أجدادنا لم تكن سيئة إذ كانوا يضعون كل مخلفات المرء معه فى حُفرة واحدة ، ويودعونها الثرى .

قالت مينا : ربما .

ثم ضحكت ، فتحت حقيبتها ، أخرجت مرآتها ذات الأبواب ، وقالت : خذ ، هذه حصتك . تعرف أن عندى واحدة أخرى .

ـ أنا أيضًا عندى ، قرأت لك على الهاتف .

أعطته مينا ورقة ، كانت عنوان شغلها . قالت : قل السيدة بهرامى ، فى الأصباح أكثر خلوة .

عندما وصل البيت بدأ ، دوّن ذلك كله وتمت كتابته بعد منتصف الليل . أكل شيئًا . وبقى مستيقظًا حتى الثالثة والربع . رفع الهاتف بضع مرات فرأى أنه موصول . عندما قرأه صباحًا فى نفَس واحد رأى أنه لم يتم جيداً . إن هذا المخرّق الذى أدرجه على الورق لم يكن حتى رداءه هو . لمدة أسبوع كان عمله دائمًا هو هذا ، وكان الرجل الجالس لا يزال جالسًا . عندما رن الجرس وسمع صوتها تقول : « أنا مينا » ، قال : ما جرى إذ تذكرتِنا ؟

ـ تلفنت كى أرى إن كان عندك سؤال .

قال : أنـت نفسك ترين أن أحـداثًا نادرة تقع فى كل يوم الآن بحيث لا يدرى المرء ما يفعل بكل هذا .

ـ نعــم ، أنـا أيضًـا أرى . ذهبت أمس لزيـارة قـبـر طاهر ، وضعـوا على قبـره زهــوراً من الكثرة ، بـحيـث لم يبق مـكان لبـاقــة ورد النرجس التى جلـبـتـهـا أنا . وضعتها على قبر آخر ، ثم جلست عند هذا القبر أيضًا ، الذى كان تل تراب ، وحدثته بكل شىء .

ـ كل شىء ؟ أنبقى شىء لم تقوليه لى ؟

ـ لا ، لم يبق أى شىء ، ولكننا أحيانًا مثلكم لا نقول الشىء بالكلمة الواحدة التى ينبغى أن نقولها .

ـ مثلاً ؟

ـ طيب ، كـيف أقـول ؟ أنت تذكـر مـثـلاً أننى قلت إنهم ألقوا بطانية على رأس فرج ؟

ـ وقد كتبت هذا أيضًا .

ـ إذن فقد كتبت ؟

ـ دونت بعض الأشياء .

ـ أشكرك ، ولكن تذكّر أننى هناك فـهمت أنهم عندما وجدوه فى صوان الملابس كان عاريًا ربى كما خلقتنى .

ـ يعنى ؟

ـ حسنًا ، أنا لا أعرف تفاصيله حقًا ، لكننى أدرى أنه مهم ، ولكننى لم أفهم على وجه الدقة أين خلع ملابسه ،أو ما إذا كانت فى يده عندما لفوا البطانية هكذا حوله وهم يلقون به فى السيارة . كانت ياسمن قد استيقظت وراحت تصرخ ، وكانت سيمين تبكى أيضًا وقد تعلقت بتنورتى كى لا تدعهم يأخذوننى .

سأل : أخيرًا ، هل البنتان ياسمن وسيمين ؟

ـ أفى هذا فرق ؟

أفكان يُحدث فرقًا عندما جلس مرة أخرى وراء منضدته ورآه قادمًا ، ورأسه مدلى على صدره ويداه فى جيبى بنطلونه ، على منحدر سفح كله حجر وتراب ، من دون شجرة أو صخرة يحتمى بها ؟ كتب هذه الأمور وكتب أن جنبة بتلك السيقان الصفراء النحيلة كانت تشتبك أحيانًا بساقه على طول هذا الطريق الذى جاءه أو ضيق حذائه أو تبقى حصاة فى أسفل حذائه فتؤذى قدمه وتسبب له العرج .

وكتب هذه أيضًا ، ثم قال عن خطواته إنها طويلة على امتداد خط مستقيم ، أو على امتداد طريق ضيق لم يكن موجودًا ولكنه كان يراه . ثم رآه مرة أخرى فوقف ، كان واقفًا على ظل لم يكن ظله

حـــتى ، مـدحـوكًا ومكـسورًا على تراب كـان سـاخنًا ، ولكنه لم يكن يخـصه ، بـل مجـرد أنه كـان موجـودًا ، منـذ الأزل ، وكان فى هذا المكـــان إياه ، وكان على هذا النحـــو على أرض غـرينيـة مـغطاة بالملح الـصـخـرى ومـفـلّعـة . رفع رأسـه يرى : شريطـًا من الطريق مملوء ظلاً وقد أُشّر بتــف من خضـرة أو علــف نشأ حديثًا . يُخـــرج يديه ، و كـأنـه يريد أن يُرى شيئًا لشـخـص يراه ، يمـدها ثـــم يأتى ، حـتى أنــه يركـــض وعندمـا يصل ينحنــــى فــيرى الماء جـاريًا فى القـعـر المظـلل لســاقية ضيقة صافية .

كـتــب هــذا بسـرعة وبقى يـكتــب ويــرى . لا ، لـــم يشرب كف ماء ، حتى أنه لم ينحنِ كى يبرّد بحفرة كفـيه جـبهتـه وقفـاه المنقوع عـرقًا . كانَ يجلـس ، يفتح شـريطى حـــذائيـه واحـدًا واحـدًا ويضـع حــذاءه إلى جـانبــه ، تمامًا وســط كـفّى الخـضرة الفــائحـة الناشئة على حــافـة السـاقـيــة ، ويخلع جوربـيه أيضًـا ، واحدًا واحدًا ويضع كلاً منهـمـــا فى فردة حذاء ثم يسلم وجع وتعـــب القـــدمـين إلى صفـاء وبرودة مـاء الســاقيـة ذى الظـــل ، الذى لا يــدرى إلى أيـــن يذهب ، ويضــــع يديه على ركبتيه .

كــان يجلس مـغمض العـينين ، الآن ، علـى حافـة الساقية وشفتاه نصف متفتحتين إشارة على تنهدة صادرة .

نظر متعبًا . لم ير صنم بانو . قال : كان هذا كل ما هناك .

عندما صفقوا خلع نظارته ، ونظفها بمنديل . لا ، لم تكن موجودة ، وفي وقت الأسئلة والأجوبة أيضًا لم يرها . كان يدرى أن أحد مسجلات الصوت كانت صنم بانو قد أعطته لبهمن كى يجلبه ويضعه أمامه . كان لا يزال موجوداً . كان بهمن قال ذلك وقت الاستراحة : جاءت إيمانى ، إن أردت يمكننى أن أحدد لك موعداً .

ـ لا ، ليس لى صبر على هذا أيضًا .

ـ أتظن أنها لا تزال تذكر ؟

ـ بالذاكرة التى عندها ، ليس هذا بعيداً ، ولكننى ، كما تعلم ، يجب أن أعود . كان فان كوخ يعد الألوان التى يريدها على لوحة الألوان ، ثم يضع كل لون ، كالخثرة ، على لوحته . حسنًا ، عندما تكون الألوان متنوعة لا يكون هذا ممكنًا .

بعد يومين ، عندما تلفنت صنم بانو ، كان يعرف ما يكفى لأن يذهب بدون مساعدة من أحد إلى كنيسة ساكره كور . كان قد وصل قبل الموعد بنصف ساعة ، ومنذ ليلة أمس أيضًا كان وضع شريط الصفصاف ، والمرآة ذات الأبواب فى حقيبته كى لا ينسى . رأى الكنيسة مرة واحدة . كان الفتيان والفتيات يجلسون على الدرجات أمام باب الكنيسة ، والجعة فى أيديهم ، داخل الكنيسة كانت الأكثرية من النسوة المسنات . لم يكن من الشباب غير زوج يشعلان الشمع أمام تمثال مريم

العذراء . سمع أن العشاق يأتون أحيانًا إلى هنا . الآن ، أفكان هو عاشقًا ؟ عاد ووقف فى أعلى السلالم ينتظر . لم يكن قلبه يدق . وكانت صنم بانو تلبس ثيابها تلك نفسها ، وكانت جاكتتها فى يدها ، قالت : أنا أيضًا أتمنى أن أرى . لم أجئ إلى هنا حتى الآن .

أعطته مرفقها ، قال : تلفنت ابنتى ليلة أمس ، قلتُ إنكِ هنا .

- أى واحدة ؟

- زهره ، تلك التى احتضنتها ذلك اليوم .

عندما كانت تضحك كان خالها يسقط فى الحاشية التى تشبه الحفرة ، كما لو كان حبة فى فخ . كان الفتيان والفتيات يجلسون على مصطبات الكنيسة ويقبلون بعضهم بعضًا . سألت : يعنى ، أيبقى شىء لوقت خلوتهم أيضًا ؟

- لا تخافى ، إنهم ينفقون وقتًا أكثر منا .

عندما كانا يذهبان سائرين قالت عن ساعدى إنها رأته ، وأجرت مقابلة معه أيضًا . قالت : هنا فى كل زاوية عاش واحد ممن تقرأون هناك كتبهم بتلك الترجمات التى رأيت . لا تزال طاولة همينغواى عند الباب الثانى ، ويعرف رئيس ندل الـ (كوبول) ، حتى إن كان فتيًا ، عند أية طاولة كان سارتر يجلس ، وحينذاك كان هو لا يتكلم إلا عن بيتهم فى أميرآباد [٥٢] أو ، لا أدرى ، أين كانت عيادته ، عن معلم فى تبريز [٥٣] أجبره أن يكتب خمس مرات عن « المرأة التى فقدت زوجها » [٥٤] . حسنًا ، كان طبيبًا ، كان يعرف أنه إن واصل على هذا

النحو يموت ، ولكنه مع ذلك واصل . بالنسبة لى أعرف أنه كان يقتل نفسه عمداً ، كما لو كان جاء إلى هنا لكى يموت . لو كان يجد خلوة ، لو كان يفهم أن العالم يصير كالمطلوب بقصبة أو حتى بعشرات ، لكان يمكن أن يكتب كل الأعمال التى يتمناها . هنا لا يزال ثمة مركز الفنون العالمى ، فى (أورسى) جمعوا كل الانطباعيين فى مكان واحد .

- ولكننى سمعت أنه كتب هنا أيضًا ، رأيت إحداها هناك ، لم تكن سيئة .

قالت : عندى ، جمعتها كلها ، أغلبها تجرى فى الفراغ . أنتم - لا أفهم - حتى عندما تأتون إلى هنا تتحدثون أيضًا عن تلك الأزقة المتربة ، عن الساواك الذى صار كبار مأموريه الآن بالطبع دلالى أسلحة ، أو هم يوصلون البيتزا فى (لوس أنجيلس) إلى باب بيت هذا وذاك .

- حسنًا ، هذا هو ، هذا ما عندنا .

- نعم ، أدرى . ولكن الإنسان يكون جالسًا فى سان ميشل ، ثم يتحسر على مقهى سلمان فى شاه آباد [٥٥] التى كما يقول هو نفسه لا يسمح بدخول النساء إليها !

- إذن ينبغى أن يكتب عن سان ميشل

- لا ، ولكننا يجب أن نفهم فى الأقل أنه كانت فى العالم إمكانات أخرى أيضًا ، أو هى موجودة الآن . هنا بالنسبة لى مثلاً تلك الهموم الصغيرة ، تلك المشغوليات التى صارت مضحكة ، أفهم أننى لم أكن

مجبراً أن أتحمل كل هذا الوقت ، والآخرون أيضًا . من هنا لا يمكن أن يُرى غير زقاقك المشجر ذاك ، أو غرف الجسر تلك التى يمكن رؤيتها على نحو أفضل عند الغروب البرتقالى ، لأنك تفهم أنه كان ثمة إمكان واحد من ملايين أنك كنت تفكر فى أنه كان مقدّراً .

فى ميدان (مونمارتر) طلب من صنم بانو أن تجلس كى يرسم رسام تخطيطًا لها . قالت صنم : قل لى : لا تريد أن تأخذه معك ؟

- وربما أخذته . ثم إذ أنا هنا ماذا ؟

- فى الوقت الحاضر ، لا تأشيرة عندى إلا إلى الثالث من خرداد (٥٦) .

- ولكن ، إن أردت يمكن تجديدها .

- لننتظر ونر .

قالت صنم بانو : ينبغى أن تحسم أمرك سريعًا ، فأنت لم تر شيئًا هنا بعد .

- أدرى .

أخذت صنم بانو كرسيًا وجلست مولية وجهها نحو ظهر الكرسى ، أمامه هو الواقف فى مواجهة تامة للرسام اليابانى الذى كان ينظّم قائمه . أكان هذا بالذات هو الخيال الذى يأتى فى النوم واليقظة وكان هو قد أعطى فى كل مرة ، فى ألاعيب خياله ، كل جزء منه لشخص ما ؟ لو أنه تمكن أن يأخذ الرسم إلى مينا فما كان يجب أن يقول ؟

قال : أتذكرين تمثال موياسان ذاك فى تقاطع مونبارناس ـ راسباى ؟

ـ طيب

ـ عندما نظرت إليه رأيت أنه لا ينظر إلينا نحن الواقفين عند قدمه ، وإنما إلى البعيد ، إلى باريسه ، إلى راستينياكه أو ووكر خاصته ، إلى ذلك النزل الذى قدم وصفه جزءًا جزءًا ، أو أنه يصغى أصلاً إلى صوت خشخشة تنورات بنات بابا غوريو . حسنًا ، لقد كان عنده محل يجمع فيه بشره فى مكان واحد ، ولكن نحن ، لا ، فى الأقل أنا ، لم أكن فى مكان ما ، لم أكن فى مكان ثابت قط . خلال هذه السنوات العشر ، أو الاثنتى عشرة مثلاً كنا كل سنة فى مكان ، إلى أن أوشك أن أعتاد على مكان منضدتى أو مكتبتى أضطر إلى أن أجمعها مرة أخرى وأذهب إلى بيت جديد . وقبل ذلك كان على ذلك النحو أيضًا ، كل بضع سنوات كنت فى محلة . وعندما صرت معلمًا أيضًا كنت أرمى فى كل شهر مهر (٥٧) إلى قرية جديدة ، وكنت أحيانًا مضطرًا إلى الذهاب كيلومترات على الدراجة حتى أصل إلى سيارة تذهب إلى تلك القرية . حسنًا ، لهذا السبب أتذكر الأشياء دائمًا قطعة قطعة ، ربما لهذا السبب أكتبها كى أجمعها ، فى عالم الخيال ، فى مكان جنب بعضها بعضًا ، مثل جارين قديمين .

ضحكت صنم بانو . تقدم الرسام ووضع يدًا على ذقنها فأدار وجهها قليلاً . قالت صنم بانو :

ـ أكتبت هذه ليلة أمس ؟

ـ لا ، عندما كنت قادمًا فقط كتبت ، قرب تقويمى ، فى تاريخ اليوم ، الحاجّة السيدة ـ خط ـ مدام ووكر .

ـ اسم حقيقى؟

ـ ما الفرق ؟ يمكننا أحيانًا حتى أن نذكر الاسم الحقيقى لشخص ما، ونقول إنه خيالى.

أم مينا ماتت السنة الماضية، عندما هدم أولادها بيتهم ماتت. ما كان الحاج باقيًا كانت تتمتع بنظام واستقرار، ثم عاشت بضع سنوات وحيدة فى البيت القديم. كان فى (آمُل). كان الحاج قد عمى. كان عنده مرض السكرى. مات قبل خمس سنوات. عندما وصلنا كانوا وضعوه فى تابوت ، ووضعوا حوله ثلجًا كى لا يجيف. عندما وصلنا كان ميتًا منذ نحو عشر ساعات. بقيت أقرأ فوق رأسه القرآن حتى الصباح. فى بعض الأحيان بكيت حتى. فى اليوم الذى ذهبنا فيه كى نأخذ إذنه بالزواج مسح على وجهى بيده ، ثم على عنقى ، وكتفى وقال: « مبارك. لا يعقل أن يكون شخصًا سيئًا، ولكن بشرط أن يتعهد ألا يدخن السجاير، وألا يقرب المشروب قط». كانوا قد مدوا لنا سماطًا من هنا إلى هناك. كان قد أجلس طفلتىْ مينا إلى جانبه وراح يقول : « مينا لك، وهاتان الاثنتان لى». كان يشير إلى الغرف التى لا يراها وإلى الحديقة الكبيرة التى كانت أشجار حمضياتها قد أزهرت لتوها وكانت رائحة عطرها تفوح. كان البيت كبيرًا حقًا، وقديمًا جدًا أيضًا. كان

ميراث جد الحاجّة وكانوا قد هدموا جزءًا منه أحيانًا وأعادوا بناءه. كانت الحاجة السيدة غالبًا ما تقول : « عندما بنينا هنا كان عمر عصمت ثلاث سنوات ». أو كانت تقول: « عندما كان عمر مينا ثلاث سنوات بنينا المطبخ » ، كان المطبخ لا يزال موجودًا بتلك الوجاقات الآجرية المدخنة والأثافى التى لا تزال أرجلها فى الرماد. وكانت بضع أشجار يوسفى وشجرة ليمون أيضًا فى حديقتهم، وشجرة تين أيضًا فى الحديقة الخلفية، حيث كانوا يحتفظون بالدجاج والديكة، وفى بعض الأحيان بالدجاج الرومى أيضًا ، وكان عندهم أيضًا حوض فى وسط الحديقة، مستطيل، له مغسل رجل [٥٨] قيشانيُّه أخضر. وكانت عندهم أيضًا عشر سمكات ، أو اثنتا عشرة كانت الحاجة السيدة تدرى فى أية سنة ألقوا كلاً منها فى الحوض [٥٩]. وكانت فيه أيضًا نافورة يفتحها الحاج ذاته، عصرًا فعصر، قبل أن يبدأ سيره. كانت ابنتا مينا تذهبان إلى هناك شهرًا ، فى الصيف، كى لا تبقى الحاجة وحدها . كان الأولاد والبنات كل منهم فى مدينة: (سمنان) ، أو (رشت)، وكان أحدهم فى (سارى) أيضًا ، أخو مينا الكبير الذى كان بائع أدوات منزلية. حسنًا ، كانوا قد وضعوا الميت فى الغرفة خماسية الأبواب. وفى الغرفة عينها غسلوه وكفنوه، والآن كانت الخالة عصمت تواظب على المجىء ورص الثلج حول جسد الميت الذى كانوا لفوا حوله أيضًا قطعة بلاستيك. وكانوا علقوا أيضًا تصويره، بعد أن أطّروه، على الجدار، بعينين سالمتين، ولكن حاملاً العصا بيده. احتفظوا به على هذا النحو ثمان وأربعين ساعة كى يصل الجميع. وأخيرًا لم يصل أخو مينا الأصغر. كنا نعرف جميعًا أنه لن يلحق. كان مفقود الأثر، ولكن مع ذلك كانوا قد

أبرقوا إلى وحدته العسكرية. وذهبت الحاجة نفسها فتلفنت. لم يكونوا قالوا للشيخ إنه مفقود الأثر. حسنًا، هؤلاء هم. كان ينبغى أن يأتى أخوا الحاج من مشبهد [٦٠]. كان أحدهما على زعل مع الحاج منذ عشر سنين. كان الأخ الأكبر، ولكن الحاج صرخ برأسه ذات يوم: «أأنت أعمى أم أنا؟». فمضى العم بعد أن قال: «إلا إذا جلبوا جنازتى إلى هنا» [٦١]. ولكنه جاء الآن وأخذ يقرأ القرآن، حفظًا. وقرأت الحاجة أيضًا، لكن لا على رأس الميت. وإلى بعد بضع سنوات أيضًا بقيت وحيدة فريدة فى ذلك البيت إياه حتى هدموه، البيت الذى يذكّرها كل زاوية منه بشىء. كانت إحدى البنات قد كسرت مثلاً أصيص زهر، فكانت تقول كلّما ترانا: « أيًا ما كسرتا، فدى لرأسيهما. لم يعودوا الآن يصنعون أصصًا بهذه الحواشى المقرنصة. كانت عاليه حبلى بمُحسنها عندما اشتريته ، لثقله أعطيته لصبى البائع فجلبه لى». صباحًا، بعد صلاة الصبح، كانت تسحب رَحْلَها [٦٢] إلى أمام وتقرأ جزءا من القرآن مبرَّةً على روح الحاج ، وكانت أيضًا تكنس البيت عصراً بعصر، حتى عندما كنا نحن هناك، وتكنس الحديقة كلها بظهر محنى ثم ترش الماء، وتجلس بعدئذ فى الإيوان فتصاحب حميدها. العفو، تفتح النافورة ، أولاً ثم تذهب إلى الإيوان المطل على باب البيت الذى كانت فتحته قبلاً. عندما كان الشيخ ، حيًا، كان يتمشى كل يوم عصراً، فى الحديقة، إن لم يهطل المطر، حاملاً العصا ومنتصبًا. وفى الأيام المطيرة كان يتمشى فى الإيوان. كان يروح ويجىء على طول الإيوان، من باب غرفة الحاجة إلى باب المخزن، بلا عصا. يمسك بيده الحائط والشبابيك ويروح ويجىء. بعد عمليات (فتح المبين) [٦٣]،

إذ يعود حميد، تفتح الحاجة له الباب. كان قد أرسل رسائل وبعث فيها تحياته للجميع. ما أن ترى الحاجة الكُمّ الخالى لذراعه الأيمن حتى تمسك فمها، كي لا يفهم الحاج، وتضع رأسها على كتف ابنها. كان آخر العنقود ومحبوب الجميع. كان الحاج يتمشى فى الساحة. عندما يصل أمام الباب، يقول: « أنت يا بابا؟ » فيقول حميد: « السلام يا بابا». يقول الحاج : « عليك السلام، يا ولدى ». ثم إذ ينقل عصاه من يد إلى يد يسأل : « فمتى إذن يا ابنى؟..» فيجيب حميد: « سريعًا يا أبى». عندما يمد الحاج ذراعه، يضطر حميد إلى التقدم. كانت الحاجة تقول : « وعندما سحبت ذيل جاكتته وأشرت له لم ينتبه أيضًا. يمسد الحاج أولاً وجه حميد، عينيه، أنفه، شفتيه ثم الذقن ويصل بعدئذ إلى العنق والكتفين ويقول: «الحمد لله أنك سالم ». ويصل أخيراً إلى الردن الخالى. تسقط العصا من يده، يجمع الردن فى قبضته ، ويقول: «ذراعك اليمنى موجودة؟» فيقول حميد: « نعم، يا بابا » . ويسأل: «ماذا عن ساقيك ؟ » « سالمتان، يا أبت ». فيقول الحاج: « حسنًا، الحمد لله ». وعندما يسمع صوت بكاء الحاجة يقول : « أعطنى تلك العصا، يا امرأة ». عندما يأخذ العصا من يد حميد، يلمس بيده الأخرى أولاً معصم ثم أصابع يد حميد اليمنى، ويقول: « الحمد لله إذ أنت موجود ». كانت الجدة تقول : « طيلة حياته ، ما أن يسمع اسم حميد حتى يقول : شكرًا لله أنه لا يزال موجوداً، يده سالمة ». حسنًا، إن أمكن فأنا أريد أن أكتب هذا بالذات، هذه القطع، حتى لو أذكر ذلك البيت ، أو ذلك التين الذى لم يكن الشيخ يستطيع أن يأكله، لأنه كان يعلق بأسنانه الاصطناعية.

قالت صنم بانو: كلكم مثل بعض.

ـ المقصود؟

ـ لا شيء، قلته اعتباطًا.

ـ سألت جاداً.

ـ حسنًا، انظر إليك مثلاً، أنت الآن واقف هنا في مونمارتر، المكان الذى كان يواجد فيه الانطباعيون فى الأكثر، كانوا يجلسون فى أحد الدور فى هذه الأنحاء وبدلاً من الإيجار يعطون لوحاتهم إلى أصحاب منازلهم، ولكنكم تروحون فتعلقون النسخ المطبوعة عن لوحاتهم على جدران شققكم، ولستم مستعدين قط أن تذهبوا فتعيشوا فى تلك البيوت الرطبة القديمة التى تأكل الأرضة ليل نهار حتى أطر تصاويرها، ثم تتحسرون على الماضى، الماضى الذى يقلعونه من جذوره كل عشر سنوات. أتدرى؟ أنا ذهبت، فى المحطة الثانية تلك إياها، فى خط بيوتنا ذاته. لم تكن موجودة، كانوا قد هدموها قبل الحرب، وتلك التى بنوها فيما بعد هدمتها مدفعية العراقيين، كما لو لم نكن وإياك موجودين أصلاً، وقصتك «العرس» تلك أيضًا، لم تكن موجودة حتى فى الواقع.

تقدم اليابانى إلى أمام وأدار وجهها ثانية. قالت صنم بانو: هنا، ولابد أنك قد انتبهت الآن، ماضى الناس موجود، لا يغيرون حتى الأسماء.

ـ لهذا السبب بالذات ينبغى أن نكتب، أو أن أتحدث ـ ما دام الوقت لم يتأخر بعد ـ عن ذلك البيت الذى نقيم فيه الآن. كى يعرف سهراب غداً، عندما يكبر، أين كان.

ـ طيب، قطعة قطعة نعم، ولكن ماذا عنك؟ من أين تريدين النظر إلى هذه الأشياء ؟

لم يدع صنماً تدفع، برم الرسم، وغنى:

نافذة واحدة تكفيني نافذة نحو لحظة الوعى والنظر والصمت

كان يلبس جاكتته ثم ينظر إلى الرسم الذى كان مقرراً أن يصير أمريكيًا ذا غبغب بطبقتين وخدين أحمرين ، كان ينظر محدقًا إلى الجانب الآخر ويواصل الرمش. قالت صنم: ليتنى استطعت أن أمسك غبغبه.

ـ لم يكن لسعيد غبغب حينذاك.

ـ فى تلك الأيام نعم، ولكن صار له فيما بعد، لكن ليس بهذا الحجم العظيم. ومع هذا فأنا لا أحمل ضغينة الآن ، مهما يكن فهو أبو أطفالى، وأراه أحيانًا، يتصل هاتفيًا ، أو يأتينى فى محل عملى كى يرى، زعمًا، إن لم يكن ثمة نقص أو عوز.

فى الرصيف المقابل وضعوا كراسى وجلس السياح، حتمًا، اثنين اثنين وأحيانًا فرادى وآلات التصوير على الأكتاف.

سألت صنم بانو: أتريد أن نتناول شيئًا فى إحدى هذه المقاهى ؟

ـ حسنًا، ينبغى أن نعرف أولاً عند أية طاولة كان سيزان أو بيسارو يجلسان.

ما الذى رأته فى وجهه حتى لوحت بيدها، يدها اليمنى التى رفعتها إلى أمام وجهها وهزت كما لو كان ثمة ضباب تريد أن تزيحه

أصابعها الأربعة ؟ قالت : أعتذر، يجب أن تعود، أدرى، إن الجلوس عند طاولة بيسارو ، أو حتى الذهاب إلى سان ميشل ، والعثور على المقهى ذاته الذى كان يرتاده همينغواى ، ويكتب فيه لا يحل شيئًا. هذه الأعمال تليق بهؤلاء السياح، ولكن حقًا، أظن أنك إذ لم تقرأ طوال هذه البضع سنوات أية مجلة ، ورأيت أفلامًا مُثِّل بها أو، لا أدرى، تكلمت ملغّزًا، فمن البعيد أن يصير عمل ما أعجوبة.

ـ وهنا كيف؟ لماذا إذن لم يفعل هؤلاء الذين هنا شيئًا؟

ـ معلوم، لا تزال إحدى قدمى الواحد منهم هناك، إنهم يكتبون لأزقة نايين (٦٤) المتربة وممر مقصود بك فى أصفهان رسالة غم. إننى، كما لابد أنك سمعت، أكتب أطروحتى المتعلقة بالأدب المعاصر، أجريت حواراً مع ساعدى، هنا كان يجلس فى الـ (دوم) ، وكان دائمًا ـ قلت كأنما ـ يتكلم عن مقهى سلمان.

قال : حسنًا، الكل على هذا النحو، هنا كان جويس يكتب إلى قريب له فى دوبلن رسالة أن اذهب إلى الرصيف الفلانى ، وانظر كم يبعد غطاس الرصيف عن الأرض.

ـ نعم، سمعت، لهذا السبب بالذات أتصور أنه يتعين النظر من بعيد، فالنظر من قريب يجعل الإنسان – فى الأغلب – أعمى.

ـ مثلى ؟ لا

وقف ونظر إليها. كانت أهدابها لا تزال طويلة، ولكنها ممددة على هيئة نوم بحيث لم يعد فيها ذلك الملمس الذى يشبه زغب الدراق، الذى

كان وصفه في مكان ما. أغمض هو أيضًا عينه. ما الذي كان يريده منها بحيث أنه قبل مجيئه ، بعد أن جاء إلى هذا البيت بشهرين ، لا تزال عشر كارتونات ، أو عشرون من كتبه ملفوفة بالحبال باقية إلى جانب غرفة نومه. فتحت عينيها، قالت: من المقرر أن نذهب بعد سنة أو سنة ونصف إلى بيتنا، فقد سددنا أقساطه.

- أين يقع؟

- في إحدى هذه البنايات العالية، في الطابق الثاني عشر. أطلقت عليه مينا اسم العش، مثلاً عش غراب فوق أعلى غصن لشجرة صفصاف.

- تريدين إذن أن ترى من نافذة هذا العش كل شيء؟

- لا، لا، ليس كل شيء، أريد فقط تلك التي دونتها، أو أن أكمل بضعة الأسطر من كتابتي تلك.

- مثلاً؟

كانا يمضيان في زقاق ضيق وملتف مرصوف بحجر، وبيوته على الأغلب ذات طابقين ،أو ثلاثة لا أكثر. كانت صنم بانو قد أخذت ذراعه. قالت : حسنًا، ثمة أمور كثيرة، مثلاً - أيها أذكر؟ - ثمة واحد هو مجرد تصوير، كأنما هيأوه كي يمسك مصور آلة تصويره أمامه ويثبته، إلى الأبد. إن كتابته صعبة، تتطلب مقدمات وهذه المقدمات بالذات هي ما يخربه، كما لو أن المرء لفقها من عنده . ليكن ، سأقول : أثناء القصف الجوي أرسلنا الأطفال إلى الشمال. كانت المدارس معطلة،

وكنا نحن فى البيت. أثناء الليل عندما كانت تأتى طائرة كنا نخرج أحيانًا إلى الزقاق لنتفرج عليها، لم نكن فهمنا بعد أى خطر يمكن أن يتهددنا. كانت الدنيا مظلمة وكان نور الطائرة واضحًا، وربما كان ذلك انعكاس الضوء، كائنًا ما كان، كان يمكن التخمين فى أى اتجاه سيذهب. ثم كنا نسمع صوت الانفجار، ونتصل هاتفيًا بهذا وذاك كى نرى إن كانوا سالمين أم لا ، وفى النهار كنا فى الأغلب نستطيع أن نخمن مسيرها، أحيانًا من الخط الدخانى الذى يبقى فى السماء مدة طويلة. ذات يوم، قبل الظهر، لم يكن صوت صفارة زوال الخطر قد انتهى بعد عندما سمعنا صوت انفجار. كان قريبًا، وكان الزجاج لا يزال يهتز. قلت لمينا: « أتريدين أن نذهب فنرى ؟ ». قالت: « كى يصير ماذا؟» قلت : « ولكن، ينبغى أن نرى ما الذى يجرى». كنا أحيانًا، إذ يُعلن عن خطر، نذهب إلى السرداب. كانت مينا تنظر على الدوام إلى بويب مواجه للزقاق، تسد أذنيها ، وتجلس مقابل ذلك البويب الذى كنا غطيناه بمقوى أسود. وأخيرًا جاء ـ عندما وصلنا لم يكن الغبار قد استقر بعد. كانت بناية من أربعة طوابق. بدلاً من أرضية الغرفة ، أو السرداب كان ثمة حفرة لا يزال الغبار يرتفع منها، ترابًا ودخانًا. ومن البناية أيضًا جدارها الخلفى وشريط من أرضية كل غرفة. كانت ستارة نافذة الطابق الثانى لا تزال موجودة وتتلاعب بها الريح ، وإلى جانبها باب كان مجرد إطار فارغ، بدون أى باب. قالت مينا: «انظر!»، وكانت تشير إلى الطابق الرابع. كانت نافذة ليس فيها أى زجاج ، يمكن أن يُفهم من ستارتها المعلقة ممزقةً ومن قطعة المقوى الملصقة بالزاوية العليا اليمنى وتهتز بالهواء. قالت مينا: « أرأيت ؟ » فقلت ما رأيت.

قالت: « هناك تحت النافذة ». كان أصيص، من هذه الأصص الخضراء الكبيرة مقرنصة الحواشى. قلت : « نعم، رأيت ، لا يزال أصيصهم موجوداً». قالت : « موجود، أراه، ولكن انتبه جيداً لترَ بأى شىء قد ثُبِّت » . على الحاشية التى تبقت من أرضية غرفتهم كان الأصيص لا يزال باقياً، بتلك الأوراق العريضة الخضراء التى كأنها كانت لا تزال ريانة نضرة، كما لو كانوا قد سقوها قبل لحظة، وأن امرأة لم تكن موجودة لَمَّعت ، بخرقة نصف مبللة ، أوراقها واحدة واحدة. قالت مينا: «عسى ألا يقع». على تلك الشفة الضيقة المتبقية من أرضية بيت انهدم ، كان الأصيص يقف بكل ثقل أصيصا كبيرا وأخضر ومقرنص، كأنما كانوا تركوه على رفٍ عالٍ. قالت مينا: « سيقع حتماً، إنه غير مثبت بشىء » . كانت شفة الصحن الموضوع تحت الأصيص قد نتأت عن الرف وكان شكل هلال من قعر الصحن مرئياً.

فتح عينه، كانت صنم بانو واقفة، كان رأسها مطأطأ. كانت مينا واقفة أيضاً، ولا تزال تلوح بحقيبتها للجهة المقابلة، وقال بعينين لابد مغمضتين : أدرى أنه لم يصر. كانت مينا تقول دوماً : « ولو من أجل هذا الأصيص فقط، يجب أن تكتب ».

- فاسمها إذن مينا حقًا ؟

- سبق أن قلت إننى ينبغى أن أشذبها.

- أتدرى ؟ لقد استمعت إلى الشريط مرتين أو ثلاث ، إننى الآن قلقة فى الأكثر على فرج ، حتى لو لم يكن هذا اسمه.

ـ حتى تصل يده، إذا ما نشرت، أو يسمع شريطها؟

ـ شيء من هذا القبيل. فالدنيا كما تراها صغيرة جداً.

ـ لا، لا أتصور. عندما صدرت روايتي تلفن أحدهم أنه يريد أن يراني. جاء مع زوجته ، كانت سويدية طويلة القامة وشقراء الشعر، من تلك الشقرة التي كأن الشعر حقل حنطة جاهزة للحصاد. لم تكن تعرف الفارسية ، وتكلمنا نحن طوال الوقت بالفارسية، كنا نتحدث لا على التعيين كي نجد، زعماً، نقاط اشتراك ، وفي الآخر لم أفهم لماذا جاءا. عندما نهضا كي ينصرفا، سأل : « طيب ، أنظرت إليها ؟ » فقلت : « المقصود ؟» قال : « مثل صفيّتك بالضبط » . كانت عيناها الحارقتان خضراوين ، وهي أطول مني ومنه بطول رأسها وعنقها. قلت: « نعم، لا تختلف قيد شعرة، وخاصة من جانب » ، فقال : « أنا أيضاً ما أن رأيتها حتى قلت هذا لنفسي. تعرفت عليها في (يوتوبوري) » .

فقالت صنم بانو: وماذا عنك؟

كانت تشير إلى الرسم الذي تحت إبطه: صفيتك أو أصلاً كل النساء اللائي وصفتهن لهن خال أو غمازة تحت الخدود، ولكن ليس الخال قط على حافة الغمازة تحت الخد، مرة في زاوية الشفة، على جهة اليسار، ومرة تحت الشفة السفلى هنا، أو أصلاً فوق الوجنة، ولهذا يتضح في الأغلب أنها زائفة.

ـ على « مريم » زائفة.

ـ وصفيه أيضاً عندما تريد أن تضع خالاً، ترتجف يدها.

لم يكن أجاب بعد على رسالة سيمين. ما الذى كانت ياسمن تريده بحيث يجب أن يكون بلون الفستق؟ كانت هى من تذكره دائمًا بميلاد مينا فى الأغلب. قال : تزوجت مينا فى الثلاثين من خرداد اثنتين وستين (٦٥). كانت تكوى شيئًا وكنت أنا أجلس فى صالة بيتها على مصطبة لا نزال نملكها ، وكانت تترنم بشىء هامسة أيضًا ، وكان ثمة طاولة أمامى عليها سلة فواكه أو ربما قطعة كيك. رأيت فجأة أننى أكتب، كتبت نصف صفحة إذ رأيت أننى كنت أكتب فى حضورها. قلت: « أتتزوجيننى ؟ » قالت: « ماذا جرى ؟ عسى ألا تكون رائحة الكواء جعلتك تفكر فى الأمر؟». فقلت: « انظرى لقد كتبت، لقد تمكنت أن أكتب فى هذه الصالة الصغيرة » . حسنًا، وهذا ما جرى. إن إقناع البنتين وجدهما ذاك، اقتضى شهرين. أعطينا كل أشياء طاهر ومخلفاته ووسّطنا عشرة أشخاص، أو لا أدرى كم، حتى أعطانا الطفلتين. أظن أن رسالة وصلت إليه أيضًا ، لم نعرف ممن ؟ أو من أين؟ قال أخيرًا: «لا كلام عندى، أنا وأمه، كما تريان، لا نستطيع. إنهما تحتاجان إلى أم » . ثم أخذَنا، فأرانا غرفة طاهر. حسب قول مينا كانا رتباها كما لو أن طاهرًا لا يزال طالبًا فى السنة الثالثة فى فرع العلوم الاجتماعية. أريانا واحدًا واحدًا كل شىء ، وأوضحا متى اشتراه أو ممن أخذه هدية. عندما كنا نودع عند الباب، قال: «عندما يستسلم المرء، من أجل البقاء حيًا، لهذه الأشياء، ينبغى أن يوجد أيضًا من يقول : لا، لستُ، حسب قول طاهر، فى مسلخ العشق...» نعم، قرأ هذا.

- أنت أسود جدًا، جدًا.

ومرة أخرى قالت: جداً. كى لا يسمع مرة أخرى، جداً، حدثها عن أحداث ألمانيا، وتكلم عن بتال أيضاً، عن الأغنية التى غنتها.

قالت: نعم، أنا أيضاً سمعت.

أخرج الشريط من حقيبته وأراها إياه. أخذت صنم بانو الشريط ووضعته فى حقيبتها اليدوية، قالت: لا تحتاج إلى تغيير الكلام، سبق أن قلت لك عندى. وعندما شرحت قصة الصفصاف، أيضاً، قالت: أنت مر جداً، جداً.

كانا قد جلسا فى قطار المترو وجهاً لوجه وتكلمت على هذا النحو، لم يكن يريد أن يكتب هذا. كانت صنم بانو قد قالت: لنذهب إلى بيتى، نأكل مما هو موجود. قال: هنا أيضاً إن اضطر المرء أن يركب المترو دائماً، فما من خبر عن التنوع. نظرت صنم بانو إلى أظافر يدها اليمنى. قالت: أنت ترى أننى لا أزال أقضم. لم يتذكر. قال: لا أذكر.

- حسناً ، بدأت فيما بعد.

أبدلا الخط وفى (غار دونور) جلسا ينتظران قطار ما بين المدن، كانت امرأة أيضاً تجلس إلى جانبهما على المصطبة تصلح، فى مرآتها اليدوية، زينتها ، وكان شيخ على الطرف الآخر يضع رجله على الجدار ويقرأ جريدة.

- كان شريط فرانكفورت أسوأ عمل أراه منك.

كانت تقضم أظافرها. كان خط صفحة وجهها يكسر يدها المرتعشة والأصبع الذى رفعته إلى شفتها. أمسكت يدها اليمنى بيسراه وقد ضمت الآن يديها معاً أمام صدرها. قالت : أرسله أحد الأصدقاء .

- ولكن منذ أن ضحكوا لم أعد أستطيع أن أركز حواسى.

قال : أنا أيضًا عندما سمعت أول الضحكات أجفلت. انظرى مثلاً ركبنا أنا ومينا والأطفال الحافلة، ركبت مينا والطفلتان من الباب الخلفى وأنا وسهراب من الباب الأمامى، فى الحافلة، كان سهراب يبكى، كان يريد أن يذهب عندهن، ومن الجهة الأخرى كانت سيمين تلوح بيدها. هذه المسائل بالنسبة لكم مضحكة ، ولكن بالنسبة لنا، لا. إن الضحك والبكاء فى كل مكان مرتبط بالموقف، الزمان والمكان ووضع المشاهد. على فرض أن حبل ماكنة جر انقطع ، والإنسان الذى كان مقرراً أن يكون هناك فى الأعلى، معلقًا بالحبل، قد فرّ، ونصف الحبل فى عنقه، طيب: كل إنسان حسب موقفه من المحكوم أو هذا الوضع يصدر عنه رد فعل ما. الأكثرية يضحكون بالطبع، ويشيح واحد أو اثنان، باكيين، بوجهيهما أو يأتيان ليذهبا إلى بيتيهما. فى هذه الحالة، إن جاء أحد فأمسك بتلابيب المحكوم وعقد حبله ببقية الحبل، ثم يرفع أيضًا طفله ابن الخمس سنوات ويضعه على كتفه وراء قفاه كى يرى على نحو أفضل..

قالت صنم بانو : يكفى بالله عليك.

- أنا أكتب بهذه الطريقة.

فى القطار لم تنقطع عن الكلام عن (زيبا) ها التى كانت فى لاهاى، وكانت تتخصص فى الرسم. كانت تقول : أرادت أولاً أن تدرس الاقتصاد، وإذ وجدت عملاً فى معرض مدة سنة صار لها ولع بالرسم. وهى الآن تكتب أطروحتها، مثلى.

وتكلمت أيضًا عنها أنها قالت بأن الطلبة هنا لم يعد لهم شأن بالسياسة. كانت الإضرابات ، أو التظاهرة الوحيدة التى قاموا بها فى بضعة السنوات الأخيرة هذه من أجل مخالفة خفض ميزانية خدمات طلبة الجامعة. قالت : تقدموا إلى أمام قصر رئاسة الوزراء مصحوبين بفرقة من عازفى الترومبيت ، وخلعوا ملابسهم قطعة قطعة، وعندما جاء رئيس الوزراء ليخطب فيهم، أحدث عازفو الترومبيت ضجة من الصخب بحيث لم يفهم أحد ما كان يقول.

وتحدثت أخيراً عن المهندس أين هو، وأنه لم يعد له شأن بها، وقد تقبل الأولاد مضطرين أيضًا أن الأمر أفضل على هذا النحو.

قال: يقول بهمن إنه هنا.

- يأتى أحيانًا. ويتلفن لى ليرى إن كنت أريد شيئًا. قبل بضعة أيام، تلفن من المطار، كان يقول: «أرأيت أن الحق كان معى ؟».

نزلا فى موقف (آن غن له بن). كرره هامسًا عدة مرات كى يحفظه، فكان الآن يتذكر الاسم وظلال القاعة تلك التى تصل إلى باب ذى ظلفتين وبضع درجات وشارع كان خاليًا وكان مرطوبًا. كان المطر لا يزال يساقط. قالت صنم بانو: ترى أنهم تيمنوا بقدومك رشوا كل مكان بالماء.

فضحك وأدار سبابته: ولكن للأسف، ترين أن الأطفال حملة الأعلام ذهبوا إلى بيوتهم ليناموا لأننا تأخرنا كثيراً.

وصلا طريقًا ضيقًا لو أنه يغلق عينيه الآن يراه: كان مشجراً ويلتف ، ولكل بيوته فى الجانب الأيمن حدائق لها أسوار مغطاة

بالمتعرشات أو بالآس. كان يسار الحديقة الخلفية يضم البيوت. كانت ثمة هنا وهناك أحيانًا نافذة مضيئة. قالت صنم: الآن ينبح.

كأن نباح الكلب بدأ من وسط جملتها ، بحيث أنها قفزت إلى وراء. ذهبا إلى الجهة الأخرى. قالت صنم : أترى خطمه ؟ يُخرج أولاً رأسه من بين الآس ثم، عندما يصل المرء أمامه بالضبط ، ينبح .

رأى شيئًا مثل خطم كلب ذئبي بين الآس؛ كان لا يزال ينبح. سأل: « أكل ليلة هكذا؟ ».

- إن تأخرت فى المجىء، من الساعة العاشرة فما بعد يفكونه، ولكنه لا يخيف، لا يمكنه أن يُخرج غير خطمه. حاولت كثيراً أن أصادقه، ولكن لم أنجح، جلبت له طعامًا مرة أو مرتين. لا يأكل، وما لم تبتعد كثيراً فهو يبقى ينبح. ذات ليلة... دعه.

أمسكت بمرفقه، وقالت : حقًا، ما كنت تقول ؟

لم يكن هو، وهو يذكر ذلك الآن، قد نطق بشىء. كانت ياسمن قد طلبت منديلاً فستقيًا. كم يومًا لديه؟

سألت صنم بانو: فيم تفكر ؟

- إننى أنظر فقط.

- تخاف؟

- ممً ؟

ـ حسنًا، هنا ـ لابد أنك قد انتبهت الآن ـ لا يتغير أى شىء فى أى وقت ، أو أن كل شىء جديد يوضع بوسواس مشهود إلى جانب الأشياء القديمة كما لو كان جديداً. هذا الزقاق مثلاً، خلال هذه السنوات الخمس التى أنا فيها هنا لم يتغير قط أصلاً، فى الظاهر. جُدِّد بناء بيت أو بيتين ، ولكن واجهتيهما لم تتبدلا.

سأل : وماذا عن هذا الكلب ؟ يعنى أنه عندما تعودين فى كل ليلة يؤدى نباحه ؟

أطلقت مرفقه، وقالت: أنا لا أعود متأخرة ليلاً .

بلغا شارعًا كان ذا ممر واحد. دارا إلى جهة اليسار. كان يدرى أنه سيتذكر إلى هنا. قالت صنم بانو: أنا مسرورة لأننى هنا، مع أننى غريبة، ولكننى عندما أرى كل شىء في موضعه الأول، هذا الشارع ، أو حتى لون باب البيت المقابل هو ما كان عليه، أحس أننى أنا أيضًا جزء من حدث، بطيئًا كان أو سريعًا إلا أنه مستمر. هناك...

قال : نعم ، أدرى، وقد كان دائمًا على هذا النحو. هناك ، كما تقولين ، لا ، لا يمكن هكذا ، دعينى أذكر لك نموذجاً.

كانا يقفان أمام بناية كان يعرف أن بيت صنم لابد فيها، كان يراها تضع يدها فى حقيبتها. قال فى أى وقت من المساء كان أو فى أى شهر . بحث عن زقاق فى شارع نصرت (٦٦) الغربى ولم يجده. قال :

ـ صدقينى، قطعت نصرت الغربى كله وعدت، ونظرت إلى أسماء كل الأزقة واحداً واحداً. طيب، ليس هذا مهمًا، لابد أنك سمعت أنهم

غيروا أسماء جميع الأزقة، ولكنني فزعت عندما لم يعرف واحد أو اثنان في المحلة، وحتى واحد كان بيته لا يبعد عن ذلك الزقاق غير بيتين بالضبط، أين يقع الزقاق. ولقد عرفت مصادفة، في الحقيقة، دخلت زقاقًا أو اثنين ومن رقع الأرقام وجدت البيت. عندما قرعت جرس باب البيت فهمت مرتعبًا أن الناس هناك، دعى المارة، كانوا جميعًا أغرابًا، أتوا إلى هناك منذ زمن قصير، ولذلك فيما أظن.

- كانت صنم بانو تلوح له بالمفتاح ، قالت : ألا تريد أن ترى بيتى؟

- بالطبع، لهذا بالذات جئنا .

كان الباب خشبيًا وقديمًا فيه زجاجتان ملونتان، انفتح برائحة عطن ورائحة عطر لم يكن معروفًا ، مضاءً بنور مصباح جدارى وضياء يشع من زجاج نافذة الحجيرة المقابلة. ومع ذلك ، فقد كان الباقى، مهما كان، وراء موسلين رقيق من نصف عتمة، صار عند غلق الباب ضبابًا كثيفًا نبح الكلب من وراء طياته، ضعيفًا وعندما ارتفع وظهر إلى العيان فى النور كان كلبًا قصير الأرجل كثير الشعر فى حضن امرأة سمينة ضاحكة ، قالت أو سألت شيئًا بالفرنسية ، وأجابت صنم بانو بدورها ومسدت بيدها على خطم الكلب ومرة أخرى قالت شيئًا والمرأة أيضًا ثم ضحكتا جميعًا. هز رأسه ورأى سلمًا ومصعداً. كان قديمًا وبابه خشبيًا مشبكًا ويفغ رائحة عطن وسجائر لم تكن غلواز. قالت صنم بانو: هذه امرأة البواب.

- فهمت.

ـ الآن، لماذا أنت عابس؟ أنا لا آخذك إلى مقتلك

ـ عندما لا أفهم أصير عصبيًا.

ـ طيب، الجميع يكونون هكذا فى البداية.

ـ وفيما بعد ؟

ـ معلوم، ينبغى تعلم لغتهم، وحتى التفكير بتلك اللغة، وإلا فإنك تبقى خارج الدائرة، غريبًا أو مهاجمًا.

ـ ألا تتصورين أنه صار متأخرًا الآن بالنسبة لى؟

ـ أنا تعلمت فى ستة أشهر، بقدر ما استطعت أن ألبى احتياجاتى وأحرم من وجود مترجمى المحترم، حضرة إيمانى.

كانا يصعدان سلمًا حادا معتمدين بأيديهما على الحاجز. كان المصعد يرقى إلى الطابق الرابع. كانت صنم بانو تتقدمه بدرجتين أو ثلاث. عند استدارة السلم وقفت، فى مواجهته. لم يكن مضاء غير وجهها وسطح مائل من عنقها. لابد أنه هو أيضًا وقف ما دام يتذكر الآن على هذا النحو، وكان جزء أو اثنان من ثوبها أيضًا مضيئين ومقطع من ساقها اليسرى. قالت: انظر يا إبراهيم، لا تتهرب، لا أظننا نستطيع، فى تلك القرية، أن نفعل شيئًا. هنا، وقلت ذلك قبلاً أيضًا، لا يزال مركز فنون العالم وأدبه. إذا كنت تريد أن تفعل شيئًا، من أجل تلك التربة إياها، يجب أن تبقى مدة، بضع سنوات وتنسى ـ لا أدرى ـ شاه آباد وميدان الإعدام (٦٧). ثم يمكنك العودة بعدئذ بالطبع والحديث عن هنا.

قال : ولكن تلك القرية عندها، في الحقيقة، لغة...

لا ، لم يكن هنا أن تكلمت عن اللغة، كانت قد فكرت بذلك قبلاً. كانت الشيء الوحيد الذى تمتلكه ، وكانت جذورها ، وكانت تربطها بكل من يتكلم بهذه اللغة، حتى بايمانى. مرة أخرى رقت السلم ويدها على الدرابزون. كان المشى طويلاً على جانبه الأيمن باب أو اثنان، وفتحة مضيئة لمشى آخر يتقاطع مع هذا وقد وقفت صنم بانو فى نهاية ذاك أمام أحد الأبواب. كان واقفًا إذن، ربما ليجدد أنفاسه أو ليفكر بـ(رودكى) (٦٨)، ثم بـ(فرخى) (٦٩) وبـ « بنفسج خصلة شعرى ذلك الرأس والقوام الفضى المشوق » ومضى ومضى حتى بلغ « فى صلاتى جاء انحناء حاجبك مع الريح » حتى وصل إلى صنم بانو فقرأ هامسًا:

ضفائرها الطويلة كما طحالب فوق الماء

التفت حول رأسى

فأوقعتنى

إلى الجبن ، وجعلتنى أنازع

كانت صنم بانو واقفة تنتظره والمفتاح بيدها، قالت: قل لى، أتريد أن ترى كتبى أولاً أم أن نأكل شيئًا؟

ضحك: لا فرق.

- يفرق، ولكن دعه لوقت آخر، ربما وجدنا وقتًا.

أشارت إلى باب في آخر الدهليز كان خشبيًا وكبيرًا وقالت جمعت هنا كل تلك الأشياء، ولكن حسنًا، دعني أولاً أرِك بيتي.

كان بيتها في الجهة اليسرى. صالة صغيرة لها نافذة تواجه مكعبات ملونة أو نجومًا بعيدة وغامزة بكل لون. وكانت قد أعدت مائدة أيضًا مع كرسيين على الجانبين. قالت صنم بانو: وهذا بيتي. أهلاً وسهلاً.

إلى أن علق حقيبته وجاكتته على مشجب، وألقى نظرة من النافذة اليسرى إلى الخارج وجلس، جاءت من الغرفة الأخرى. كانت ترتدي قميصًا قصير الأردان وبنطلونًا، وقد جمعت شعرها وألقته وراء ظهرها. كانت الستارة من حبات السذاب علقتها خيوطًا. قالت: إلى أن تشرب شيئًا يكون كل شيء جاهزًا، يكفي أن أسخنه فقط.

عندما جلبت طاسة معدنية مطلية ملأى بالرز عرف أنها معروفة له، لم تكن فرشت على المائدة غطاء. كان ظرف اللبن والخيار مرصعًا بخضرة كاليشب وضعته بين طاستين معدنيتين صغيرتين، وجلبت زجاجة أيضًا. كانت روسية، وعقدت حباتُ دمعٍ فمَها وعنقَها. أين قرأ بحيث أنه حتى الآن، إذ يرى كل شيء من جديد، لا يتذكر ؟

نهض وألقى من النافذة ذاتها التي أسدلت ستارتها الآن نظرة إلى الخارج. في أي طابق كان بحيث كان يسمع صوت الصمت، لو لم تأت طقطقة، أو خشخشة من المطبخ ؟ كان المطبخ صغيرًا وعلى

الطباخ الغازى كانت قدران صغيرتان تسخنان ، كانت صنم بانو جالسة وتضع شيئًا فى الفرن، رفعت رأسها: أبهذه السرعة نفد صبرك؟

- تعرفين أن الوحدة لا تنزل من بلعومى.

كان كالعفريت، وفى انتهاء الضلع المقابل كان باب مغلق وباب نصف مفتوح على حجيرة ربما كانت الحمام. كانت حمامًا ، ولا يمكن الغسل فيه إلا وقوفًا.

قالت صنم بانو: أيمكن من فضلك أن تضع شريطًا؟ يمكنك، إن أردت، أن تضع صفصافك إياه.

أشارت إلى الستارة الخيطية. كأنها كانت غرفة جلوس تضاء بمصباح أحمر، كان فيها ديوان كبير وكنبتان. كان الحائط المقابل مغطى تمامًا بالرفوف، وثمة منضدة صغيرة على الجانب الأيمن، وإلى هذا الجانب خزانة صغيرة لها بابان مفتوحان. كان مصباح النوم فوق الديوان. لو أن الديوان يصير سريرًا، وصار، فقد كان هو ما سبق أن وصفه بسطرين أو ثلاثة. على يسار الخزانة ، علقت ستارة وراء المنضدة والكرسى. وكان تلفزيون صغير عند هذا الجانب، ظهره إلى الجدار. وقد وضعت طاولة زينتها أيضًا على الطرف الآخر من التلفزيون. لهذه الأسباب لم يكن قال هناك إن المرأة عندما تصل يكون الوقت متأخرًا فلا يكون لديها إلا ما يكفى لأن تلبس ملابس راحتها وتفتح الديوان لتجعله سريرًا وتضع غطاء عينها وتتمدد بالطبع فى

النـور البرتقالى. على الجـدار وراء التلـفزيون لم يجد مـفتاح كـهرباء، ولم يكن مـوجـوداً أيضـًا على العـمـود جنب النافـذة. كـان المصبـاح المنضـدى بين الديوان والأجـهزة الصـوتيـة. على الأرفف المقـابلة كـان الأكثر هو أضابير ومجلات مرصوفة فوق بعضها . جاء صوت انكسار شىء. كان قد فتح إضبارة وراح ينظر فيـها. كـانت مقصـوصـات من المجلات ، أو نسخة مقالة. لم يكن يستطيع أن يقرأ. كان يعرف. وضعـها فى محلها وعاد. قالت صنم بانو: لم يكن شيئًا، انصرف أنت إلى شغلك.

كـانت تضع كـاسـة اللوبياء على المائدة. قـالت : أنا لم أكتب هذه حتى بالشكل الذى كان مفروضـًا. كنت أذهـب إلى الجسـر بالسيارة، ثم أعبر الجسر مشيًا. وكان الوقت فى الأغلب مغربًا. أجتاز غرفة غرفة، وفى كل مرة أرى المغرب مـجدداً، ذلك السطح الكروى البرتقالى الكبير الذى يغـيب عند انتهـاء النهر وراء الأشـجار ، أو مبانى هـذا الجانب، كأنه - إن مضـيت بطيئًا وتريثت تحت المدخل الهلالى لكل غرفة دقيـقة أو دقيقتين، لرأيت لا غروبًا واحداً وإنما عدة غروبات ، وذلك الشريط الملتف الذى ينشطر مرة وأخرى إلى خطين ذهبيين. لو كان الجو مطيراً كنت أسير من حاشية الدهليز ومرة أخرى من وراء عمود ستارة المطر الذى يتكرر، لو أننى تريثت فـقط وراء العـمود أو أغمضت عينى لحظة ويدى على الجدار. على هذا النحو كان يمكن رؤية عدة مغارب فى اليوم الواحـد أو المطر أو حتى النهر القـادم بحوضـه الأخضـر يمضـى فوق صـخور تحت الجسـر متـدحـرجًا مـزبداً ، بحـيث لو أنك تقدمت بضـع خطوات لـرأيتـه الآن يمـضـى أعـرض، بدون أى مـوج. ثم أيضـًا، إذا ما اتجـهت يمينًا كان المكان كله أجمة ، وكان زقاقًا أيضًا أوله مدخل

بستان ومن بعد بيوت ذات طابق واحد حيطانها مطلية بالتبن ـ طين ، وحانوت أو اثنان يطلعان بالضبط مقابل الميدان الصغير الملتصق بالكنيسة. كنا دائمًا نمضى من الزقاق الأيمن الذى لا تزال أرضيته حجرية. كان فرس النهر مقابل الكنيسة، كنيسة « وانك ». كان لقاؤنا فى الأغلب هناك، وحتى طاولتنا كانت معروفة.

أشارت إلى المنضدة: نعم، كانت مثل هذه، مدورة وخشبية، ولكن أحد سيقانها كان مخلخلاً.

جلس وراء المائدة وأكل. كانت صنم بانو واقفة، عند طرف المائدة الآخر. قالت: لقد وجدت هذه على هذا النحو، فى محل لبيع المواد المستعملة فى هذه الأنحاء.

ـ ولكن أولئك الأصدقاء، طبيعى بعضهم الذين لا يزالون أحياء، لا أراهم من العام للعام. أسمع بوجودهم، أن أحدهم مثلاً قابلت ابنته فى مكان ما، أو أن آخر انفصل عن زوجته. هناك، لو ذهبت، كنت أراهم. كانوا ولم يعد يمكن الآن لشىء أن يجمعهم، إلا أن أكتبهم، على النحو الذى كانوه فى تلك الأيام.

نظر إلى صنم بانو : أتعرفين ؟ كنا نريد تغيير الدنيا، لكننا نرى الآن أننا نحن وحدنا الذين تغيرنا.

ذهبت صنم بانو مرة أخرى كى تجلب شيئًا. أغمض عينه. لماذا كان يقول هذا لها هى التى يبدو كأنها وضعت على تلك الأرفف كل شىء فى إضبارة ما؟ كانت طبخت نوعين من المرق كما جلبت الرز فى صحن كبير.

قال : لابد أنك قرأت، كنا نجتمع هناك كل ثلاثاء، يعني أنهم يأتون أيام الثلاثاء فقط ، في الأيام الأخرى نذهب أحيانًا. عند الموائد الأخرى كان الزبائن من المعارف. في وقت التعطيل، كان أربعة عمال ميكانيك أرمن يأتون ويشربون شيئًا وقوفًا ثم يذهبون. رأيتهم ذات يوم جلسوا عند مائدة، وكانوا ثلاثة ولم يكن ذلك الأرمني السمين البشوش موجوداً. جلسوا نحو نصف ساعة وذهبوا ، وكأنهم اشتروا واحدة أيضًا ولفوها بكيس وأخذوها. لقد كتبت هذا في مكان ما، لم ينجح، فركّبته مع شيء آخر، مع حادثة أخرى. لم ينجح. ينبغي كتابته وحده، لا مثلاً رأيناه بزاوية العين أو سمعناه بعدة روايات. في الليلة التالية، ذهبت مصادفة، كانوا موجودين ، وذلك الذي كان في الأغلب يضحك بصوت عال واسمه هايغاز وعندما يتورد خداه يأتي إلى مائدتنا فيقول شيئًا بالفارسية والأرمنية وحتى أنه يغني شيئًا أحيانًا بصوت عال بالأرمنية ، وإن قدمنا له قدحًا يأخذه فيشربه بنفس واحد، لم يكن موجوداً. لم يكن الباقون قد جاؤوا. سأل ناصر عن هايغاز، ذهب إلى مائدتهم وسأل، ثم جلس. وعندما جاء الباقون، جاء أكبر أو مرتضى ـ نسيت الآن أيهما. وعندما ناديناه، قال إنه سيأتي حالاً. وفي الآخر نهض معهم كي يذهب، قال: «يقول الأرمن إنهم ذاهبون إلى هايغاز». سألنا: «فأين هو؟» لم يكن يدري. بدافع الفضول ذهبت أنا أيضًا. كانت عندهم سيارة حمل. ركب عدد منا في الخلف.

كان مرق (قورمه) [٧٠] ومرق باذنجان وأرز. كان قد أكل. وكانت صنم بانو الآن تنظر إليه ويدها على ذقنها. قالت : ما صار ؟ لماذا لا تتمها؟

ـ لا يمكن ، لم تعد تلك الأزقة موجودة.

ـ طيب ، زقاق آخر ـ ما الفرق ؟ ـ لا تزال ثمة أماكن . حيطان تبن ـ طينية على الجانبين ، طاق أو طاقا باب ، وأحيانًا رائحة كمثرى من باب نصف مفتوح على مدخل معتم .

كان الخال قد سقط فى حافة الحفرة ، وكانت تصنع الآن برءوس أصابع يدها اليسرى من شعرها الذى تساقط الآن على كتفها حلقات .

أكل لقمة أخرى ، أو اثنتين ، نظر إليها مرة أخرى . كان يراها عكرة . رفع نظارته ومسحها بمنديل . كانت صنم بانو ترطب بأسلة لسانها شفتها نصف المفترّة . كان ينبغى أن يتحدث عن اللغة . كان يذكر ، الآن ، أنه لم يتكلم عن ذلك البيت حينئذ . قال كان حجر الزقاق ، ما زلت أذكر ، من حجر حقيقى ، بحجم الآجر وقد رصف كالآجر أيضًا ، وكان الزقاق يلتف باستمرار أيضًا وكنا نحن مجبرين أن نتأخر ونتقدم كى نتمكن من المرور . وفى الآخر ترجلنا وذهب أحدهم ، أظنه هراند ، إلى وراء كى يأتى من طريق آخر . وكانت ساقية ضيقة أيضًا فى وسط الزقاق وقد جفت . كان الاثنان يمضيان إلى أمام ونحن وراءهما . كان لأغلب البيوت صفّات لا يمكن العثور على مثلها فى المدينة كلها . ثم وصلنا طاقًا كان معتمًا ، ثم ميدانًا صغيرًا فيه حانوت واحد مفتوح ، هو محل مشروبات . ذهب ذانك الاثنان إلى الداخل ووقفنا نحن عند الباب . نظر ناصر من الزجاج ، وقال : سألت : « من ؟ » . قال : « ظننت أن هايغاز لابد هنا » . نظرت أنا أيضًا ، كان فى المحل ثلاث طاولات فقط ، ولم يكن فيه غير هذين المشتريين اللذين وقفا عند المقصف . وأخيراً جاءا . كان أحدهما يبكى ، أظن اسمه كان ماسيت .

كان قصير القامة ويرتدى لباس العمل ذاك إياه . كان الآخر يمسكه من تحت إبطه ويمشي به ويقول شيئًا . وصلنا أخيراً زقاق بستان كان ترابيًا ومظلمًا . كان الجو ، أذكر ، غائمًا . وكان صوت شهقات بكاء ماسيت لا يزال يأتى ونحن نتقدم متلمسين الحائط . وصلنا أخيراً مقبرة ، مقبرة الأرمن . لا تختلف عن مقبرتنا ، فيما عدا أن على أحجار شواهد القبور صلبانًا ، وفي بعض الأحيان على القبور الحديثة صلبان من خشب . كان هراند أيضًا موجوداً ، وقد جلس عند رأس قبر . طيب . كان معلومًا . كان واضحًا أنه لم يكن بمقدور ماسيت أن يذهب على قدميه ، فعاونّا نحن أيضًا . قال أرمن : «خذوه أنتم ، أنا ينبغى أن أجمع الخشب» طبيعى أنه قال ذلك باللهجة التى يقول بها الأرمن . كان طويل القامة وله شعر تمرى ، وكان وجهه منمشًا أيضًا . عندما أجلسنا ماسيت ، ساعدنا نحن أيضًا . كان يجب أن نجمع الجنبات . قال هراند إننا ينبغى أن نذهب نحو الجبل . فقد قلعنا كل ما هو موجود هنا . كان عنده مصباح يدوى ، وعندما يجد جنبة يركل برأس جزمته تحتها ، وبعد أن يركل بضع ركلات يمضى إلى الأخرى . ونحن نلقط . كان أعطى جنباته لناصر . كان يقول : «أيها المسلم ، انتبه لا تقع على الأرض ، هنا كثير من الحفر» . طبيعى أنه لم يكن يقول حفر ، كان يقول آبار . كان يقول : « هايغاز كان تحب النار كثير» . صفوا الجنبات حول القبر ، بشكل مثلث ، أوقدوا أولاً رؤوسه الثلاثة . كان هراند يحمل فى جيب بنطال عمله زجاجة نفط . كان على الضلع المواجه للجبل ثلاثة أكوام ، وعلى كل من الضلعين الآخرين كومان . لم نفهم لماذا . وكان مكان

الأكوام واضحًا أيضًا . ثم جلسوا على شكل مثلث أيضًا على أطراف القبر الثلاثة : واحد عند رأس القبر والاثنان الآخران على هذا الجانب وذاك . كنا نحن بالطبع خارج مثلث النار . كانوا يسلمون القنينة واحداً لواحد ، ولكن كلما وصلت القنينة ماسيت كان يهرق أولاً فوق القبر . فى الحقيقة تصورنا فى البداية أنه كان يريق على القبر ، فوق تراب القبر ، ولكن عندما تقدمنا فيما بعد ، رأيناه يصب فى فتحة أنبوبة ، كانت من حديد ومائلة وقد غرزوها فوق رأس القبر .

كان قد رسم مثلث النار ومثلث الأشخاص على المائدة برأس أصبعه . كان وضع خبز مكائن [٧١] وراح الآن يشير برأسه . قال : « كان ماسيت جالسًا هنا . لم يعد يبكى . عندما تصل نوبته يصب سهم هايغاز فى الأنبوب الذى كانوا غرزوه فى التربة ثم يشرب حصته ويتكلم بصوت عال وحتى يضحك » .

تذكرت فجأة ، فنهضت ، وقالت : بالإذن .

كان تخطيطًا بالأسود والأبيض لهمّ فان كوخ على العمود بين النافذتين . كان مقارنًا لهاتين النافذتين . قالت : لابد أنك تسمح ؟

أمسك بضعة خيوط بيده ونظر إليها . رآها .

قالت صنم بانو : عمَّ تبحث ؟ مفتاحه هنا قرب يدك .

كانت فى العمود بين النافذتين . علقتها صنم بانو . عندما كان يكتب «أختر ، نجمتنا» كانت هذه ذاتها معلقة على الجدار المقابل . ولكنه ، فى القصة ، إنه الآن متأكد ، لم يأت على ذكرها . كان الهاتف

جنب المصباح المنضدى . كانت قد خلعت قابسه . جلست وضعت شريط الصفصاف . كان شريطها هى .

صفصاف صفصاف

وضع كفه على صدره

ورأسه على ركبتيه

مثل تخطيط الهم . كانت أختر ، فى تلك القصة ، عندما تُخرج ملاعقها الصغيرة والثوب ذا الكسرات اللماع ، تمد يدها كى يقص محمود أظفارها الطويلة المعتنى بها واحداً واحداً ، ثم تجلس هكذا ، وتقول إنهم يجب أن يرسموا حولها خطًا ، كلها ، وتريد الآن أن تذهب لنفسها فتجد مأوى ومستقراً . لا تستطيع .

سحب إضبارة أو اثنتين وفر أوراقها . كان تخمينه صحيحًا . كانت قد جمعت كل شىء عن كل شخص . وكان كل رف يخص واحداً أيضًا . وجد رفّه . رتبته حسب ترتيب السنوات ، ولم تضع على غلاف الأضابير غير رقم . فى الإضبارة الأخيرة يوجد كل الكلام الذى قاله فى هذه السفرة . متى لحقت أن تدونه ؟

أيعنى أنه كان هذا فقط . فى زاويتى مرآة طاولة الزينة كانت تثبّت صورتى ابنتيها ، وعلى الطاولة كان تصوير ابنها أيضًا فى إطار . لا ، لم يكن تصوير إيمانى موجوداً ، وكانت ثمة قصاصة تخطيط لها أيضاً فى إطار صدفى ، وراء زجاجة عطر ، أو زجاجتين . فتح بابى الخزانة كليهما ولمس الملابس وحتى الحاجز وراءها ، كما لو كان يريد أن يجد

أحداً . وعرّج على الأشرطة أيضًا ، كانت عندها مجموعة سوناتات باخ أيضًا . كانت تديرها عندما تكتب . لم يتذكر أين قالت هذا . وضع سونات الكلارنيت والكمان . صار يمكنه الآن أن يكون صريحًا .

كانت صنم بانو توقد شمعًا . صحنه فقط لا يزال هناك . قالت : اجلس الآن أكمل طعامك ، حتى أغير ملابسى .

ـ لا أظنك تريدين أن تلبسى ثياب عرسك ؟

ـ لا تهرف .

ألقى نظرة على المطبخ . كانت قد غسلت كل الصحون . كانت قد وضعت قهوة وقالب كيك صغيراً . يجب أن يقدم المرآة ذات الأبواب فى الأول . كانت فى حقيبة كتفه . ما كان ليقول لمينا حتمًا . يمكنها الآن أن تقرأ بالطبع . عندما تأتى عصراً تمر أولاً بمنضدتها . تجمع هذه الأشياء ، وتضعها فى إضبارة صندوقية وتضع بدلاً منها كل يوم كتابًا على المنضدة لتوهم بأنها تقرأ .

أخرج المرآة . كانت بحجم كف اليد لا أكبر . يعنى أن مينا كانت وراءها ؟ عندما يذهب يجب أن يعطيها إياها . وضعها فى جيب جاكتته ، وجلس عند المائدة وأكل بضع لقمات .

كانت صنم بانو قد لبست ثوبًا بلا أكمام أزرق سماويًا . أسدلت شعرها على الكتف . كانت تضحك . دارت ، وقالت وتنورتها بيدها : لا تضغط على ذاكرتك ، لقد اشتريت هذا قبل أسبوع فقط . أحببت هذه الكسرات .

وقامت بدورة أخرى ، قالت : ولكن الحقيقة هى أن هذه هى المرة الأولى التى ألبسه فيها ، لبسته من أجلك .

جاء صوت جرس هاتف . قالت : أرجو المعذرة ، أظنه سيامك .

لم تكن تسمع ما يقول . كأنه كان رفع صوت المسجلة . أخذت صحنها إلى المطبخ ، غسلته ووضعته فى رف تنشيف الصحون . صبت كوبى قهوة ثم ذهبت فجلبت الكيك . أرث سيجارة واستمع إلى الموسيقى . لو أنه بقى هنا ، ما كان بمقدوره أن يكتب . كان بيته لغته . انقطعت الموسيقى ، ومرة أخرى ارتفع صوت صفصاف صفصاف . كانت بتال قد سجلت هذا فقط له ، وكان بقية الشريط خاليًا . نهض وأطفأ مصباح السقف . كان الشمع بلا دمع وقد وصل إلى المنتصف . لم يكن ناقصًا إلا أن تدور فراشة حوله (٧٢) . لا ، كان الأمر تجاوز ذلك قليلاً . جاءت صنم بانو ، حاملة بيدها إضبارة . قالت : كان إيمانى ، يبلغ تحياته .

- أقلت إننى موجود هنا ؟

- إننا منفصلان منذ أربع سنوات وستة أشهر ، رسميًا وحتى شرعيًا .

- لهذا السبب نزعت قابس الهاتف ؟

- لو بقيت أتذكر سأنزعه حتى الحادية عشرة .

كانت الساعة العاشرة إلا ربعًا . قالت صنم بانو : لا تخف ، هنا يوجد قطار حتى الصباح ، كل ما هنالك أنه منذ الحادية

عشرة فما بعد يأتى مرة كل ساعة ، أو ربما كل ثلاثة أرباع الساعة .

- لم أنظر لسبب بالذات .

تذكر . كانت مينا تقول : نحن النساء نكدح حتى النزع ساعتين وأحيانًا ثلاثًا ثم أنتم تبتلعونه خلال خمس دقائق ثم تتفضلون بال

كان لذيذًا ، أحسنت

قال : أحسنت ، كان طعامك لذيذًا جدًا .

- أدرى ، طوال سنتين لم يكن شغلى فى أحد المطاعم إلا هذا . كلما كان اللاجئون المحترمون يذكرون الوطن كانوا يأتون إليه

- والآن ماذا ؟

- قلت إننى أشتغل فى مكتبة ، وآتى فى الأعصر أيضًا إلى البيت فأقوم بهذه الأعمال التى ترى ، لهذا السبب تلفن إيمانى . كان يقترح أن آخذ إجازة ، لمدة سنة أو فى الأقل ستة أشهر . يقول عندى الكثير بحيث لست مضطرة للعمل و . . .

شربت جرعة أخرى وأخذت سيجارة وأرّثتها . قالت : يجلب لى أحيانًا كتبًا أيضًا ، يأخذ ما يرى .

فتح الإضبارة . كانت الصفحات مطبوعة على الآلة . قالت انظر بحثت فى هذا القسم المرأة فى القصص الإيرانى المعاصر . القسم الأول من سنة ١٣٠٠ إلى ١٣٢٠ [٧٣] ، قسم المرأة الأثيرية . معلوم

أنني أخذته من « البومة العمياء » [٧٤] . ليس للمرأة فى هذا العصر أى تجلٍ ملموس ، حتى عندما تكون عاهرة ، والمرأة الأثيرية هى نفسها معشوقة شعر القدماء الغنائى أو ، إذا تطلب الأمر ، المرأة الموجودة فى رسوم المينياتور . هذه المرأة لا نراها حية وحاضرة حتى فى قصص هدايت أيضًا . فى «الدمية وراء الستارة» [٧٤] و«الأخ السيد كل» [٤٧] الأمر واضح . فى «المرأة التى أضاعت زوجها» [٧٤] ، بنيت المرأة على أساس فكرة واحدة .

امرأة تطلب سوط الرجل . هذان الوجهان للمرأة يبقيان فيما بعد أيضًا : لو كانت المرأة اعتيادية ، امرأة تغسل وتطبخ وحتى تشتغل فى الظل ، أحيانًا هى حتى أم رؤوم ، من الطبيعى أنها ميتة وبقيت يدها أو ذيل عصابة رأسها فى الذاكرة ، وما لم تُرِ هى ذاتها فهى مشغولة بأولادها أو تكون تابعة لولد سجين . على فكرة ، لم يرَ هدايت ، فى رأيى ، المرأة طبعًا بكل أبعادها ، والباقون أيضًا . . .

كانت تجلس حية حاضرة ، وتلعب بشعرها برءوس أصابع يدها اليسرى . كانت لها غضنتان ضيقتان على جبينها ، وقد استقرت على جسر أنفها نقطتان صغيرتان كقطرتى طل . رفعت رأسها ، رمشت وأغمضت عينها . كانت الأهداب مستقرة الآن على الظل تحت العين . مرة أخرى فتحت عينها ، نظرت إليه بالعينين إياهما اللتين نظرت بهما إليه فى الحلم ، وقالت : نفد صبرك ؟

كانت مينا تقول : ليتك تمكنت أن تسمع كلامنا نحن النساء عندما نكون وحدنا .

سأل : حسنًا ، قولى أنت عمَّ تتكلمن .

ـ عن كل شيء ، ليس مهمًا أصلاً ، ولكن يمكننا أن نهرف ساعات . في البداية طبعًا من هذا الكلام الجارى أن مثلاً ، كان الطفل مريضًا ، أو من أين اشترينا هذا أو ذاك ، ثم نتحدث على غير هدى ، عن كل ما يخطر على أذهاننا ، أنا نفسى أيضًا لا أدرى كيف يتداعى كل ذلك الكلام والروايات إلى ذهنى . تقول سرلتى : « لو أننى لا أذهب مرة فى الأسبوع عند أنور ، صديقتى فى المرحلة الثانوية ، فإن قلبى ينفى هؤلاء الرجال . . . » حسنًا ، أنا أيضًا أتصور أن الرجال جديون أكثر من اللازم ، أو يبدون جديين ، ولهذا يغضبون سريعًا ، هم مرهفون .

قالت صنم بانو : سألت إن كان نفد صبرك ؟

ـ لا ، ولكننى كنت أفكر ، أنا أيضًا هكذا ، يعنى إن كان ثمة إشكال فهو فينا جميعًا .

ـ لا ، ليس عامًا ، فى بعض الأحيان مثلاً . .

رنَّ الهاتف . قالت صنم بانو : أرجو المعذرة .

كان يسمعها تكلم إحدى ابنتيها ، قالت : أبوك هنا ، أظنه باق بضعة أيام . وسألت عن بول أيضًا وعن الأطفال . ثم تحدثت عنه أيضًا . قالت : كان يمكنك أن تقولى لأبيك المحترم لم يعد لهذه الأمور صلة بك .

ثم تكلمتا بعد ذلك همساً . كان يعرف أن ذلك التفريغ النفسانى الذى كانت تتكلم عنه مينا لا يتم بالهاتف . مدّ يده كى يتناول الإضبارة . انصرف عن ذلك . لم يكن يريد أن يقرأ ، أو يسمع هذه الأمور . لقد راحت أيامه . كانت مينا تقول : « أتمنى كثيراً عندما تأتى ناهيد أن أدير المسجلة كى تسمع أنت أيضًا ، ولكننى أنا فى الحقيقة لم أعد أستطيع أن أرتاح . انتبهت أخيراً كما لو أنه تداعى الخواطر هذا إياه ، ولكن مع مخاطب لا يخفى عنه الإنسان شيئًا ، نبقى نتكلم ، نستطيع أن نتكلم معًا ساعات طوالاً ، كما لو أن المرء يفكر بصوت عال . قلت إنه نوع من التخلية النفسانية» .

ذهبت صنم بانو مباشرة إلى المطبخ . كانت تغسل شيئًا ، أو تجفف شيئًا إذ كان يأتى صوت أزيز ما . ذهب إلى باب المطبخ . لم يكن فى يدها غير كأس كانت تجففها بقطعة قماش . تحدث عن مينا وذكر ما تقول . كانت الآن تسحب الإسفنجة على الكأس وتشطفها أحيانًا ثم مرة أخرى تغسل داخلها أو تغسل ساقها . قالت : ذات يوم استمعت فى وقت الغداء إلى كلام سرلتى وسام ودوّنت عناوين المواضيع . لا أذكر الآن ، ولكن أفرض أنهما تحدثتا أولاً عن زر المعطف ، ثم عن الدبوس وزهر الأضاليا ، وبقيت هكذا حتى تحدثت السيدة سرلتى عن الرز الذى تنثره صباحًا للعصافير ، وعن زوجها الذى يشخر على نحو مضحك وبدلاً من « خُر . . خُر » [٧٥] يقول « بول . . بول » [٧٦] وكما لو أنه أمسك شيئًا يضم قبضته اليسرى فى المنام وعلى كتفيه ومؤخر مرفقيه شعر من الكثرة بحيث حدث ولا حرج ، وإذا ما استيقظ أيضًا ويرى أن سرلتى تسوى شعرها بالفرشاة وتتزوق يعبس ويقول إنها

ينبغى أن لا تضع من هذا العطر ، ثم تحدثت عن الحمام ، عن الستارة التى اشترتها حديثًا ، وعن زوج سرلتى عندما كان يغسل شعره فعلقت يده بالستارة وقلعها ، وأنها الآن ينبغى أن تذهب عصراً فتشترى واحدة جديدة .

سدت صنم بانو حنفية الماء . جففت الكأس بمنديل . كانت تجففه وتستمع إليه أو إلى صوت الأزيز فقط . كأنه تكلم كثيراً . ولكنه قال أيضًا : تقول مينا : « لو أن أحدهم نظر إلى من الصبح حتى العصر يقول يا للشغل المتعب ، طيب هو متعب لى أيضًا ، يزهق روحى أحيانًا ، ولكن عندما أفكر أننى لو أكتب أحدها خطأ فأى بلاء سيقع على رأس ذلك الأحد ، لا يعود متعبًا بعد » . إن الحياة ، سواء كانت جيدة أو سيئة هى هذه الأشياء الصغيرة وغير المهمة ، كون رأس كتفى السيد سرلتى فى محل حمالة الكتف وعند المرفق عارياً من الشعر ، وتتحدث سرلتى أكثر من أى شىء عن هذه المواقع . تقول لو كان عنده شعر هناك أيضًا لكانت انفصلت عنه منذ تلك الأيام .

وضعت صنم بانو الكأس أمام وجهه : مثل أزيز هذه الكأس ؟

ـ نعم ، كهذا الأزيز الذى أحدثته .

وضعت الكأس فى رف تجفيف مغسل الصحون : أرجوك لا تتحدث عن ذلك أيضًا .

ـ لماذا ؟

ـ طيب ، بعض الأشياء ، مثل غسل وإعادة غسل وعاء ما أكثر خصوصية من أى شىء تفكر فيه ، لو كنت أقرأها فى قصة لا أعود قادرة أن أفعل هذا العمل مرة أخرى .

نظر إلى العينين اللتين أغمضتا بفعل الرطوبة : ليس عندى هنا واحدة مثل سام تلك أو ناهيد كى أحكى عن كل شىء .

ـ ماذا عن ابنتيك ؟

ـ لا يمكن التحدث بهذه الأمور مع البنات .

هزت رأسها : ما هذا الكلام الذى نتحدث به ؟ كنت أريد أن أسأل رأيك بعملى . طيب ، اذهب اجلس ، وإذا أردت فضع شريطًا أيضًا . سآتى حالاً .

أشارت إلى جهازها لصنع القهوة : تشرب قهوة طبعًا ؟

ذهبت فوضعت شريطًا ، استطاع أن يقرأ عليه شومان فقط . كانت قد نزعت قابس الهاتف . مضى إلى الستارة المعلقة وألقى نظرة . كانت سلالم تلتف وتصعد إلى باب نصف مفتوح كانت زاويته العليا مضاءة . قالت صنم بانو : هيا تعال ، بردت قهوتك .

مرة أخرى أرثت سيجارة . قالت : عندك هذه فقط . وقد رأيت أنه ليس عندك فى حقيبتك أيضًا .

عسى ألا تكون رأت المرآة ذات الأبواب أيضًا ، سأل : وماذا عن شغلك ؟ ثمة حتمًا واحدة يمكن أن تكونى صميمية معها ؟

ـ طبعًا توجد ، ولكن الحقيقة هى أن هاته عندما يزداد عبئهن النفسانى يذهبن عند الأطباء النفسيين ، أو يذهبن إلى بار أو مقهى فيرقصن ، إلى حد لا يعدن يذكرن زر معطفهن ، مثلاً . ليس عندى هنا صخرة صابرة تسمع الهم ، وسعيد أيضًا لا يحلّ . لا شأن له بى . ولكنه يظن أنه يجب أن يهتم بأمرى ، لا يدع اسمى يصير على الألسن . يدرى أنك هنا ، لذلك ذهب عند بهمن ، وذلك الأحمق أيضًا لكى يغيظه قال إنك تجرى تحقيقًا عنه ، وقد تلفن اليوم لزهره أن قولى لأمك المكرمة ألا تجالس صاحب القلم هذا . هؤلاء من جعلونا بائسين ، لكثرة ما تحدثوا عن الغابة (٧٧) ، وبدل أن يعطوا الأطفال سيارة نابضية أعطوهم بنادق .

ـ منذ متى انتبهت إلى أن سعيداً . . . ؟

هزت رأسها قليلاً . كانت كتفاها ترتجفان : إذن لم تكن عاطلاً عن العمل خلال هذه المدة ؟

ـ أرجوك .

كانت ترسم برأس أصبعها على شفة نصف دائرية من فنجانها . كان أصبعها طويلاً ونحيلاً مصبوغ الأظافر ، ولكن بلون البشرة . أيها تقضم إذن ؟ قالت : لقد كنت أعرف منذ سنة خمسين (٧٨) ، لا ، كنت أشك . تصورت أولاً أنه يمارس عملاً سياسيًا ، ولكن كان عندنا فى البيت كتب من الكثرة بحيث يشك كل واحد . فى الكلية ، كنت بصدد نيل شهادتى ، اعتقلوا من أجل كتاب عدداً من الطلبة كان من الكثرة ، بحيث أننى وجدت الأمر غير ممكن . كان يتكلم مع زملاء صفى

بصراحة وبشكل مكشوف وحتى كان يعطيهم كتبًا . كان يأتى إلى مطعم الكلية كى يتناول الغداء معى زعمًا ، وكان يتصادق مع الجميع سريعًا ، حتى أنه كان يدعوهم إلى البيت . وسمعت أيضًا أحيانًا أنه ذهب إلى الجبل مع بعضهم . اعتقلوه أخيرًا ، بقى هناك ستة أشهر ، فى الانفرادى . وعندما خرج لم يترك ، الآن صار كثيرون يثقون به . كنت أرى أحيانًا على منضدته كراسات تدل على أنه مرتبط بمكان ما ، حتى . .

هزت رأسها وخللت شعرها بروس أصابع كلتا اليدين ، ونظرت إليه واضعة يديها على قفاها ، وقالت : ربما كانت مينا على حق إذ قالت إن المهم هو تلك الأمور التفصيلية والصغيرة . لا أستطيع أن أشرح جيداً ، أنسى الأشياء الصغيرة ، طبيعى أنه فى بعض الأحيان أتذكر رائحة ، أو لونًا أو شيئًا ما ، وتكون بقيته خلاصة عن الأحداث التى وقعت ، كما لو أن شخصًا آخر ذكرها لى . كان سعيد يأتى ، فى الأغلب ، متأخراً مساء ، وفى بعض الأحيان لا يأتى أسبوعًا ، يتلفن أنه يجب أن يذهب ليمر بالمشغل ، وعندما يكون موجوداً كان عندنا ضيوف على الدوام ، وغالبًا ما يكونون أناسًا جدداً . لم يعد الأصدقاء القدامى يظهرون . وكان يرسل لهم بوساطتى أحيانًا رسائل بأن يكفّوا . كان يقول : « قولى له ، إن جاؤوا فإنهم سيذهبون فوراً إلى بلاط أرضية الغرفة . ينقرون على البلاط فيعرفون أن تحته خالٍ » . وعندما كنت أسأله : « من أين تعرف أنت أين وضعها » كان يقول : « أفلا تذكرين ؟ أنا كنت أضعها فى أمثال هذه الأماكن» .

وضعت كلتا يديها الآن على ذراعى الكرسى . لم تكن يداها تسمحان له بأن يراها . كانت قد خفضت رأسها ، ومسدت برأس أصبع يدها اليسرى على أنفها وشفتها . رطبت شفتها السفلى بأسلة لسانها وراحت الآن تمسحها باستمرار بالسبابة والإبهام . كانت تنظر إليه . قال : إن كان يبهضك اتركيه .

أشارت إلى الإضبارة : إذا كان ممكنًا اقرأ من سنة خمسين فما بعد ، يتملكنى الفضول أن أعرف كيف رأيتُ النساء .

ضحكت . وضعت الآن يديها على خديها وخنصريها فى فمها . كانت تعضهما . يجب أن يمد يده ويمسك يديها كى تهدأ . لو أنه انحنى ما كانت لتبقى فاصلة . قالت صنم بانو ، ويدها اليسرى على عنقها : العموميات متعبة دومًا ، أدرى . يجب أن أفكر طويلاً حتى أتذكر . انظر مثلاً ، عندما كان سعيد يعود من السفر كان يخرج بنا حتمًا ، ويكون اشترى هدية لى أيضًا . كان الأطفال سنة ثلاث وخمسين أو أربع وخمسين قد صاروا كبارًا بحيث لا يمكن الكلام أمامهم . كنت أتصور أن ثمة علاقة بأخرى ، فكنت أذهب وأشم ملابسه أو أفتش جيوبه . لم يكن ثمة أى شىء غير عادى ، ولكننى كنت أدرى أن ثمة شيئًا ، وإلا فما كان ثمة سبب لأن يفعل دائمًا ما من شأنه ألا يبقينا وحيدين . كان عندى درس ، صحيح ، ولكننى كنت أعمل نهارًا ، وكانت سيدة تأتى حتى العصر لكى تعتنى بالأطفال وتطبخ شيئًا . وعندما ذهب سعيد إلى (نهاوند) و(خور موج) مثلاً وبعد ذلك فى الأخير إلى (كيش) ، كنت أواظب على أعمالى كى لا يكون عندى شغل حينما يأتى ، ولكنه ما أن

يصل حتى يتلفن فيدعو بضعة أشخاص ، ولكى لا يسبب لى إزعاجًا يأخذ طعامًا من الخارج . وكان أغلبهم ، كما قلت ، شبانًا ، ويتم تبديلهم كل بضعة شهور أيضًا . وكان بحثهم بالنسبة لى مكررًا . كان أبى ، أنت تذكر ، حزبيًا ، كان كادرًا عماليًا فى الحزب . كان سعيد يلزم جانب الحزب فى الأغلب ، يتكلم عن ضرورة التنظيم ويسخر من العمل المسلح ، وطبيعى أننى أفهم الآن لماذا كان يفعل أمثال هذه الأفعال . كان يريد أن يعرف كل واحد ووضعه ، كما يقول : من يدافع عن النواتات المسلحة . ومع هذا كله ، كان المهم بالنسبة لى أنه لم تعد ثمة بيننا علاقة إلا ضمن الاحتياجات المألوفة ، قل الحيوانية ، كان فى الأغلب لا يأتى إلى الغرفة إلا عندما أكون دائخة من الحاجة للنوم . طبيعى أننى كنت أتذرع أحيانًا بالصداع وأذهب كى أنام ، لم أكن أنام ، كنت أقرأ شيئًا أو أبقى صاحية أنتظر . كنت ، لأى سبب كان ، أحبه فى الحقيقة ، وربما كنت اعتدت عليه ، ولكن فى الآونة الأخيرة صرت أتظاهر بالنوم كى لا أضطر أن ، لا أدرى ، أسمع أنا أيضًا كل النقاشات . ثم أننى كان لابد أن أصحو الصبح مبكرة كى أهيئ الأطفال . ذات صباح لا أدرى ما حصل حتى أننى لما عدت لأنام ، كان سعيد نائمًا . كان خدش على فكه زال عنه لصوق الجروح . قال إنه جرحه عند الحلاقة . جنب الخدش كان ثمة ازرقاق دم مسودّ . مثل ضربة . طبيعى أن هذا لم يكن مهمًا ، فى تلك اللحظة كانت يده هى المهمة بالنسبة لى ، على ذلك النحو الذى كان وضعها فيه على وجهه وكانت ، كما لو أنها شىء حيوانى ، قطعة حجر صقلت وكانت ملأى شعرًا وليس فى أصبعها خاتم زواج . تمددت أنا أيضًا ، مولية إياه

ظهري ، ولكنني كنت أخشى دائمًا أن أحس يده على كتفي . وهذا ما جرى . أحسست بقشعريرة شديدة بحيث شعر هو بها ، حتى أنه قال ماذا جرى ؟ عندما فتحت عيني نظرت فقط إلى جرح فكه ، سألته ماذا حصل ؟ قل الحق كان الجرح قد انفتح وكان مصل الدم يقطر منه . عندما رأيت فمه ، فمه الفاغر ، أدركت أن الأمر انتهى . ومرة أخرى عندما غلبه النوم ، وأردت ـ يعني ـ أن أمد فوقه شيئًا رأيت بضع نقاط ضرب على بدنه . هنا سمعت من بهمن أنهم ضربوه .

مرة أخرى هزت رأسها قليلاً وصنعت برأس أصبع يدها اليسرى بشعرها حلقات ، مغمضة العينين . فتحت عينها ، نصف تبرعم . ولكي لا يرى كان قد أغمض عينيه ، وعندما فتحهما رأى يدى صنم أمامه : يكفى هذا الكلام بعد ، انظر هذه الآن جيداً لترَ إن كنت تعرفها ؟

كان يعرف الأصابع البيض الطويلة ، ولكن نفور العروق ولونها الأزرق تحت بشرة كانت تميل إلى خضرة لم يكن قد وصفها قط .

قال : يدان جميلتان .

ـ لا تتهرب ، انظر جيداً .

مرة أخرى كان مغمض العينين اللتين إما فتحهما رأى يديها المعقودتين قلاباً تحت ذقنها .

قالت صنم بانو : ترى ، لقد أعطيت كل قطعة منى لواحدة .

أشار إلى غرفة النوم : أنت أيضًا فعلت الشيء نفسه معي .

ـ لا ، يختلف ، لقد جمعت أنا كل ماضيّ وإياك ، في تلك الأضابير جمعت كل ما كتبت أو قلت ، وجمعت أيضًا كل مقالات النقد وبيان آراء الآخرين .

ـ نعم ، رأيت .

كانت الآن قد وضعت اليد اليسرى على ذقنها ، قالت : حسنًا

ـ نعم يداك ربما ، وقد بقي شعرك في بالي ، كنت تضفرينه وتلقين كل ضفيرة على جهة من الصدر . أعطيتُ الخال لكثيرات ، طبيعي ليس في الموقع الذي عندك . ولكن طفولة نسائي ليست دائمًا ما كانته طفولتك ، أو طفولتنا نحن الاثنين .

ضحكت : لا أتذكر .

ثم بدأت . كانا قد ذهبا بعذقِ رُطَب إلى ما وراء التنور ، كانا قد لعبا واحدة لك واحدة لي ، ولما رأى أن تلك الرُطَبة الأخيرة يحتمل أن تصير من سهم سمنو ، أكل اثنتين ، ثم قبَّل ، بدلاً من خد سمنو ، أرنبة أنفها وهرب .

قالت صنم بانو : هذه الواحدة .

تذكر . كان عنقود عنب بيد آمنة ، وهو الذي كان يخسر ، اقتلع إضمامة وأكلها كي تضطر آمنه أن تقبله . لم تقبله .

وبعد ذلك تحدثت عن الأعصر حين كانا يحضّران دروسهما معًا . قالت : كنت دائمًا تكتب موضوعات إنشائي .

كانت قالت هذا قبلاً . قالت صنم بانو : أتذكر ما الذى كتبته فى وسط أحد موضوعات إنشائى ؟

كان قد أعطاه لصفيه . كان أحمد يجلس فى غرفته إذ يرى صفيه تأتى ، ودفتر الإنشاء فى يدها ، بعينين محمرتين ، تصور أنها أخذت نمرة واطئة . يأخذ الدفتر ويفر أوراقه . يقول : لقد أخذت عشرين (٧٩) ! تقول صفيه : « اقرأ ، اقرأه كله بصوت عال » . لا يقرأ أحمد عاليًا إلا بضعة أسطر ، يقول : « أنا أحفظ هذا ، فأنا من كتبه» . قالت صفيه : « أدرى ، ولكن اقرأ» . يقرأ : « زقاقنا : فى زقاقنا خطان فى كل خط اثنا عشر بيتًا » .

تحدث عن البيوت واحداً واحداً ، وعن الجيران من هم ، عن الميرزا كاظم الذى يأتى مغرب كل يوم ، بالسروال الداخلى القصير والقميص الداخلى عديم الأكمام . لابسًا قبقابًا ، يدور الخطين . كان قد وصف البيوت واحداً واحداً حتى يصل بيت أهلها ولم يقل إلا عندهم ثلاث بنات ، ثم كتب أحبك . ثم انتقل إلى البيوت التالية ، وتحدث أخيراً عن النجيل أمام البيوت ذوات الأربع غرف والصبيان الذين يتصارعون هناك ويبقون حتى وقت متأخر من الليل فى الخارج ، ومرة أخرى كتب : « أحبك » . عندما كتب عن ألعاب الأطفال وقال إنهم يلعبون مثلاً بالعصا والكرة ، وأن الفتيات يلعبن أحيانًا بالحصيّات وأن الصبيان يؤذون دائمًا ، كتب مرة أخرى : « أحبك » .

كانت صفيه تدق بقبضتيها الصغيرتين على صدره ، وتقول : لماذا كتبت هذه ؟

قالت صنم بانو : هذه اثنتان .

وكان ثمة لعبة العروس والعريس أيضًا ، ولابد أن هذه الثالثة .

كان هو العريس دائمًا حتى ذلك اليوم الذى جعلوا فيه رضا ، للجاجته عريسًا . وهو ابن وحيد مدلل لعائلة من ذوات بيوت الأربع غرف . وكانت العروس صفية . بعد أن أخذاهما إلى الساحة ، ممثلين أنهم يدورون بهما الشوارع كى يعيدوهما ويلقوا فوق رأسيهما بطانية أو شادرًا كى يقبل أحدهما الآخر ، راح هو فلخبط كل شيء وأبدى سوء تربية وجعل كل شيء يستحيل قبيحًا .

قالت صنم بانو : ولقد أمسكناك وضربناك ضربًا جيدًا .

ثم قالت : كم صارت حتى الآن ؟

تذكر قصة بانو . وهى لابد الرابعة . وكان عرسًا . خفض رأسه . كل النسوة اللائى لهن أصابع طويلة ونحيلة ، أو خال على زاوية الشفة ، على الخد أو حتى جنب حفرة الذقن الصغيرة ، إنما أخذها منها ، حتى لو كانت تضفر شعر رأسها وتلقيه على كتفها الأيسر ، أو تمد يدها فتجعل من الشعر الأسود المنهمر على الكتف باثنين من أصابعها حلقة حلقة .

قال : كأننى كنت أحبك كثيرًا .

ـ كأنك ؟

ـ نعم ، نعم كان الاحتمال فيه كثيرًا .

ـ وماذا الآن ؟

ـ لا أدرى . مرت سبع وعشرون ، أو ثمان وعشرون سنة على ذلك ، وقعت كثير من الأمور . تولعت ببعضهن ، ثم رأيت أن ذلك كان خطأ ، كان مجرد انجذاب جسدى إذ عندما يمر شهر ولا أعود أرى المقصودة كان الأمر ينتهى . فى بعض الأحيان كنت أرى واحدة ، وعلى النحو نفسه عندما لا تكون موجودة كنت أتخيل ، ثم ، بعد سنتين إذ أراها أجد أنها ليست من عرفتُ . فمينا حتى عندما كنت أدرى أنها فى شغلها ، كنت أراها فى أبعد الأزقة ، أو حتى بين حشد الجمهور الخارج من دار سينما أو بين المتظاهرين .

ـ لم تكتب هذا .

ـ لا يمكن ، بعض الأمور خصوصية جداً .

كان يكذب . إنه يفهم الآن ، كانت مينا تجلس و . . . لا ، لابد أنه كان يعطيها لآخر ويعود عارياً ، كما الآن إذ يتكلم عن كل شىء . كانت صنم بانو قد قالت : إذن فقد خسرنا كلانا ؟

أكان خسر ؟ لو أنه كان مضى فى سبيل آخر ، أو لو أنه كان قام بانتخاب آخر أفكان يكتب الآن أنه ربح ؟ لقد رأى هناك حيوات لم يبق منها حتى بعد ثلاثين سنة غير خاطرات مرة . لقد افترقا عن بعضهما على نحو ، وكأن وجودهما معًا هناك كان ضرباً من السنَّة ، أو خوفًا من الاختلال فى نفسية الأطفال الذين انصرفوا الآن لأنفسهم وراحوا يتكلمون الفارسية بلهجة إنجليزية أو فرنسية . أقفل يديه ، يديه هو ، على حاشية المنضدة . كان خشى أنه سيمد يدًا فيضعها على قلق يدين

تدعكان الآن علبة السجاير الخالية . كان لا يزال يحتفظ بحلقته فى أصبعه . كانت مينا قد غار الخاتم فى لحم أصبعها . كان قد قال : « طيب ، سأشترى لك غيره » . وصوبنت أيضًا ولم يخرج . اضطرت أن تجعلهم يقصونه . لم يشتر . كانت تقول : «من كثرة ما سمنت» .

قال : ينبغى الكذب أحيانًا .

كانت صنم بانو تقضم خنصر يسراها ، قالت : على من ؟

- لا فرق . حوَّل مكان كرسيه ، تراجع ، قال : أظن مينا كانت تعرف هذا كله ، قرأته ، وقد قلت أنا أيضًا أشياء متناثرة ، ولكنها الآن من قدر انشغالها بابنتيها ، أو ضرورة اهتمامها بسهراب لا تبقى عندها فرصة لتقرأ الأعمال غير المنجزة وأحيانًا حتى المطبوعة . تستمع إلى كلام هذا وذاك ، أو تقنع بخلاصة ما أقوله لها . إذن فلا تستطيع أن ترى ، أعنى قعور الألوان ، تلك الخطوط السرية التى تبقى تحت الظل واللون والخط ، الأسطر التى بين الخطوط .

- الطفل ، أنا أدرك ذلك ، فى الأغلب جيد من أجل المواصلة . إن سعيداً يتكلم الآن دائمًا عنهم ، وفى تلك الأيام أيضًا . فى سنة خمس وخمسين (٨٠) علمت أنه على علاقة بواحدة . كان يستغرق فى التفكير بلا سبب أحيانًا ، أو يصحو فى منتصف الليل فيذهب إلى غرفة الجلوس . وذات ليلة قال لى عزيزتى خجى . تظاهرت طبعًا بعدم الانتباه . كان الأمر انتهى . عندما أرسل الأطفال فهمت أنه لم يعد يقدر

أن يخفى ، وأنا أيضًا لم أكن أستطيع ، إلى سنة خمس وستين [٨١] إذ علمت ، يعنى أنه هو نفسه قال ذات ليلة ، بكى وقال ما يفعل .

- كان بهمن يقول إن اسمه موجود بالتأكيد .

- إذن فقد سمعت أنت أيضًا ؟

هز رأسه مرة أخرى وضرب بظاهر يسراه شيئًا فى الهواء : لا ، أرجوك . لا تكتب عنه شيئًا آخر . إن عندى وجع دماغ منذ الآن . لا يزال يعتقد أنه يملكنى ، الأطفال ذريعة ، أو مساعدة لى كى أكتب أطروحتى .

نهضت ، قالت : أفلا تريد سجائر ؟

- إن توفرت .

- تتوفر ، مقابل المحطة مقهى مفتوح حتى الصباح ، وثمة أماكن بيع أيضًا .

إلى أن تأتى صنم بانو من الغرفة الأخرى لابسة بلوزة وبنطالاً وممسكة بمعطف مطر ، مرتدية جاكتتها معلقة حقيبتها على كتفها . نظرت صنم بانو إلى ساعتها : حسنًا ، إلى أن يأتى القطار عندنا أربعون دقيقة . إن كانت عندك طاقة فإننى أريد أن أريك شيئًا لا يستغرق الطريق إلى المحطة أكثر من عشر دقائق .

كانت قد وضعت صفحة خده الأيسر مقابله ، كما لو عمداً . لمَ لم يذكر قط الخال فى ظهر مينا ؟ ما الذى كان يريده هنا ؟ فى احتفالات

الأول من مايس رأى أجساداً عارية وظهوراً عارية من الكثرة بحيث أن تقوسات أى ظهر منها لا يهز جسده ، عاريًا كان أو مستوراً . فى هامبورغ وراء زجاج الواجهات ، الحمراء من نور المصباح الذى يشع على الأجساد ، والانحناء الدافئ للكتف أو السطح ذى الظل والمرتعش الذى سمرا عيونهما وقلبيهما عليه بحيث يجب ألا تشق صنمه ـ طبعًا على الخال الذى على حافة النقرة تحت الحنك ، مثل حبة سوداء على حيوان ـ طريقها بحيث تفصل يدها ، بإرادة أو بدون إرادة ، عن حمالة الحقيبة وتضعها على كتفها . التفت ونظر إليها ، كانت ترطب شفتها بأسلة لسانها . قال : أترين يا صنم ، إن الإنسان مغبون دائمًا على نحو ما .

فتحت الباب : لماذا مغبون ؟

ـ يكون الإنسان فى كل لحظة ، لضرورة ما ، فى مكان بحيث لا يكون فى مكان آخر أو ألف مكان آخر .

عندما كانا يهبطان السلالم ، تحدثت صنم بانو عن زواجها . كان أبوها يعرف المهندس ، كان مؤيداً ، وكان يأتى إلى بيتهم . قالت : بالنسبة لى لم يكن متاحًا غير ذلك الإمكان الذى عرَض ، وعندما فهمت فيما بعد أنه يمكن للمرء أيضًا أن يكون فى مكان آخر ، بقيت من أجل الأطفال . إن الإنسان – وأفهم هذا الآن – يرى الأمور التى يريد أن يراها ، والتغيير ، الانقلاع ، يتطلب فؤاداً قويًا . عند ميلاد الطفلة الأولى فهمت أننى – بالنسبة لإيمانى ، مجرد أم زهره ، ثم أن الأب كان موجوداً بعد ، ولم يكن يصح . وكان إيمانى يقظًا هو

الآخر ، كان يراعـى حرمة البيت . إلى هذه الأيام الأخيرة لم يحصل قط أن يعطى ورقة بيد ، كان يمارس السرية فى المسائل الشخصية بالقدر نفسه الذى يمارسها فى المسائل الاجتماعية . صارت تلك عادته .

نظر إليها فى نور المصعد الخافت . وراء الأهداب الطويلة ، التى لا تزال طويلة ، كان بؤبؤان أسودان ، غارقان فى رطوبة الدمع ، ينظران إليه . كانت قطرة كبيرة تستقر على ساقية أرنبة أنفها . كى لا ترتفع مرة أخرى يد بلا إرادة تحدث عن مينا ، قال : «إننى الآن على الأرض ، أتدبر أمورى مع العيوب والحسنات» . . ثم ، عندما بلغا الشارع ، وراحا يمشيان معًا فى جو تنبعث منه رائحة رطوبة ، ويرى انعكاس أنوار مصابيح الأعمدة على القعر المبلول للرصيف أو حوض الشارع ، كان يملأ ثغرات قصته . قال : فى البدء كنت مولهًا بالطبع بشعر مينا الأسود شبيه الشلال ، ولكن الحقيقة أن العيب الصغير لانكسار سنها هو الذى شدنى أكثر . كانت زاوية نابها مكسورة بحيث تجعل ضحكتها عذبة ، كما لو أن المرء يركض عمرًا فى حِبٍّ ماء بارد عميق و بالطبع ، صاف ، ثم يبلغ سطح قناة ليس فيها غير شريط ضعيف من الماء ، جار وبارد . حسنًا ، يعرف المرء دائمًا أن ثمة أماكن أخرى أيضًا ، ولكنه يبقى .

- إذن فقد خسرت أنت أيضًا .

- ماذا ؟

- هو ما قلتُ ، وقد كتبت أنت أيضًا ، إما لا شىء وإما كل شىء .

كانا يجتازان زقاق بستان . صنم تمسك مرفقه وتقوده . كان زقاق بستان نوره يضاء أحياناً وبين فاصلة وأخرى تقوم مصابيح على أعمدة قصيرة . عندما ارتفع نباح الكلب قرب يدها ، سحبت صنم بانو مرفقه ، كانت تضحك : نسيت مرة أخرى .

عادا ثانية إلى الرصيف ، قالت : فى هذه الأنحاء بحيرة ، لابد أنها جذابة فى الليالى . وثمة كازينو أيضًا لم أذهب إليها ، لابد أنها غالية جداً .

صعدا سلالم ساكتين . كان طريقًا ضيقًا على رأس سكة القطار . كانت أنوار المحطة مضاءة . على مصطبة إلى الأسفل كان يجلس شخصان . أخذ علبتى سجائر من ماكنة بيع عند المفترق . مرة أخرى وضعت يداً فى مرفقه ، قالت : أزِل تقطيبتك ، أنا أيضًا خسرت ، ولكننى أتصور فى الحقيقة أنه لا يزال فى الوقت متسع . لو أننى قبلت هذا البيت أو لو أننى أقبل أحيانًا الكتب التى يأخذها لى من هنا ومن هناك ، فلأننى لم أعد أريد أن تحطمنى المشغوليات الصغيرة .

ما كان ينبغى أن يقول ؟ تحدث عن معهد اللغة فيما بعد ، عندما يعودون . عندما اجتازا عرضى شارعين آخرين رأى البحيرة : ماءً راكداً ظليلاً كان مظلمًا فى نهايته وكذلك أشجارا كان بصيص ضياء يخرق جدارها بين حين وآخر . لم يكن يرى من الكازينو غير انعكاس نور بابه وشبابيكه على الماء الساكن . أرّث سيجارة . كانت اليد اليمنى طليقة الآن . كانت صنم بانو تدخن أيضًا . لم يرَ إلى أين كانت تنظر . كان هو يمرر يداً على برودة الحاجز . وتحت ، فى ظل جدار منخفض ،

كانت بضع بطات تسبح معًا . وقفت صنم بانو أيضًا ، قالت : ما تزال الخمس نفسها .

كانت تدور ، وتنقر إحداها فى الماء أحيانًا وتخفق جناحًا ثقيلاً . قالت صنم بانو : كان ثمة واحدة أخرى ، لم تعد موجودة الآن .

كانت فى ظل سيقان الساحل الثانى تدور بمفردها . تنقر فى الماء وتهز ذيلها وحتى تنفش ريشها قليلاً وتدور فى تلك الأطراف حول ظل الجدار الخفيض والسيقان الخضراء . قالت صنم بانو : هى نفسها ، وحيدة دائمًا ولكننى لا أتوجع لحالها قط . هى التى أرادت . ولكن هنا بجعة . . . لا ، لا ، عندما تراها بنفسك تفهم .

كانت تشير إلى ظلال هذا الجانب ، حيث لم يعد ثمة وهْم أشجار ، وكانا يهتزان بثقل وبطء فى الريح التى تهب . دارا إلى شارع ضيق ومشجر وملتو . مرت سيارة . تحدثت صنم بانو عن أطفالها ومتى جاءوا . كانا قد أرسلا سيامك فى الأول ثم زهره . كانت زهره تأتى عندما تعطل الجامعة . وكانت زيبا تأتى مع المهندس وتبقى هى . يصاب الأب سنة ثلاث وستين (٨٢) بالجلطة فيسقط بلا حس ولا حراك لتسعة أشهر . كانت صنم فى بيت أهلها ، ثم تأتى . وصلا بوابة خشبية مفتوحة ، قالت : لم أستطع الاحتمال أكثر من خمسة أشهر ، ذات ليلة عندما رأيت أننى لم أعد أستطيع ، قلت إننى ذاهبة أشترى سجاير ، ثم ذهبت إلى بيت صديقة ، وأنا الآن هنا .

ما الذى استطاع أن يفهمه من ذلك ؟ حسب قول مينا : المهم لون اللباس الذى نرتدى . كانت تقول : إن لم تدوّن ملاحظة ، ستنسى بعد ذلك .

لم يكن قد دوّن شيئًا بصورة جدية ، ولكنه كان يتذكر شريط الطريق الضيق بين الأشجار الذى أظلم وتصور غصنا أو جذعا ورائحة كانت رائحة رطوبة ورائحة علف وكأنما رائحة صمغ صنوبرة لا يريانها ثم رائحة وحل ورائحة الحضور الثقيل للماء . كان قد وضع يده فى يد صنم بانو وصار يقول لماذا هو قانع الآن وأنه يظن أن لكل امرئ مكانًا صغيرًا هيأوه له فى الأغلب ، وأنه لو استطاع يريد أن يتحدث عن هذا المكان الصغير ذاته ، عن المنظر الممدود الذى وضعوه أمامه . قال : عندما أفكر فى إمكانات شعراء المعلقات السبع ، أتألم لحالهم : كان بيت شَعر وبضعة إبل وبركة ساكنة أو بئر ماء مالحة وحبيب رحل مع قافلة ، فى ذلك الزمان كانوا يتحدثون عن هذه الأمور بالذات . اجتاز « منوجهريـ (٨٣) » نا مثلاً الصحراء على جمل وكانت أدواته الشمس والقمر والمطر . لو أنه وفى حق هذه الأشياء جيداً ، فإننى أظنه لم يخسر .

قالت صنم بانو : نعم ، نعم ، فهمت ، دع البقية لما بعد ، أخاف أن تقفز وتذهب .

رأى أولاً بضعة أنوار وانعكاسها فى الماء . لم يكن للبحيرة سياج فكانت مضاءة من نور مصابيح الشارع المشجر من هذا الجانب . شدت صنم بانو يده. جلست على أرومة شجرة . قالت صنم بانو : خلف تلك الشجرة.

سمع صوتًا كأنه جناح يخفق بالماء . قالت صنم بانو : اخلع حذاءك .

جلسا على برودة العلف والطل ، كان الصوت يأتى من وراء الشجرة . لم تكن صفصافة ، ولكنها كانت تقف على حافة الماء . رأى

أولاً رأسها ثم عنقها ، وعادت مرة أخرى إلى ظل الشجرة . اصطدمت حرارة همسها بشحمة أذنه

- أرأيتها ؟

ضرب على يدها التى كانت على ركبته .

رآها هذه المرة أكثر . استدارت . جاءت بعنق متلع ، استدارت نصف دائرة فى نور المصابيح المقابلة ثم عادت إلى الظل الذى كان موجوداً وراء الشجرة المظلمة على حافة الماء . سأل : أتأتى كل ليلة إلى هنا ؟

قالت فى أذنه بنسيم نفَسها الرقيق والساخن ذاك : لا تتكلم عاليًا ، تطير .

جاءت مرة أخرى ودارت ، ونشرت جناحيها أيضًا ، كما لو كانت تريد أن تطير ، لكنها لم تطر . مررت جناحيها الأبيضين الطويلين على سطح الماء ، ثم عادت إلى الظل وراء الشجرة على حافة الماء .

بدون أن يدير وجهه نحوها سألها بصوت خافت : سألت أتأتى كل ليلة هنا ؟

- ما قلت ؟

- قلت هل تأتى كل ليلة إلى هنا ، وحيدة ؟

- جئت إلى هنا ثلاث مرات ، بمفردى ، رأيتها مرتين تأتى وتحتمى وراء تلك الشجرة .

- إذن ، فهذه أيضًا خسرت ؟

ـ ربما ، لا أدرى .

ـ لكننا ندرى ، ومع ذلك نستمر .

كأنه كان يسأل ، وكان سؤاله ، أو مسألته ، الآن هى هذه . كان يجلس حافيًا على برودة نجيل ، أو علف لم يكن ليراه . وكان قد وضع راحتى يديه أيضًا على النجيل ، عمودًا لبدنه . قالت صنم بانو : لا أدرى بالآخرين . كل امرئ يستمر لسبب ، الأطفال مثلاً أو المستقبل الذى ليس معلومًا ما إذا كان خيرًا من الآن. طبيعى أن الأغلبية يواصلون بحكم الغريزة فقط، لكى يوجدوا فقط .

ـ طيب ، لو أن الإنسان يرضى لكان بمقدوره ، بالتخطيط أن يحول هذا الانكسار إلى فوز .

ـ مثلك أنت الذى تريد أن تكتب .

ـ طبيعى أننى أريد أن أكتب ، لأننا لم نكتب أصلاً ، لأننا لم نفكر قط بطريقة الكتابة . كيف مثلاً يمكن أن يكتب هذا ، هذه الظلمة وبجعتك تلك ، كان كله عموميات ، وفى بعض الأحيان ذهنية الراوى ، كما لو أننا نطلى البجعة بطلاء الذهن ، على نحو ، وكأن البجعة نفسها غير موجودة . كنت أريد أن أكتب على هذا النحو ، على نحو بحيث لا يكون على ظهر البجعة شىء قط .

فجأة غنت صنم بانو عاليًا صقيلاً وبالإنجليزية :

كان مسكين جالسًا تحت شجرة قيقب (*)

Maple Tree (*)

ويغنى : صفصاف صفصاف صفصاف

وضع كفيه على صدره

ورأسه على ركبتيه

مغنيًا : صفصاف ، صفصاف ، صفصاف . .

سمع صوت خفق أجنحة وها هو يرى جناحين أبيضين وطويلين ينسحبان على وجه الماء ، ويمضيان ، قالت : أنت ترى ، يجرى هذا دائمًا . لا شىء أو كل شىء هراء ، لا يمكن أن تغنى وأن تبقى البجعة فى الوقت نفسه .

ـ إذن فلا أحد يصير الآن صفصافًا ؟

كى يقف هنا أو فى مكان آخر طويلاً بحيث تُفرّع قدمه جذورًا وتصير يداه غصنين ، فتتبرعمان ويصير شعره شلالاً ، معلقًا على سطح صامت عديم الموج ؟ لم يكن قد تكلم .

قالت صنم بانو : لماذا أنت ساكت ؟

ـ كنت أفكر .

ـ والنتيجة ؟

لم يتكلم مرة أخرى . قالت صنم بانو : نعم ، أدرى ، إنك تفكر فى أن هذا صار أوهامًا متفائلة . لابد أن فى ذلك الإنسان نقصًا . وديدنه هو ما يجرى الآن ، مثلى التى لم أكن قط من كتبتَ ، كما أنك لم تكن يومًا قط مع واحدة تمنيتها .

ومرة أخرى غنت ، بصوت خفيض هذه المرة :

يغنى : صفصاف ، صفصاف ، صفصاف

يغنى : صفصاف

ستصير تاج رأسى .

ولكن كان فى صوتها دهق . مد يداً ، ووضعها على يد كأنها كانت على ركبة ، رأى سوادها : رأس انحنى على ركبة احتُضنت . كانت قد دلّت شعرها الشلال أمام وجهها . كان يريد أن يمسح بيده على شعرها ولكن صوتًا جاء . كانت البجعة قد جاءت ، وأخذت تدور . قال : جاءت .

رفعت رأسها وهزته فصبت شعرها على كتفها . قالت : لنذهب ، ليس صحيحاً أن نحرمها المأوى . أظنها تقيم الليل هنا .

كما لو كانت تقول عد أنت .

عندما وصلا الشارع تحدثت عن اللغة ، لا ، عن مدرسة اللغة التى هى جذرها الوحيد . قالت : ليس عندى غير هذه ، من كل ذلك الجد والجرى لم يبق لنا غير هذه . كلما جاء واحد ، وحرث هذه الأرض اجتمعنا بهذا اللصوق وقيد اللسان ، أو جعلونا جميعاً ، قلنا ما فعل ، مثلاً ، الغزنويون [٨٤] ، أو المغول وبقينا ، ولكننا لم نكتب حقًا ، قلنا فقط إنهم جاؤوا وقتلوا وحرقوا وراحوا . ما من حرف عن شكولهم ورسومهم وما إذا كان بوزارهم [٨٥] ، عندما كانوا يجلسون حول النار ، مولين ظهورهم إلى منارة رؤوس الآدميين تلك [٨٦] ، فى أقدامهم أم لا .

ذهبا إلى مقهى وشربا شيئًا . تحدثت صنم بانو عن نفسها فقالت : إنها مارست جميع الأعمال . كانت قد درست الرسم هناك وحتى الغناء ، ثم أنها قد غنت أيضًا ، عندما كان سعيد يسافر أو يتأخر فى المجىء كانت تغنى . قالت : لا أستطيع أن أشرح جيداً . ينبغى أن تبين أنت كيف كان الأمر . عندما ينام الأطفال كانت تبدأ الحياة . كانت منضدة عملى فى غرفة النوم ، كان سعيد يشترى كل كتاب يصدر ، وأنا أيضًا أشترى ،ولكننى أقرأ اعتباطًا بدون أية قاعدة . أقرأ فى بعض الأحيان بضع صفحات فقط ثم أنتقل إلى كتاب آخر أو مجلة حتى أجد أن الوقت متأخر وقد مضى علىّ وقت طويل لا أقرأ غير هذا . كنت آخذ الأخريات فأضعها على الرف وأعود بهذا إلى الفراش . قبل أن يغلبنى النوم كنت أضعه تحت السرير كى لا يراه عندما يأتى . عندما كان موجوداً ، لم أكن أقرأ فى حضوره . الحقيقة أننى فى البدء لم يكن عندى وقت كاف ، لأنه عندما يكون موجوداً يجلب درزينة ضيوف ، كأننى قلت ، وكانوا جميعهم شبانًا ، الآن أفهم لماذا . كان عمله هو هذا . يُسكرهم ويفهم أخيراً من هم وما هم . قال ذلك هو نفسه هنا . كان يقول : « أرأيت أن الحق كان معى ؟ » .

سأل : أين أخواتك الآن ؟

ـ خساره هناك ، هى التى ترسل لى الكتب . ليست بسوء . وتزوجت مينو ابن خالتنا ، وهما يعيشان فى كرمسار (٨٧) . مديرة مدرسة إعدادية وعندها خمسة أطفال . ترسل بطاقة معايدة من العيد إلى العيد .

كانا يجلسان على مقعدين . كان المكان فارغًا . كان أحدهم يأتى بشكل عابر أحيانًا فيشرب شيئًا وينصرف . كان شخصان عند الـ (جاك بوت) (*) كأنهما يلعبان تباعًا . كان عامل المقصف طويلاً أشقر ، يدفع شعره بيده اليسرى عن فوق عينه اليسرى . مد يده فى حقيبته . لمس المرآة ذات الأبواب . لو أنه أعطاها إياها الآن فسيمكنه أن ينصرف . كان أمامه حتى الثالث من خرداد [٨٨] . أمامه سبعة أيام ، أو ثمانية ، لا ، بالضبط أحد عشر يومًا . أمامه الكثير مما لم يره . أخرج المرآة ، وقال :

ـ اعذرينى ، بقيت لى هذه فقط ، أرجو أن تعجبك .

أخذتها وقالت أشكرك ، لكنها لم تفرح . سأل : لم تعجبك ؟

ـ لمَ لا ، ولكن هذه فى الحقيقة ليست مرآة فقط . أنت تذكر ؟

أوكأت المرآة على ساقها وفتحت بابها . أحنت رأسها كى ترى شيئًا لم يكن بمقدوره أن يراه .

قالت : إنك لا تريد الذهاب الآن ؟

ـ لماذا ؟

ـ تعلم أن غدًا يوم عطلة .

(*) Jack Pot

مـررت رأس أصبع على جفن العين ثم سوت الغضنتين جنب الشفة ، بإصبعين . عندما رفعت رأسها كانا لا يزالان موجودين . قالت : طبيعي أن الأمر متروك لك . إنني أريد الآن جدياً أن تبقى ، والأكثر من أجلك . لأنني أظنك ريفياً (٨٩) أكثر من اللزوم ، مثل . . .

وماذا قالت أيضًا مما لم يعد يذكره الآن ؟ لماذا ترك صنم بانو تجره إلى أن يقول : « أتعرفين أنني وعدت مينا أن أدوّن رءوس الموضوعات فى الأقل » . ربما كان قد أثار غضبها عمداً كى يجعلها تحس المرارة . كانت قالت : ليست النساء مجرد خال ، أو شعر أسود منسدل على الكتف ، كما تقول . طبيعى أن الجسد مهم . من أجل وصف ذلك الشخص الذى يجلس فى الخلف ، ولا يكف عن تحريك المقبض كى يقصها من الطبيعى أنه يمكن الحديث عن قميصه هذا قصير الأكمام ، أو عن شعره التمرى الطويل ذاك ، ولا أدرى ، عن صفحة خده التى تشبه التماثيل الرومانية ، ولكنه تعمد أن يعلن هذه جميعًا كى يخفى شيئًا ما لا يمكن ، فى رأيى ، أن يُرى إلا عند الخلوة ، فى لحظة يكون فيها نائمًا أو جالسًا ، محدقًا إلى فنجان قهوته .

جاءت امرأة ورجل ، فوق الخمسين ومتساويا الطول ، ذراعًا فى ذراع . كانا يعرفان عامل المقصف . كان الرجل أسمن وله معطف مطرى ، والمرأة لا تنى تتكلم وتتداعى على كتف زوجها ، أو كائنًا من كان .

أرث سيجارته . هزت صنم بانو رأسها بمعنى أنها لا تريد . قالت : أرجو المعذرة لأننى قلت ريفى .

ـ أرجوك .

ـ إذن فأنت زعلان ؟

ـ طبعًا .

ثم قالت إننا حتى الآن عندما تنقبض أفئدتنا نقرأ حافظًا [٩٠] ، ونستند فى مناقشاتنا على المثنوى [٩١] ، يعنى أن الماضى لا يزال موجودًا ، لا يزال ذا استعمال ، يمنح نظرتنا إلى هنا ، إلى هذه المرأة الثملة ، أو تلك البجعة شكلاً ، إن أسلوب نظرتنا إلى كل شىء محدد سلفًا . حسنًا ، صعب هو النسيان .

الآن يعرف أن عليه أن يتحدث عن المنمنمات ، عن الحبة السوداء التى يرونها على الخد وطيات الضفائر التى كانت أسيرة (ماه زده) . قال : فأين كانت كتبك إذن بحيث لم أرها ؟

ـ قلت لك ، فى تلك الغرفة الأخرى . بيت لغتى هناك .

عبرا الجسر يدًا بيد ، ومن مفترقى طرق ، استدارا إلى اليمين ، ووصلا شارعًا مشجرًا لم يسبق له أن رآه . أشارت صنم بانو إلى قوس باب ، وقالت إنها تشتغل هناك ، ولكنها كانت تنتظر أن يصلا زقاقًا ضيقًا ومصباح النوم ذاك وصوت نباح الكلب الذى ينفجر فجأة جنب يدها . وقفت عند حافة جدول كى تعبر سيارات . إلى هنا ، هو الآن متأكد ، كانا كلاهما ساكتين . قالت صنم بانو : كان أبى يحبك كثيرًا ، مثل ابنه ، ولكن فيما بعد عندما أعطيتُه واحدًا أو اثنين من أعمالك كى يقرأه أسماك ناكر الجميل .

- لماذا ؟

- لم أعطه (مريم) ، لا تخف . ولم أعطه (العرس) أيضًا . لم تعجبه (الكأس الأخيرة) ، ذلك الذى يضرب بقبضته وجه إنسان عديم الشأن ثم يفهم أنه كان يشبه أباه بلباس العمل ذاك واليد المعقدة .

- الحقيقة أن الصدق لا يستطيع أن يبرئ الإنسان .

- أدرى ، ولكن أبى كان يقول : « ناكر الجميل هذا جذره منا وإلا لكان حتى الآن معلمًا فى قرية» . ولم يكن بعد ذلك مستعدًا لأن يقرأ شيئًا لك .

كان مصباح الأبواب مطفأ . فى المصعد رأى شاربه . وهو الآن يراه أيضًا . كان يسويه بإصبعيه الإبهام والسبابة ويقول : « تعال يا ولدى ، حدثنى قل من كسب اليوم » . أفكان ناكر جميل يعنى ؟ كانوا قد خسروا جميعًا . ولكن أفكان ثمة رابح أيضًا ؟ كان يمضى مستندًا إلى الدرابزون . هذه الحياة التى عاشها يمكنها أن تعطى مواد أولية لبضعة أعمال كان قد تصور أن بمقدوره أن يسد الثغرات بين طبقاتها بحيث أن أصله ، لكثرة ما كان شَدَّ كلٍّ حملة جسرًا بالألواح المهترئة لهذه اللغة مرتجفًا ، وقد جاءوا وكانوا الآن أيضًا موجودين ، الريفيون المتعجبون ؟ لا ، لم يكن يستطيع . قال : الحقيقة ، أظن أن كل امرئ ينبغى أن يتعهد بمنظر ذاته فقط ، ينبغى أن يفى دَيْنه إزاء هذه الأشياء ذاتها . ينبغى أن أذهب ، إن أمكن فغدًا بالذات .

- غدًا ؟ لكن يمكنك ، إن توفرت تذكرة ، أن تذهب أيضًا غدًا بالذات .

أدارت مفتاح الباب وفتحته . كان فى الداخل ظلام ، مدت يدها ، وكأنها ضغطت زراً ، قالت : حسنًا ، هنا . عندما ترقى السلالم يمكنك أن تجد طريقك . سأجىء بعدئذ .

كانت السلالم خشبية ودائرية . ليست فيها بسطة سلالم . كان يصعد واضعًا يديه على الدرابزون من جهتيه . أين يوصل المستطيل نصف المضاء ؟ لو أنها أرادت أن تكتب بنفسها لكانت أوصلت إبراهيم هذا أو أيًا غيره إلى جسد . توقف وأصغى . من تحت كان يصل صوت موسيقى . هينًا لينًا ، كأن أحداً ما يعزف لحنًا ، ويعيد عزفه بتغييرات طفيفة . فكر لو أنه المهندس سعيد إيمانى لكان جالسًا على كنبة جلدية ، كما ذلك اليوم الذى أخذه فيه وأمسك بالكأس المترعة أمامه ، فماذا ينبغى له أن يفعل ؟ فى بعض الأحيان ينيمون حتى الجسد البارد الملفوف بالحبال عند انتهاء مثل هذه السلالم على سرير كى تصل القصة إلى تلك النهاية المحتومة ، كأنه سواء أكان إنسانًا أم لا ، فهو يصير أخيراً كما أعلنوا . كان يمسح قدمه على حافة الدرجة ، ويده على الدرابزون . كانا . ومع ذلك كله ، لماذا جرجرته بكل هذا الإصرار وكل هذا التمهيد ، صنمه إلى هنا ؟ صعد وأخرج رأسه فى هواء مرطوب . فى المقابل كانت منضدة ومصباح مطالعة مضاء مواجه لوجه المنضدة ، وكان ثمة كرسى أيضًا خلف المنضدة ، وكانت كتب موضوعة بلا ترتيب فوق المنضدة أيضًا . كان قد أطلع رأسه وسط الغرفة . للسقف انحدار من اليمين إلى اليسار . كأنه كان خشبيًا . وكان ثمة مصباح أيضًا من هذه الجهة فى السقف لا ينير الجدار المقابل

بل الكتب . وكـان ثمـة سـرير أيضًـا أمـام الرف . كـان الرف يغطى الجدار كله . صعد . مد قدمًا على خشـب الأرضية . كان ثمـة مزيد من الرفوف ، ورأى مصابيح مقابلة للرفوف الأخرى فى السقف أيضًا . وجد مفاتيحها فيما بعد . كان السرير لشخص واحد ، فى زاوية الغرفة . وكان ثمة باب . أشعل نوره . كان ثمة حمام ومغسل . ولكن لم يكن فيها مطبخ أو صوان ملابس . من أى رف بدأ بحيث تذكر أن هذه ليست لديه ؟ كانت مجلاته فى الأغلب ناقصة وهى هنا مجلدة مصفوفة بجانب بعضها . وكان كل رف مخصصًا لعنوان مكتوب فى أعلى الرف . كانت القصص حسب الترتيب الألفبائى لأسماء الكتّاب . وكانت كتبه أيضًا موجودة ، مرتبة حسب سنوات الصدور . تركها . كم كتابًا كان أحرق ، أو أحرقوا ، فى هذه السنوات التى عاشتها هى أيضًا ؟! رأى فى الرفوف أحيانًا الطبعة الأولى لكتب اشترى طبعتها الـ . . لا يدرى كم ، بسعر عال . عليها ختم مكتبة سعيد إيمانى الخاصة . الكتب السياسية جلودها من الورق المقوى . كان يدرى أنهم كانوا أحيانًا يعلّمون كتابًا ما ، لكى يقتفوا أثره إن وجدوه فى بيت ما فيجدون السلسلة حلقة حلقة . أين كان الوصف الذى أعطاه لمكتبة صغيرة فى وسطها منضدة ؟ على المنضدة ، وراء رزمة كتب لم تفتح بعد ولفافة عليها طوابع ألمانيا ، رأى آلة الكتابة . كانت صغيرة وكهربائية . نظر ، وقد جلس خلف المنضدة ، فيما حوله . عدا باب الحمام والمغسل لم يكن ثمة باب أو ستارة مثلاً يمكن أن يكون خلفها باب يمكن إخفاء ميت أو مجنون مشدود إلى السرير فيه . كان قد ترك مع مينا حقيبة الكتب على جانب الجادة وركبا وذهبا . من جوال مليء بالكتب وجد

هو الـ(ماخ الأولى) لنيما [٩٢] . كانوا أحرقوا بعضها ، وهو أيضًا ، على سطح البيت فى صفيحة . على حائط أىٍّ ولىٍّ رأوا كتبًا صفت كاللبِن ؟ فى (إسفند) [٩٣] اثنين وخمسين [٩٤] كدسوا كتبه أولاً فى الصندوق الخلفى فى شادرىْ ليل [٩٥] وجدوهما فى صندوق ما ثم قالوا اركب . أفلا يكون إيمانى قد جلبها من مخزن هناك إلى البيت ؟ لم يعيدوا له كتبه فيما بعد ، قالوا وضعناها فى ماكينة القص . هى الآن موجودة . هنا . أرّث سيجارة . كل ما يتذكر من الأدب القديم كان موجوداً . لابد أنه كانت فيه نواقص يمكن تكملتها بالتدريج . أفكان بيت لغتها يعنى هذا ؟ وكانت ثمة مخطوطات أيضًا فى متاحفهم من الكثرة بحيث تكفى سُكْر عمر ، لا بل أعمار . وكان ثمة كنبة وقطعتا صوف أيضًا إلى أمام حول منضدة عليها إضمامة ورد وصحن نقل ، حتمًا . وكان تمثال بوذا أيضًا على طاولة خيزران . استدار . كان حدسه صحيحًا ، كانت كتب الرسم وراءه على الرفوف الدنيا . تناول كتابًا سميكًا . كان فن النحت اليونانى . أجساد بتلك القاعدة الذهبية إياها كان يمكنه أن يرى أصولها ، إن أراد ، فى متحف اللوفر ، من الكمال بحيث كأنها موجودة حتى لو لم ينظر إليها المرء . لماذا تذكر كسر سن مينا ؟ عندما كانت تضحك كان يبدو . أفهذا النقص بالذات هو ما أسره ؟ ولكن هذا النظام كان يوقع رأسه فى دوار . أحيانًا كان يكتب على ورقة سيجارة ، حتى فى دفتر تمارين ياسمن . ومع ذلك ، فقد هيأوا هنا نثار جسده .

- أتشرب القهوة ؟

كانت واقفة والصينية بيدها ، بالبلوزة والبنطال ذاتهما اللذين كانت ترتديهما خارج البيت . كانت تلف منشفة على رأسها . لمَ لم يسمع صوت الموسيقى ؟

ـ كامل تماماً .

ـ كلا ، ليس أى شىء كاملاً فى أى وقت . وفى هذه الأواخر قلما تتهيأ الظروف لرخساره كى ترسل . تلك الرزمة أرسلها سيامك .

قال : لو كان ثمة حاسوب أيضًا لصارت كاملة كاملة .

ـ أدرى . عندنا فى المكتبة ، وأنا أيضًا ، يعنى أعرف ، ولكن . .

وضعت صينية القهوة على المنضدة ، وراحت تنظر إليه وفنجان القهوة بيدها .

قالت : قل لى ، أأنت تهزأ بى ؟

ـ لا ، ولكننى تذكرت فجأة أن المجلات التى كنت آخذها من أبيك وأقرؤها كان فيها ، فى الأغلب ، نواقص . كان يعطينى بعضًا منها ، وكنت أرى لاحقًا أننى لا أستطيع العثور على بقية القصة . كان أبوك يقول : « أنا لا أشترى بانتظام . أشترى أحيانًا لأرى ما هناك » . طيب ، لقد كنت أقرأ على هذا النحو دائمًا . ولم أعتد أيضًا الاستفادة من المكتبات . ما الفائدة فى أن أذهب ؟ ينبغى أن يكون الكتاب ملك الإنسان .

ـ حسنًا ، ما عيب هذا التنظيم الآن ؟

ـ ليست عندك تلك المجلات ، أو تتمة (آتيلا) و ـ لا أدرى ـ العدد الثالث بعد المائة من مجلة « سبيد وسياه » .

ـ وما تنفعك هذه ؟

ـ كلا ، ما عدت أريدها ، لأننى ملأت هذا الفراغ بنفسى . أنا أكتب بلا برنامج أيضًا . عندما يرد كل شىء حسب توالى الزمن إلى الذاكرة لا يعود ثمة معنى للكتابة .

ـ فأنا إذن . . ؟

ولزمت الصمت مرة أخرى . جلست على مسند الكنبة . وضعت فنجان القهوة على شفتها . ما كانت تريد أن تقول ؟ لا يمكن حتى ملء هذا الشرخ الآن . عندما تحدث عن انكسار القلب نهضت صنم بانو وقالت : « أنا ذاهبة لأنام » . كان يجلس موليًا إياها ظهره ، وينظر إلى مجموعة الرسوم . يفر الورق ولا ينظر بإمعان إلا أحيانًا . كان يذكر هذه . كان صوت الموسيقى الإيرانية لا يزال يصل من تحت ثم سمع « ذهبوا مشتتى الفكر» ومرة أخرى فر الورق . كانت مينا تقول : « بالنسبة لى ما من لحظة أقل قيمة من لحظة أخرى ، ولهذا ربما لا أستطيع أن أكتب» . ليته كان يستطيع أن يكتب كل وقائع هذه اللحظات ، على التوالى الذى وقعت فيه . لم يكن ممكنًا . يتطلب الأمر سبعين منّ [٩٦] من الورق أو أكثر . لا يمكن . كأنما عندما رأى مجموعة لشاغال نهض ، نظر إلى بعضها ، وقال : هنا أعرف أنهم تحدثوا عن الداخل أيضًا ، حتى عن الرؤيا التى نراها فى اليقظة ،

ولكن الحقيقة حتى عندما يسجلون مرور الأفكار والخواطر فى الطبقة قبل اللسانية هم منطقيون أكثر من اللازم ، وكل شىء فى الآخر له ذلك التوازن وذلك التنسيق القديم ، ولكن نحن ، لأى سبب كان ، كنا مجبورين أن نقول كلامنا فى صفحة بحجم كشكولنا ، مثلاً يجب أن يكون الكشكول أو الأمالى ممكنًا إخفاؤه فى الجيب وإيداع البيت أيضًا فى الذاكرة . وفى القصة يبدو أننا سلكنا سبيل التفضيل ، ولكن عندما نمعن النظر نرى أنه كلما أشاروا إلى قسم من القصة ، كقصة يوسف فى القرآن ، أو قصص الأولياء فى كتب التذكرة (٩٧) ، فى كل مرة أرادوا أن يبنوا شاهداً نقلاً عنه . افرضى مثلاً أننا لو أردنا أن نشير كل مرة إلى جزء من هذا الفنجان ليس هو ذلك الجزء بعينه فإن الفنجان نفسه ، أو الأفضل أن نقول وجود الفنجان ، يصحو ، وتكون النتيجة أن يصحو فى ذهننا من كل هذه المناظر المتنوعة ، أو حتى المتجانسة الوجود ، أو شىء غير مرتبط بالرائى ولا قائم على مكانه وزمانه . هذا ، فى رأيى . . .

- بالله عليك يا إبراهيم ، توقف .

كانت تبعده بظاهر يدها اليسرى أيضًا . أغلق المجموعة وجلس وراء المنضدة : القصد ؟

- هو ما قلت ، لأنك أنت أيضًا تتكلم كأن هؤلاء لم يكونوا ديونيسوس ، أو عقلاً باطنًا ، ولم يكتشفوا ، أو فى الأقل لم يضعوا ، العقل الباطن الجمعى .

ـ سبق أن قلت إن قصدى ليس هذا الكلام ، ولا حتى هذا النوع من العمل ، وليس ثمة شهود أيضًا .

ـ على فرض أنه شىء حديث الظهور ، سيكون حديث الظهور سنة أو سنتين أو لنقل عشر سنوات . أفلم ترَ ؟

ـ ماذا ؟

ـ جدار برلين .

ـ وما علاقة جدار برلين ببحثنا ؟

ـ لماذا لا علاقة له ؟ إن معدة الغرب ضخمة جدًا وقديرة جدًا ، يمكنها أن تهضم كل شىء ، إنها تبتلع الآن أوربا الشرقية ، ثم ستجعل الاتحاد السوفييتى أيضًا بلونها .

ـ نعم ، أدرى ، ولكننى كنت أقول شيئًا آخر .

ـ إنه ليس عندهم هنا ، أو إنهم لم يصنفوا فى متاحفهم جزئيات فكرك البكر ؟

نهضت عن مسند الكنبة . جففت شعرها بالمنشفة ، وقالت : إنك تخدع نفسك . قل ببساطة ووضوح : أنا مرتبط هناك ، إننى أحب طفولتى كما أراها من وراء تلك السنوات ولا أريد أن أصحو ببقائى هنا من النوم .

كانت تهز ، والمنشفة على كتفها سبابتها نحوه : إن سمنو أو صنم ما هى فى ذاكرتى أو ذاكرتك فقط ، إننى الآن فى الثالثة والأربعين وموجودة .

مدت يدها ووضعت فنجانه فى الصينية ، وقالت : اعذرنى لأننى صرت عصبية ، ولكن الحقيقة هى أن هذا الكلام أخذناه أيضًا من مستشرقى هنا ، من ماسينيون مثلاً؛ لا ، لا ، من كاربن .

- ليس مهمًا ممن أخذناه ، لو أننا حقًا كنا من يقول هؤلاء فبدلاً من الحرب مع الكون يمكن بلوغ السلم مع الدنيا .

- السلم مع الدنيا ، ومن كثرة انكسار الفؤاد ؟

- شىء من هذا القبيل . افرضى لو أن شخصًا يقول كل مرة بضع جمل من شىء مخلوط بخلاصة معدة ذهنه ، حسب قولك ، فإن هذا الشىء يكون حاضرًا ، فى الأخير ، بدون توسطى أنا الراوى أو القارئ حتى ، وطبيعى أن الشرط الأول لذلك ألا يكون ذلك الوصف أو تلك الرواية من ذلك الجزء كاملاً .

ربما لأنه قال بعد مينا قالت صنم بانو إنها ذاهبة لتنام . كان قال : ناب مينا مكسور ، هنا . أول مرة رأيته عرفت لماذا لم أرَ طوال تلك المدة أسنانها . إن السلم مع الدنيا هو إيقاظ الدنيا جزءًا جزءًا عن طريق شىء هو جزء من الدنيا وليس جزءاً فى آن .

قالت إنها ذاهبة وذهبت وقالت عند مدخل السلالم : كنت حقًا أريد المصالحة معك إذ لربما كنت ستتجمع ، حسب قولك ، ولكنك لم ترد ، لأنك ظننت أنه لا يمكن أن يكون واقعياً .

استدارت وذهبت ، كانت تغوص درجة فدرجة ، كأنها تمثال من عمل فدياس قائم على عمود دوار . كانت كاملة . أفيعنى أنه لم يكن

منجمعًا ؟ يكتب كى لا يدع الأمور تذهب إلى ستارة الغيب . إذن فقد كان لا يزال منكسراً بتلك الكتب التى لم يعد يملكها ، وكل تلك التى لا تزال فى علب كارتونية ملفوفة بالحبال فى حجيرة الخزين ، كانت منتشرة أصلاً ، منتشرة ومتناثرة . كانت سيمين قد أطرت تصوير طاهر وعلقته على الجدار مقابل سرير نومها . إنها تدرس منذ السنة تحضيراً للـ « كنكور» (٩٨) . كانت تقول : « أينما يكون ، ليكن (٩٩) ، فهو خير من ملازمة البيت » . صارت أطول من مينا ولكنها لا تزال تلفظ الشين جيمًا فرنسية . لو أنه ذهب غداً لوصل أسرع من رسالة سيمين . كانت ياسمن هى من يقص له دائمًا زوائد شاربه . أكانت هذه هى الخيط الذى سحبه كى يذهب ومرة أ . . . ؟ حقًا لو أحدثنا قطعة قطعة من توهم الحقيقة أيحوز العالم حضوراً بلا وساطة ؟ تفاؤل الإنسان الذى كانه . إنه يحتاج محوراً ، أو لا أقل مركزًا . كانت صنمه تنكسر على الدوام خلال هذه السنوات قد أعطى كل مرة جزءاً منها لأحد ، حتى فى نحت أنف مينا رأى أنفها فوقع فى أسره وها هى سنواته الأربعون والنيف فى الطابق الأسفل وكأنها تتلفن لأحد ما . كان الهاتف على طاولة خيزران جنب السرير . إذن فقد وصلت قابسه مرة أخرى . لو أنها تلفنت لسعيد إيمانى ، فقد كانت مشاركة فى الأمر . كان ينظر إلى الكتب ، ينظر ولكن لا يرى . كان تحت إبطه كتاب . هنا تقول حقًا صنم ، جمعوا فى متاحفهم قطعًا من كل انكسارات العصور وأودعوها فى عصارة هذه المعدة الضخمة المستقرة وراء هذه الجدران عديمة الشبابيك . . .

وقف في منتصف طريق السلالم . سمعها تضرب على الهاتف . لمن كانت تلفنت ؟ ووضع المعجم الفارسي ـ فرنسي على المنضدة . لا زالت تطقطق على الهاتف . وجاء صوت جرس أيضًا ، كصوت سقسقة . أين ترك حقيبته ؟ كانت قد سمعت وقع أقدامه . لو أنه عاد متذرعًا بالحقيبة ، فإنه سيذهب حتمًا . كان قد رأى باب الخروج ، الذى أقفلته صنم بانو . كان سيوقظ الحارس ويفهمه بالإشارة أن عليه الذهاب . وسيقول لمينا إنه نسي المرآة ذات الأبواب على منضدة نزل ما . لو كان ممكنًا أن يحيك أكذوبة ، مهما صغرت ، فيمكن حياكة الكبيرة منها أيضًا . لم يكن خوفًا من مينا أن وقف وراء الستارة وأصغى . كانت صنم بانو تتكلم بالفرنسية . قال : أتسمحين ؟

ـ أرجوك ، تفضل .

ـ أردت أن أرى فقط إن كانت حقيبتي هنا

ـ كانت فوق ، على السرير ، لا ، على الآلة الكاتبة .

عسى ألا تكون على السرير عارية أو كاسية مثل غجريات غويا اللائي يتكئن على الوسائد ؟ رأى أيضًا إعدام الثالث من مايس . قميص أبيض عريض على البدن وخردلية البنطال على نحو يكسر الساقين ، ويدان مرفوعتان ، ينتظر أن يطلق النارَ صفٌّ أفراد نابليون اللابسين ملابس قاتمة اللون . من أين يشع النور بحيث أنها وحدها مضاءة وجانبان من المكعب المقابل لها ؟ ليت بمقدوره أن يعود ليرى مرة أخرى . رآها أول مرة على غلاف كتاب لم يعد عنده الآن . ما أن يصلا إلى هنا حتى ينفصلا . كان قد تلاعب الخيال بصورها التي فيها شَعْر

وبين ميراثها . لو كان كاملاً ، لو أن الدائرة مغلقة ، فهى لا تحتاج إلى نصف آخر . إن لجذر اليبروح (*) جسد إنسان وساقه يكون كل منهما بدون الآخر ناقصًا . يقومون بتجارب هنا ، ويقولون بالعربية يبروح الصنم أيضًا . لم يكن متأكدًا . لم يكن قد رأى أية معاجم عندها . عند ظهر أيام الأربعاء كان يعطى ثمن الخبز والأدام لقاء رواية لها فى كل أسبوع تتمة . اعتاد الآن أن يذكر الآخر أولاً . كان يكتب جزءًا جزءًا ، لا ، لقد أعطى نثار جسدها لكل أحد . قالت صنم بانو : تفضل ، يا حضرة السيد ، اخلع حذاءك عند الباب أيضًا .

كم تأخر بحيث أن صنمًا حوّلت الكنبة إلى سرير ؟ كانت نائمة وقد لفت غطاء خفيفًا على جسدها . كان مصباح المنضدة مضاء . كان رأس أحد سبابتى رجليها خارجًا ، مصبوغًا . أصبع الرجل اليمنى . كانت قد سحبت الغطاء الأبيض إلى ما تحت ذقنها ، مغمضة العينين . تصغى إلى الموسيقى . كان أحدثهم يغنى ، بالإنجليزية . لم تكن الصفصاف . سأل : نائمة ؟

كانت نائمة فى زاوية من السرير . وقد تركت غطاء له أيضًا وسروالاً داخليًا . وكانت زاوية بطانية أيضًا ترى من تحت الغطاء ، من لون سبابتها البرتقالى كان يمكن أن يفهم أنها حية . وكان صدرها أيضًا يعلو ويهبط . سأل مرة أخرى : أنائمة يا صنم ؟

(*) Mandrake

تركت له أيضًا وسادة بوجه مطرز غصن به ثلاث أوراق خضراء مسننة وبرعمان . كانت منفضة السجاير على المسافة بين الوسادتين . وضعت الصينية بالفنجانين الخاليين جانبًا كى تصير عائقًا له إن هو تمدد أيضًا . جلس موليًا إياها ظهره على حافة السرير وخلع جوربه وبنطاله . لبس السروال الداخلى وسأل : أتتذكرين تلك الليلة إذ جاءت صفية إلى بيتكم ؟

وحتى بعد أن خلع قميصه لم يسمع جوابًا . نهض فعلق بنطاله وقميصه على المشجب . كان روب معلقًا على المشجب . لبست بلوزتها . نظفت زواقها ، كانت شفتاها عديمتا الصباغ نصف متبرعمتين . كانت الأهداب تلقى الآن على نوم الخدين ظلاً . ذهب إلى دورة المياه . كانت البلوزة عريضة عليها . على رأس كمها البنى خيط شريط معوج . وكانت ياقته أيضًا بنية وحاشية الأكمام ، على بدن البلوزة ذاته الخردلى الذى عليه نقط سود . كانت للكتفين والياقة طية لباس جديد . نظر إلى صدرها ورأى الشعر الأبيض ، أخرج طاقم أسنانه وغسله ووضعه فى محله . كان شعر مقدم رأسه بدأ يتساقط . يعنى أنه خسر كانت مينا تقول : « بالله عليك احلق لحيتك عصراً أيضًا » . كانت سيمين تقلع شعرات شاربه القلائل البيض ، تقول : « كن فى الأقل ، بفكر ماما المسكينة » . كانت قد ازدادت . كان شعر مينا قصيراً وخفيفًا . هى نائمة الآن . تأخذ كل ليلة بيدها كتابًا وقبل أن تقرأ صفحتين يغلبها النوم . كانت تقول : « دوّخنا باقر اليوم ، بدأ ابنه السير توًا ومدّ يده أمس فأسقط الزهرية عن منضدتهم وكسرها . وسيدة فخرى ضربت ضربتين على ظهر كف الطفل ، والسيد الآن يلقى خطبة عن سبب

وجوب عدم ضرب الأطفال» . تملأ ساعتها وتقول : « صرت مذنبة إذ قلت أعطه نمو شخصية الطفل ليقرأه . كنت أتصور أنه لدينا ، ليس موجوداً ، ولم يكن داخل الكارتونات أيضًا » . شدت حزامها ووضعت شراباته فى جيوبها . أيعنى أنها خسرت ؟ وجد السجاير على المنضدة ، أرث اثنتين ، كانت صنم تنظر إليه . أوكأ وسادته على ظهر الكنبة . قال : تذكرت ؟

أعطى السيجارة لصنم . كانت تتمدد لابسة البلوزة . أمسك المنفضة بيده . قال : كان أبوك وأمك قد ذهبا إلى دعوة ، وأخذا رخساره معهما أيضًا ، كنت وحدك وأرسلت أمى صفية كى لا تبقى بمفردك ، كنت قد جرى عقدك توًا وأظنك تشاجرت مع أمك فلم تذهبى . كانت أمى تعرف أنك وحدك . أرسلت صفية عصراً ، وليس عند المغرب ، كى تجلبك إلى بيتنا . لم تأتى . كنا نحن نائمين فى الحديقة . كان أخى يقرأ كتاب علامات الظهور (١٠٠) . كان قد شاع قبل بضعة شهور أن فى ثنايا كل نسخة من الكتاب شعرة . وجد أنه توجد شعرة . فصار يقيم صلواته بالعربية . أتذكرين ؟ كان أبوك يقول : «إنك تخدع نفسك ، يا حبيبى . إن كنت تريد أن تقيمها يجب أن تقيمها بالعربية» . وكان محمدنا يقول : « عندما لا أفهم فما الفائدة ؟ » ثم وجد فى كتبه شعرة ، فصار مرة أخرى يقيم صلاته بالعربية . حسب أنه يجب أن يؤدى ثلاثمائة ولا أدرى كم ركعة قضاءً .

قالت صنم : كانت صفيتكم ما إن تضع رأسها حتى يرتفع صوت شخيرها إلى عنان السماء .

- ولكنها كانت صاحية تلك الليلة .

جـهـد أن يتـذكـر . وينبـغى الآن أيضًـا أن يكتب كل شىء بحـفظ التـتـابع . قـال : قرعت البـاب بضع مـرات . ثم درت حـول الزقـاق ، كى أرى إذا مـا كنت فى الشـرفـة أم لا . كـان أبوك ينام هنـاك . لم يكن سريره موجـوداً . كانوا قد قتلوا حديثًا امرأة وزوجـهـا وسرقوا راتب تقاعد الرجل النقدى . قيل إنهم قطعوا أولاً رأس المرأة أمام زوجها كى يحملوا الشيخ على الاعتراف . أظنه ذكر مكانه ، لأنهم ذهبوا مباشرة إلى صندوق الملابس ، ثم قتلوه أيضًا .

- أفلم يكن فى الليلة إياها التى أخذوا بها أبى ؟

- لا أظن ، لأنهم جاءوا أخيراً .

- أنا لا أتذكر عن أى وقت تتحدث .

- كنت نائمة ، أو إننى ظننتك نائمة . ولكن صفية كانت صاحية . هى بنفسها تركت البـاب مفتوحًا . عندما عدت وجدت الباب مفتوحًا . وكنتما ، أنت وصفية ، نائمتين فى الناموسية .

- كانت صفية غالبًا ما تأتى . نتمدد ونتكـلم . وأنت أيضًا معلوم أنك ما أن كنت ترى أننا نتسارّ فيما بيننا كنت تناديها قائلاً إن أمها تريدها .

- لكثرة ما كنتما تتكلمان .

- كانت صـفيتكم أصـغر منى بسنتين ، ولكننى كنت معـهـا أكـثـر انفتـاحـاً . وكانت رخسـاره أيضًا مثلك ، عندمـا كانت ترانا جالستين فى

زاوية ونتكاشف فيما بيننا كانت تدخل الغرفة زاعمة أنها تبحث عن شيء . ثم تذهب فتخبر ماما قائلة إن سمنو تسخر من سعيد . . . دع ذلك ، ليس الآن وقت ذلك الكلام .

كانت صنم قد أغمضت عينيها .

سأل : إذن فلم تتذكرى ؟

- أنت نفسك قلت إننى كنت نائمة .

- كنت نائمة على ظهرك . كنت قد ضفرت شعرك . بعد العقد كنت تضفرينه دائمًا . فى اليوم الذى كانت أمى تحف فيه وجهك تحضيراً للعقد ، قلت : « عندى درس ، لم لا تؤجلونه إلى العطلة ؟ » .

- نعم أذكر ، كنت واقفًا وراء الستار تسترق السمع . كانت صفية قد رأتك ، وجاءت فقالت للخالة عصمت . أرسلتْك لتذهب فتشترى شيئًا ما من (كفيشه) . لم تذهب ، وعصراً أيضًا ضربت صفية بذريعة ما . أرتنى . أثر الخمسة أصابع كان لا يزال باقيًا على فخذها .

- لا ، كان بعد العقد . كانوا قد تعهدوا بأن يؤجلوا الزواج إلى أن تكونى قد نلت شهادتك الإعدادية ، ولكن ما أن أطلق سراح سعيد حتى قالوا لتدرس مساءً . تلك الليلة ، لهذا السبب كنتم فى بيت أهل سعيد مدعوين . إذن ، كان بعد العقد ، لأننى أتذكر أنه كان فى أصبعك خاتم . فى يدك اليسرى التى أتذكرها جيداً مدلاة عن السرير . كانت ضفيرتان على صدرك وضعت يدك اليمنى على هذه الضفيرة . أكان مصباح الحديقة مضاء أم لا ؟ لا أذكر ، ولكننى متأكد أن ضوء القمر

كان موجوداً ، لأننى أذكر حلقة الأنوار ، عندما جلست جنب السرير رأيته . كانت صفية نائمة مولية إياك ظهرها . ووضعت يدها أمام فمها ، ولكنها كانت تشخر ، ذهبت أولاً عند رأسها وناديتها بهدوء . تقلبت وأولتنى ظهرها . وحتى عندما هززت كتفها لم تصحُ . تذكرين ؟ كانت تتكلم فى نومها ، وهى لا تزال تتكلم . حميدها فى ألمانيا ، كان يقول : « كل ما لقيت منا المرّ كانت تحلم وتروى أعمالنا بصوت عال . تحرض أبى علينا . كانت أمى تلزم جانبنا دائمًا» . كانت صفية يغلبها النوم أحيانًا جنب السفرة فتروى لاحقًا أين تحس ألمًا .

ـ ليتك كتبت هذه ذاتها .

ـ لا يمكن .

ـ لماذا ؟ أفيجب حتمًا الحديث عن امرأة لا تأتى إلا فى الخيال ، أو لا تنفع إلا فى التخيلات ؟

ـ أحيانًا . ولكن عملى ، وأنا أفهم هذا الآن ، أكثره تذكُّر ، إشارة إلى أحد أو شىء ، وبرصف الـ«ذلكـ»ات ، أو أجزاء ذلك الشخص أو ذلك الشىء ، معًا .

ـ هذا مثل أفلاطون الذى كان الطريق إلى معرفته تذكراً ، يعنى أنه فى « بانو » يكون النموذج الأزلى أنا بالذات ، فى ذلك الكوكب ، لا « أختر (*) نجمتنا » فإن كوكب امرأة لا تُطال وهذه

(*) يلاحظ أن « أختر » تعنى « كوكب » .

الجنازة التى يتكلمون عنها وكل الكواكب التى يتحدث عنها بضعة الشيوخ هؤلاء لم يكن لهن قط حضور حى وحاضر .

- لا ، لا يصح . قال الحكيم هذا الكلام قبل ثلاث عشرة سنة ، وقال لى أيضًا ، أوّل لى القبة السوداء . تلك العروس اليغمائية [١٠١] ، الجالسة على السرير ، كانت النموذج الأزلى ذاته الذى لا يُنال وصله فى هذه الدنيا . يمكن الذهاب مع بدائله إلى الخلوة ، أما معه فلا يمكن إلا اللعب بالقبلات .

- شغل قيشانى جيد ، معرق .

- كل جزء فى المعرق ليس إلا قسم من كل بالنسبة لى كل قسم رواية أخرى عن كل ما ينبغى أن يكون .

- الذى إن وجد فى الواقع فيجب إغماض العينين بمعنى : لا ، أليس هو هذا ؟

- لقد قلت ، لقد بدأتُ من الانكسار ، من الهزيمة ، من هذه الضرورة ذاتها التى تجعلنا عندما نكون كل مرة فى مكان غير كائنين فى مكان آخر .

- وأنا كم كنت أسبح فى الأوهام .

- لماذا ؟

- هذا هو الأمر ، كما ترى . لقد كانت هذه الكتب موجودة ، أو هذه الأضابير ، من أجل عملى ، لا ، أنا نفسى أعددت هذه الخلوة .

عندما سمعت بأنك قادم فكرت أنها ربما ستنفعك أنت أيضًا ، يمكنك أن تبقى هنا؛ ولكننى أفهم الآن أنك لا تستطيع . دعنا .

جعلت ذراعيها عمودين لبدنها ، وقالت : شايًا تشرب ؟

قال : أنا أجلبه .

حمل الصينية وذهب إلى المطبخ . كانت مينا تقول : « قليلاً من السذاجة ، وقليلاً أيضًا من الإقبال ، والباقى إلحاف ومواظبة . لم يقل طاهر حظه وإلا فقد كان الاثنان الأخيران عنده » . سأل : « وما هذه السذاجة ؟» . قال : « هو أن يظن المرء أن بمقدور محركه الصغير أن يدير محرك الثورة ، ثم أنه يمكن منح الجميع إمكانات متساوية » . كان يقول : « لا يحتاج الناس إلى قيّم ، كى نعطيهم أو لا نعطيهم » . وماذا عنه ؟ كأنما كان قليلا من هذه السذاجة ذاتها هو ما جعله يفكر بأنه لابد أن يكون انكسار المركز . كان الشاى على الغاز . غسل الفناجين . كم كان القدماء مرتاحين . ذهب روزبهان إلى الحرم ، إلى مجلس المتصوفة ، أخرج الخرقة وألقاها أمامهم بمعنى أن هذه الصيحات التى أطلقها إنما هى فى فراق المغنية بينما تتصورون أنها فى وجد الله تعالى .

كانت صنم تولى ظهرها لظهر الكنبة ، وقد جعلت يديها حلقة حول ساقيها . قال ما فعل روزبهان . قالت صنم : أين قرأته ؟

- لا أذكر . لو كان فى (عبهر العاشقين) يمكن أن أعثر عليه .

- ليس عندى ، ولكن ترجمته الفرنسية موجودة ، إن لم يكن موجوداً فى مكتبتنا ، يجلبونه خلال ثلاثة أيام .

ـ وماذا عن (نفحات الأنس) ؟

ـ نعم ، أتصور أنه موجود . يمكنك أن تصعد بنفسك إلى فوق وتجده .

ـ نعم ، أدرى أنه موجود هنا أيضًا . ولكن قصدى هو ، اتفاقًا ، ليس ما قاله أولئك نفسه . هناك تتوب المغنية وتسلك فى خدمة الشيخ ويطرد الشيخ بدوره حب المغنية من فؤاده ، ثم يعود ويلبس الخرقة بقلب صاف . أترين ؟ بالنسبة لهؤلاء ليس للمعبود حتى اسم ، البنت المسيحية أو المغنية ، ثم تتم معالجتهن . أنا لا أريد أن أعالَج ، إننى أحب هذا الداء أكثر من اطمئنان روزبهان .

ـ إننى أتصور أنك لا تزال تخاف ، مثل تلك الليلة التى كنت جالسًا فيها جنب سريرى وتنظر إلى يدى ، حتى لم تجرؤ على تقبيل يدى .

ـ كنت صاحية إذن ؟

ـ طبعًا ، نعم . قلت لصفية اذهبى افتحى الباب لأرى ما يفعل ، ثم عندما جئت فجلست جنب السرير أظن النوم غلبنى .

كان يجلس على الكنبة . وهو يشرب الشاى جرعة جرعة ، قال : كنت أجلس هناك جنب السرير وأنظر إليك ، وإلى صفحة خدك ثم إلى يدك التى بقيت خارج الناموسية .

ـ طيب ، وبعده ؟

ـ ليس هناك من بعد .

جلسا : أربع عشرة سنة برقبة طويلة وشعر قصير ونفطة غير مندملة على أرنبة الأنف وتجليها الآخر هذا فى الطابق الخامس من عمارة فى محلة الأعيان « آن غن له بن » محدقًا إلى أصبع ليس فيه حلقة وهو هنا . لا يفعل غير أن يخاف من خسارة أحدهما ، مرآة ذات أبواب تحتفظ بهذه الثلاثة وراء أبوابها . يعنى أن كل وقائعه كانت هذه فقط ؟ إذن فتلك الجذور العتيقة ذات الملحق فى كل كلمة من هذه اللغة التى تفتح رؤوسها فى هذه الأدوار الثلاثة لم تكن حاسمة ، بحيث أنه يجلس الآن هنا ويقول خسرنا وانتهى الأمر ؟ كانت مينا تقول : « يجب أن تدوّن ، صبح غد بالذات إن تمكنت ، رؤوس الموضوعات» .

إذن فقد كان قصور عمل الذاكرة أيضًا أنه لم يبق من تلك الليلة غير يد ولمع حلقة ومن ذلك المنظر تخطيط حزن امرأة وضعت رأسها على ركبتيها . رفعت رأسها وقالت : عندما استيقظت رأيتك جالسًا إلى جانب سريرى تنظر إلىّ . قلتُ : « لماذا جلست هنا ؟ » ، فقلتَ : « جئت أبحث عن صفيه » . قالت صفية : « أنا نائمة من هذا الجانب » . فقلتَ : « تقول أمى ليس حسنًا أن تبقى البنات بمفردهن ، فالمدينة ليست آمنة » . كنت تقف ، ظهرك إلى جذع شجرة ورد الحرير وتقتلع النفطة على أنفك بأظفرك . كانت صفية تضحك . أظننى لكزتها بمرفقى فى خاصرتها يعنى هذا غير صحيح . عندنا ناطور! فقلتَ : « أنا مالى ؟ أنا ذاهب » . ثم ذهبت ، ولكنك لم تغلق الباب . كنا نعرف أنك جلست وراء الباب . بقينا نحن أيضًا صاحيتين وقضينا الوقت بالكلام وبالضحك مكركرتين . أنا متأكدة أننا لم نكن نتكلم عنك . فى البدء تكلمنا ، ولكننى قلت فيما بعد عن نفسى إننى أريد أن أدرس مسائيًا .

وعدت صفية أنها ستأتى مع الخالة فنُعنى معًا بالحديقة ، وأنت تدرى أنها لم تأت .

كان ذلك كل ما هناك لمَ لم تبق تلك الليلة فى باله ؟ كانت الليلة مقمرة وحارة . كان الزقاق منيراً حتى بدون ضوء قمر ، دائمًا ، فى الليالى . ماذا كان بمقدورها أن تفعل غير البكاء ؟ ثم كان العرس ، وتلك الرمانة التى لم يكن لها وجود فى الواقع ، وكان ذلك المنظر الأخير فى بله ، ولكن مثل تصوير . شعر لا يزال مبلولاً وغير ممشط نصفه فقط مضاء . أكانت خافت يعنى ؟ تقول مينا : «لا أدرى .» غاضبة .

لم تكن قرأت هذا ، لابد أنها ستقرأه فيما بعد . هى الآن غاضبة . قال إننى أعطيت مرآتك لها . عندما لم يكن موجوداً ملأت كسر سنها وهى الآن تصبغ شعرها كل شهر . كان يدرى أنها قرأت ملاحظاته فى التقويم . رأت ، فى الأغلب ساعات ومحلات المواعيد وأحيانًا بضعة أسطر عن أين ذهب أو ماذا رأى . لم يكن قد كتب عن صنم بانو . رأت حتى المواعيد حيث كان ثمة يوم فارغ أو يومان ، كأنهما لم يكونا . غاضبة ، كان قد قال . وكانت عادتها أنها لا تتكلم ، تلزم الصمت . عندما يأتى عصراً السلام عليكم وسلام . تقول ياسمن : ماذا صار أيضًا ، يا بابا ؟

- لا أدرى ، اذهبى اسأليها .

لا تستطيع أن تجلبها . كان الوضع على هذا النحو دائمًا . يضطر للذهاب . تشد يده وتأخذه . يقبل يديها وخديها وتصفق ياسمن ، ولكنه

يدرى أنهـا ستكون غاضبة أيضًا . تقول مينا : أنت ترى أن أختك تدرس ، خذ سهراب خارجًا .

كان قد انحنى وسحب غطاءها إلى فوق ساقيها اللذين كانت مددتهما . كانت قد أرثت سيجارة حديثًا . أخذ الصينية والفنجانين إلى المطبخ وأطفأ النار تحت وعاء الماء . أطفأ المصباح أيضًا . كان المصباح المنضدى لا يزال مضاء . يمكن الذهاب إلى تلك الغرفة فوق ، التى كان مقررًا أن تكون محرابه . لم يذهب . لم يكن هذا الذى كتبه من أجل مينا ، أو البنتين اللتين ستقرآنه آجلاً أم عاجلاً . لم يذهب ، لأن المرور بصنم وقول طبت مساء كان أصعب من التمدد على الكنبة التى حولت إلى سرير . كانت صنم متمددة ، على ظهرها ، وقد سحبت الغطاء مرة أخرى إلى أعلى ، إلى ما تحت ذقنها . ذهب هو أيضًا ، والمنفضة فى يده ، فتمدد وقال : حسنًا ، كان هذا كل ما هناك ، ثم لم أرك بعد عن كثب قط . طوق الأصبع ذاك و لا أدرى ، حفّ شعرك وتلك الحلقة ، والأسوأ من كل شيء ، أعصار الخميس إذ كنت تضعين يدًا فى مرفق سعيد وتذهبين ، كانت بالنسبة لى أهم من الخطبة التى قرأوها .

ـ لكنك لم تأت !

ـ أمى قالت : لا يلزم أن تأتى أنت بعد .

ـ تألمت حقًا ذلك اليوم . كنا كبرنا معًا ، تصور أننا كنا أختًا وأخًا ، لا ، لا أخت وأخ ، حسنًا ، كنا نحب بعضنا ، ولكن لم يكن ليمكن أن نتزوج بعضنا . طبيعى أننى لم أكن أريد أن أتزوج بتلك

السرعة ، ولكننى كنت مضطرة . لم يكن وضعنا جيداً ، كان أبى قد قضى بضع سنوات فى السجن والمنفى ، وهناك تعلم القراءة والكتابة ، وكان فى الأغلب يبحث عن شغل ، وعن هذا الطريق تعرف على سعيد وظن أنه يمكن أن يصير حامى العائلة . كان يحبه كابنه . وكان سعيد قد وعد بأن يسمح لى بمواصلة دراستى . لقد أخذت شهادة الإعدادية عندما كنت أرضع طفلاً وحبلى بالآخر . طيب ، هذا كل ما هناك .

أرثت سيجارة . كان هو قد وضع منفضة السجاير بينهما . قالت صنم : أنا ، كما ترى ، لا أستطيع أن أنقل على نحو صحيح ، العموميات تخطر ببالى ، كأننى أريد أن أعرض خلاصة أحداث كل تلك السنوات . كان أبى أيضًا هكذا . كان يظهر محبته لا بالكلام وإنما بعمل أو شىء . لو أن أحداً لا يعرفه يتصور كم هذا الرجل عديم العاطفة ! إلا يحضرنى الآن مثال على ذلك . افرض لو أنه تشاجر مع أمى ، كان يذهب فيدهن أحذية الجميع ليكون دهن حذاءها هى أيضًا ، أو عندما كان يأتى إلى البيت كان يُلهى الأطفال كى أنصرف أنا إلى الأشغال . أنا أتصورنى الآن أيضًا هكذا . كان سعيد أكثر تكلمًا منى ، يستولى على أفئدة الناس بجملتين أو ثلاث ، وكان يقول لأبى دائمًا : « لمَ لا تتكلم ؟ » وكان أبى يقول : « ما أقول يا سعيد ؟ » ، كان يلوح بيديه ويقول .

تريثت . أوقفت يدها اليسرى فى الهواء . ماذا كان يمكنه أن يقول لها . لم يكن قد قال شيئًا . هو الآن متأكد . حتى عندما قالت صنم : توفى سنة تسع وأربعين [١٠٢] ، بعد سنة من تقاعده ، مات فى « شهركرد » [١٠٣] . لزم الصمت أيضًا .

قالت صنم : هو أيضًا خسر . طبيعى لو بقى إلى الآن لكان خسر أكثر ، أو لو أنه كان موجودًا وفهم ما فعله سعيده . تلفتت أمى ، كنا لا نزال هنا ، كنا فى « عبّادان » ، كان سعيد قد عاد إلى عمله . عندما وصلت أنا ، كانوا قد دفنوه . كانت أمى تقول : « فجأة قال : آخ رأسى ، وانحنى على نطاق كان يحيكه ، كان يحيكه لسعيد . ثم سقط على جنبه ، عندما أمسكت كتفه فهمت أنه انتهى » .

وتحدثت مزيدًا عن أبيها . لم يعد يذكر الآن . وقالت فى الآخر : هو أيضًا خسر ، ولكن الأمر الجيد فى ذلك أنه لم يكن يدرى أنه خسر . كان عنده مذياعه وبضعة أصدقاء أو رفاق ، وكان يقرأ أحيانًا ، بالطبع ، كتابًا ، فى الأغلب من هذه التى دفنها هناك فى الحديقة .

أطفأت سيجارتها ونهضت فجلست ، ظهرها إلى ظهر الكنبة ، وقالت : أتأكل شيئًا ؟

- لا .

- أتريد أن أضع موسيقى ؟

- إن كنت ترغبين .

- ما رأيك فى الصفصاف ، تلك النسخة التى غنتها الرومانية ؟

- رومانسية جدًا ، ولكن حسنًا ، إن كنت ترغبين ضعيها .

- أحيانًا ليست سيئة ، طبيعى أن الزيادة منها تحطم الإنسان ، وفى بعض الأحيان تجعل الإنسان مريرًا فى هذه الانكسارات ذاتها .

أراد سعيد أو أبى ، وحتى أنت ، أن تغيروا الدنيا خلال يوم واحد ، هما بالعمل أو بتمنى العمل وأنت بالكتابة ، ولكن الدنيا لا تتغير إلا ذرة ذرة . إننى أريد أن أبين هذا بالذات فى أطروحتى الجامعية ، الواقع والرؤيا .

وضعت شريطًا ، قالت : شومان .

عندما عادت من المغسل وضعته . هذا لا يستحق الكتابة . كانت مينا لا تزال غاضبة . لا تجرى حديثًا . سيمين تحضر للكونكور ، باب غرفتها مغلق . لو أن ضيفًا جاء فإنه يتحدث إلى مينا . كانت ياسمن قد قالت : ليس عند الرجال عرفان جميل يا أماه .

كانت صنم جالسة على الكنبة تستمع . قالت : الآن أتفكر جديًا فى الذهاب غدًا ؟

- لو كانت ثمة تذكرة .

- (هما) (١٠٤) عندها رحلتان فى الأسبوع . أى يومين ؟ لا أدرى . ثم إن غدًا أحد .

وأشارت إلى الهاتف أيضًا : حقًا ألا تريد أن تتلفن ؟

- إلى أين ؟

- إلى إيران .

لم يكن يحمل ساعته فى أى وقت . قالت صنم : كم الساعة . تصير الثالثة والنصف حسب توقيت إيران . قال : الوقت متأخر جدًا .

لو أنه تلفن لكانت مينا الآن أكثر غضبًا . قال : أتدرين أننى من أجـل هذه الحياة ، من أجـل نقطة الاتكاء هذه بالذات ، دفعت الكثير ، ومع ذلك أعتقد أن هذا مجرد بداية شغلى؛ ومواد شغلى الأولية هناك ، هى تلك الأشياء الصغيرة والتفصيلية التى ذكرتها ، ولهذا السبب ينبغى أن أذهب .

ـ أفهم ، اذهب وكلما كان أسرع كان أفضل ، لك بالطبع ، لأنك فى الحقيقة تخشى أن تنتبه فجأة أن هذه الجذور ، التى تدعى كثيراً الحرص عليها ، يجب أن تكون داخل المرء ، لا فى الماء والتراب أو فى الآداب والتقاليد التى اعتدناها .

قال نعم إنها العادة ، والكسل أيضًا؛ الخوف من الهزيمة ومن المجهول أيضًا كان موجوداً مما يمكنه أن يضيفه الآن . لقد كانت هذه جميعًا بالطبع قيمًا سالبة ، وقد قالت صنم هذا أيضًا ، قالت : يمكن التجذر فى أى مكان آخر أيضًا ، عندما تمر بضع سنوات يعتاد المرء ، ثم أن المشاغل ليس فيها من صغير .

ثم دار حديث عن عوائل افترقت عن بعضها ، نساء أو رجال أرادوا أن يجربوا ، ويمكن الآن رؤية نماذج عديدة فى كل أوربا وأميركا وحتى آسيا ، سواء عندهم شغل أو لا ، ولكنهم مفردون وفى كل شهر ، أو كل سنة ، يكونون مع واحدة ، أو يكنَّ مع واحد ، بلا أى نظم أو قاعدة . قال : ليس لنساء العالم حد ولا حصر ، ولا لرجاله ، لو اعتمدنا على التجربة ، فإن هذه التجربة لا تنتهى فى أى وقت .

فجأة نهضت صنم ، مدت يداً على شعرها وسارت على طول الغرفة ثم عادت ، قالت : ما هذا الكلام الذى تقوله ؟ من الذى يتكلم عن التجربة هنا ومع كل رجال العالم أو نسائه أيضاً ؟

هذه المرة كانت تذهب إلى الستارة وتعود ، كانت تقول : هنا لأطفال المدارس بالطبع أحياناً مثل هذه الدورات ، ثم إن شاءوا أن يعيشوا ، أن يكون لهم بيت وعائلة ، تعيش الواحدة مع واحد ، يتزوجان ويسجلانه فى الكنيسة أو فى البلدية ، وفى بعض الأحيان أيضاً اتفاق بين شخصين . ليس لأحد فى سنّى هنا وقت للتجربة ، من كثرة ما عندهم من شغل لا يستطيعون البحث فى كل ليلة ويوم مع واحد ، يتنازعون مع أخلاق وسلوك مجهول جديد .

فركت يديها الواحدة بالأخرى ، وواصلت الرواح والمجىء ، قالت : أنا ذاتى هنا ؛ عندما انفصلت كنت مضطرة أن أتصرف مع الجميع ، حتى مع الأصدقاء الأجانب ، على نحو بحيث لا يتصورون . . أنت تدرك ، ثم تصادقت مع واحد ، كنت أعرفه من إيران ، كان يعطينى أحياناً كتباً ، وكان يعرف سعيداً أيضاً ، ويقول الشعر أيضاً ، لو ذكرتُ اسمه لعرفتَه . ثم رأيت أنه يريد أن يعالج غمّ غربته معى . وفوق ذلك كان يتصور أنه يجترح العجائب وينبغى علىّ أن أقف ، ويدى على صدرى [١٠٥] ، كى يتفضل جنابه بإصدار الشعر . ذات عصر عندما جئت وجدته منطوياً مدحوراً و . . اتضح أنه لا سجاير عنده وهو ينتظر أن أجىء وأن يكون عندى سجاير أيضاً . لم يكن عندى . وكان هذا ما حصل! قلت اذهب فاجلب سجاير حتى أكنس البيت وأغسل الأطباق ، ثم نخرج . أخيراً ذهب بلحية غير محلوقة وبالنعل ، فما كان منى إلا أن

أعطيت ثيابه وكتبه للبوابة السابقة وقلت لها أن تعطيها إياه ، أما أنا فذهبت إلى منزل إحدى الصديقات .

جاءت وجلست على حافة السرير ، قالت : كان هذا كل ما هناك ، لم أره بعدها ، طبيعى أننى أراه أحيانًا فى مكان ما ، يلوح أحدنا للآخر بيده . مهما سعى لأن - يعنى - يوضح ، لم أعطه مجالاً .

- إذن فهذه المكتبة من أجله ؟

تمكن أن يقول من الجملة إلى هذا الحد فقط . لم يتمها شخصياً . قالت صنم : كان ذلك سنة ثلاث وستين ، أعرض لجنابكم لمجرد العلم .

مرة أخرى جلست ملصقة ظهرها بظهر الكنبة . وسحبت الغطاء إلى فوق ساقيها . قال : الحقيقة أننى أنا أيضاً عندما تجىء مينا أنتظر على الأغلب أن تكون اشترت سجاير .

لا يذكر للآن ما قالت صنم ، ربما أنها سألت فقط : نعم ؟ ما لم يكن سؤالاً . ثم نهضت ، ذهبت إلى المدخل ثم جاءت أصوات من المطبخ ، عادت بعلبتى مرطبات ، قالت : إن أردت يمكنك أن تكون مستقلاً فوق ، يمكننى أن آخذ مخصصات زمالة لأطروحتى ، ومقابل الإيجار أو المصروفات تصير مستشاراً للعبدة لله . أذهب نهاراً إلى قسم الأدب الفارسى وأعود عصراً . فى البدء تستطيع تمديد جواز سفرك لمدة ثلاثة أشهر ، تلفن وقل إنك وجدت عملاً ، ويمكنك أن تتخذ قرارك بعد ثلاثة أشهر .

قالت قولها سريعًا وهى تنتظر الآن أن يقول هو شيئًا . كانت تقف والمرطب بيدها مولية ظهرها لخيوط حبات السذاب المنظومة . كانت قد شمّرت كمّيها . شدت شعرها بماسكة رأس . من بين الياقة التى كانت حافة طرفها القريب مدعوكة لم يكن خط العنق والذقن ، الصاعد إلى أعلى ، ولين الخدّين وأرنبة الأنف بطرفيه المرتجفين وتينك العينين شبه النائمتين اللتين لم تعد طياتها الصغيرة تُرى فى نور المصباح المنضدى ، لم يكن له شبه بالتماثيل الكلاسيكية والأثرية التى يضعونها هناك فى المتاحف على أعمدة أو فوق أحجار ، ولا يتاح لأحد غير دقيقة أو دقيقتين كى يراها ثم ينصرف . لم يكن يرى النقرة تحت الخدين ولكن الخال كان موجوداً . قال : كنت أحبك كثيراً ، يا سمنو .

- أدرى .

كانت قد أعطته مرطبًا أيضًا ، قالت : وماذا عن صنم ، وعن صنم بانو ؟

- حسنًا ، طبيعى أنك أنت سمنو وصنم أيضًا وأيضًا صنم بانو ، ولكن الحقيقة أننى لا أستطيع أن أرى تلك التى رأيتها على الدوام ، الآن حية حاضرة . أخاف ، لا أدرى ، ولكن احترامًا لتلك التى رأيتها فى حلمى أحيانًا ، أو أعطيت ، دون أن أدرى ، كل جزء منها لهذه وتلك ، أريد أن أذهب ، لا أريدك أن تنهزمى أو أتعذب أنا أكثر مما تعذبت . إن مينا بالنسبة لى فى الحقيقة تجسيد تلك التربة التى تواصل صابرة حتى إن لم أذهب . إننى أعيش معها على الأرض ، من تلك الجذور ذاتها أتغذى ، لحظة بلحظة ، وإن كانت متهرئة . لا أريد أن

أخسر قطعة التربة هذه ، لا أستطيع أن أكذب عليها هى أيضًا ، أحبها على النحو الذى هى عليه ، وأنت . . .

لابد أنه توقف لأن صنم قالت : على النحو الذى كنته .

ـ ربما .

ثم قال : إننى أريد أن أكتب هذه الأشياء عن هذه القيم ، ولنفرض أنها عتيقة ، أريد أن أدافع ، لأننى أدرى أن هذا الانقسام ، هذه الكينونة هنا ، والكينونة هناك ، أو هذا التعلق بين السماء والأرض هو ما لدينا ، هو جذورنا .

وتوقف مرة أخرى . كانت صنم تبحث عن شريط . قال : طبيعى أننى أتمنى أن أرى من وراء تلك الأثيرية أو الأخروية أو ما كانت . لم يكن قدماؤنا يرون الموجود أصلاً .

صفصاف ، صفصاف ، صفصاف . .

وضع كفه على صدره

ورأسه على ركبتيه

صفصاف صفصاف صفصاف

كانت قد رفعته . يا للضجة التى كانت فى هذا الصوت ، كما لو أن أى عاشق بعد لا يفعل هكذا؛ فى الماضى البعيد كان يجلس ، المسكين ، تحت شجرة قيقب ، كنت تاج رأسى . تبعث فيه الاضطراب . كانت صنم بانو لا تزال جالسة ، مولية إياه ظهرها .

لم يســمع ما قالت . خفضته . قالت : عندما كنت حبلى بزهره جئتَ بضع مرات إلى مؤسسة الحمر ، كنت تأتى على الدراجة وتلف بضع دورات ثم تذهب .

- وما أدراك ؟

- رأيتك من وراء النافذة . لم تكن أنت تقدر أن ترى . لكثرة ما كان الآس طويلاً وكثيفًا .

- لم أجئ غير مرتين أو ثلاث . لم يكن أبى يسمح لى أن أركب دراجته . وربما أمى قد قالت له ألا يدعنى أركبها .

- طيب كان يمكنك أن تأتى بالحافلة .

- لم أجئ ، لم يتهيأ .

- كنت أنا أجىء كل عصر إلى الحديقة بزعم سقاية الآس ، أو النجيل أو مثلثى زهر اللاذن (*) ذينك اللذين زرعهما لنا أبى . لم أعد أذكر بالضبط .

كانت واقفة وظهرها إلى ضجة «كنت تاج رأسى» ، قالت : أظنك كنت تظهر ما بين الرابعة والخامسة . تلفّ جدولنا مرتين أو ثلاثًا ثم تذهب . لم تكن حتى تلقى نظرة إلى الآس .

- لقد فهم سعيد أيضًا بأننى كنت أجىء .

La (b) danum (*)

انحنت ، أو وضعت ركبتها على السرير ، قالت : سعيد ؟ لا أظن .

رفعت غطاءها ، كما لو كانت تريد أن تطويه فنفضته أولاً ، وطوته مرة ، ولكنها نفضته ثانية ، قالت : لم يذكر لي قط .

ـ ذات يوم أمسك بمؤخر السرج . تصورته يريد أن يضرب ، لم يضرب . لم يدعني أهرب ، قال : « تعال نذهب ، أريد أن نتكلم معًا مثل رجلين » .

جلست مرة أخرى مستندة إلى ظهر الكنبة ، قالت : ألم تكتب هذا ؟

ـ لم تتهيأ مناسبة .

كانت قد أحنت رأسها باتجاهه وكأنها كانت تشد جذور شعرها بكلتا يديها : حسنًا

ـ قال : « لنذهب إلى مكان يمكن أن نتكلم فيه » . جلس هو على السرج وراح يقول من أين أذهب .

ـ إلى أين أخذك ؟

ـ لم نذهب بعيداً ، قريبًا من هناك وصلنا إلى مشرب ، أقفل الدراجة وأعطاني مفتاحها وقال : « أجيء هنا أحيانًا ، ليس سيئًا ، مكان منعزل » .

كانت مرّته الأولى ، ذلك الغروب . وقت الغروب ، كل تلك السنوات ، لهذا كانت بهذا الثقل ، أمرّت ثقيلة ؟ قالت صنم : فهكذا

إذن! كنت أخمن ، لأنه في اليوم التالي عندما سألت أمي عن أحوالكم خرج سعيد بلا توديع ، وجاء ليلاً متأخراً أيضاً . كنت أدري أن أمراً وقع ، لكن ليس من هذا النوع . قالت أمي إنك مكمل في المثلثات وفي الإنشاء . استولى عليّ الضحك . قلت : « لقد كان إنشاؤه جيداً .» ثم ضحكت ، ثم رأيت أن سعيداً غير موجود . رسائلك أحرقتها تلك الليلة بالذات . قالت أمي إنني يجب أن أحرقها ، كنت في شهري وكنت أريد أن أعيش . وكنتَ أنت لي ، كما قلت ، مثل الأخ ، لم أكن أريد لتلك الرسائل الطفولية . . .

كبرا الآن ؟ كبر ؟ بعينين مغمضتين لا يستطيع حتى أن يتذكر المشرب الآن . يتذكر المائدة فقط التي كانت معدنية وفوقها مملحة وكأس خالية . قال : وهو مغمض العينين : لقد قام بعمل بعيد جداً عن الرجولة .

- ماذا فعل ؟

- لا شيء ، طلب زجاجة ولا أدري ، كباب ، مع كأسين . جلبوا الزجاجة أولاً ، ملأ الكأسين كليهما ، وقال : « إلى أن يجلبوا الكباب لنرطّب شفاهنا» وشرب أولاً . قال : « اشرب ، يدفئك . ونستطيع بعدئذ أن نقول قولنا .» فشربت . تعرفين كيف يصير الواحد . قال : « أفأنت تشرب دواء كي تقطب ؟ » وشرب هو جرعة وأدارها في فمه ، كسائل مضمضة ، ثم ابتلعها . أنا لم أقدر . كنت أشرب في نفَس واحد . وصب مرة أخرى ، قال : « إن لم تكن تريد لا تشرب» لا ،

قال : « إن لم تكن تستطيع لا تشرب » كان شاربه كثًا ، لم يعد مجرد شريط ضيق على الشفة ، كما كان عندما كان يأتى إلى بيتكم . وليلة العرس أيضًا كان شريطيًا . مسح بظاهر يده شفتيه وقال : « إن كنت تريد انتظر حتى يجلبوا الكباب ، ليس صحيحًا على معدة خاوية . أنا فى الواقع أكلت شيئًا » فعاندت وشربت فى نفَس واحد . قال : « الآن صرت رجلاً » .

ـ أدرى ، كان ديدنه فيما بعد هذا ذاته ، عندما كان يجلب الشبان إلى البيت ، كان يصب كى يشربوا أولاً على بطون خاوية ، كان هو نفسه ـ رأيته ـ يأكل مسبقًا لقمة أو لقمتين ، شيئًا سمينًا . فى البدء لم أكن أفهم ، ولكننى أدركت فيما بعد . ولكن الحقيقة فى تلك السنوات . . لا أفهم ، لا يُصدَّق .

ـ ماذا ؟

ـ عمله هذا . فـ . .

فتح عينه ، رآها تمسح بيديها على وجهها ، سأل : ماذا جرى ؟ لمَ لا تقولين قولك ؟

ـ غير مهم .

نظر إليها صامتًا . ستقول أخيرًا . مغمضة العينين ، كانت صنم تجلس ، ويدها على فكها مقابله ، أو أصلاً عليه ، قالت : كانت زهره فى شهرها الرابع بالضبط عندما أخذوه مرة أخرى . لم يبق غير شهر

ونصف . طيب ، لم يقل لأحد ، وإلا فقد كانوا أخذوا كثيرين ، من جملتهم أبى . إذن يمكن القول فقط إنه كان فى تلك الأيام يحبنى ، أو فى الأقل يحسدك .

- قال : « طيب ، قل الآن لأر . » قلت : « ماذا ؟ » قال : « اسمع ، لا تحاول أن تحتال علىّ ، قل لى بشجاعة وكالرجال ما علّتك .» فقلت ، قلت إننا كبرنا معًا ، قلت إننا كنا مثل أخت وأخ . قال : « إن كنت تحبها مثل أخت فلماذا لا تأتى تدق الباب وتراها ؟» .

كأنه أغمض عينيه مرة أخرى . أعطته صنم سيجارة بيده ، فجلس وسحب مثلها الغطاء على ساقيه ، قال : أتذكر إذ كان رأسى يدور ، أكلت لقمة أو اثنتين غصبًا . قال : « إذا تتصور أنك فى غثيان فاذهب إلى المغاسل وأدخل أصبعًا إلى حلقومك . إن غير المعتاد يصير هكذا .» فقلت : « حالى جيدة » . وكان أحيانًا يسأل عنك ، عنك وعنى ، ما إذا كنا نتراسل فيما بيننا . قلت : لا . ولكننى قلت إننى قبّلتك ، عندما كنا صغيرين وكنت تصيرين عروسًا . لم أعد أستطيع أن أجلس متماسكًا ، أو لم أعد أراه وهو يواصل السؤال . وكان يعدّ لى أحيانًا لقمة . هو نفسه شرب مرة أخرى وطلب ثانية . قال : « إن أردت أيضًا ، صبّ لنفسك » لا أتذكر إن كنت شربت أيضًا أم لا . ثم طلب عصير ليمون . لم أعرف لماذا ، وسأل مرة أخرى لماذا كنت أجىء ، أو كم مرة رأيتك . لم أكن رأيتك . قلت : « لا أراها إلا عندما تأتى إلى بيتهم ، وفى الزقاق فقط . » وقال مرة أخرى إن لم تكن حالى على ما يرام يمكننا أن نذهب . لم تكن على ما يرام وما كنت أدرى ما يجب أن

أفـعل . لو كان يتركنى لنمت فى ذلك المكان . صب عصير الليمون فى القـدح وقـال : « هـاك ، دواؤك هـذا ، على مـعـدة خـاوية يصـيـر هكـذا » شربت ، نحو نصف كأس . أمسكنى من تحت إبطى وأخرجنى . لم أكن أسـتطيع أن أفتح قفل الدراجـة . فتـحه هو . لم يدعنى أركب ، أمسك هـو بقبضتها ، أمسـك بإحدى كتفـى وقـادنى ، كـان يقـول : « لا تحاول أن تضبط نفسك .» ثم تحدث عن نفسه ما كان يفعل عندما كان عـازبًا ، ثـم خاف أن يصاب بالعمى . سأل : « أذهبت اليوم إلى الماخور ؟ » . سمعت به ، ولكننى لم أكن أذهب إليه .

الآن يحس ذلك الدوار إياه . لو أننا ننسى تلك الشجرة أو الجدول جنب الرصـيف ، يبقى شىء ، الرائحة التى كانت فى الجـو ، أو الورقة الطافية على الماء . لابد أنه انحنى ، ويده على شجرة ، فتقيأ . كان قد قال لصنم إنه صار أخيرًا ما كان يريد .

- تقـيـأت وركـضت نحـو جـدول الماء . لم أكن قـد وصلت حـين سقـطت ، زحفت على ركبتىّ وتقيأت . كان سعيد ، كنت أحس ، يفرك كتفىّ ويقول شيئًا نسيته . وربما كنت أبكى أيضًا . عندما نهضت كان بنطالى قد اتسخ . مرة أخرى جعلت رائحة الحموضة ، أو رائحة وحل جدول الماء حالى سيئة . على بعد بضع خطوات إلى فوق ركضت مرة أخرى إلى جدول الماء . لابد أن المارة قالوا أشياء نسيتها . أنا لا أذكر أصلاً غير الرائحة وشبه عتمة الرصيف . والرائحة كانت أكثرها من يدى أو من المنديل الذى أعطانيه سعيد . كم مرة تقيأت ؟ لا أذكر . كانت أمعائى تصعد إلى أعلى حقًا (١٠٦) وكنت أتمنى لو أكون قادرًا أن

أذهب إلى مكان ما فأنطمر . غسلت يدى ووجهى فى مكان ما . لابد أن كانت حنفيته عالية الضغط . وغسلت بنطالى أيضًا . وجلست فى مكان ما ، كان البستان المقابل للبلدية ، لا زلت أذكر أشجاره . قلت كم كنت أحبك ، ولكننى لم أكن أريد غير أن أراك ، أراك ولو من بعيد وأعود . قلت إن صفيتنا قالت أين يسكنون ؟ كانت هى أيضًا قد تزوجت . فالتمست أن يأذن لى بالذهاب ، لم يسمح ، كان قد صار رقيقًا . ذهب فبلل منديله ونظف البقع عن قميصى وبنطالى . لم أكن أستطيع حتى الوقوف . ومرة أخرى أخذ عصير ليمون من مكان ما وجعلنى أشربه واقتادنى مرة أخرى إلى البستان ذاته أمام البلدية . مرة أخرى أظن أن وضعى ساء . ثم انتهى الأمر . كان يقول : « أنا أوصلك ، ولكن يجب أن أريك شيئًا قبلاً .» كنت أخاف أن يأخذنى إلى رصيف الميناء أو يعود بى إلى عند (حفّار) ، ذلك المنخفض المملوء ماء الذى كان المحطة رقم سبعة . نزل أحد صبية الجدول إليه غطساً قبل ذلك بخمسة أشهر ولم يصعد بعدها . كان هو نفسه يقود الدراجة وجلست أنا على مقعدها الخلفى . كان يقول : « لا يمكنك أن تذهب بهذا الوضع واللباس المبلول إلى البيت » .

قالت صنم : إى ؟

ـ هذا كل ما هناك .

ـ يعنى أوصلك إلى بيتكم ؟

ـ لا .

ـ فأين أخذك إذن ؟

ـ إلى الماخور .

ـ لماذا الماخور ؟

ـ عندما وصلنا قال : « أتعرف هذا المكان ؟ » قلت : « رأيته ، ولكننى لم أدخله » الآن ما زلت أذكر أزقته ، غالبًا ما يأتينى فى النوم مصباح باب أحمر ، قال : « هنا يعالجون العشق بالمال . إذا ما جئت إلى هنا مرة أو اثنتين فى الأسبوع لن تعود هذه الأمور تصير رؤيا لك » كان يعطى مالاً للمراقبين كى يسمحوا لنا بأخذ الدراجة أيضًا . كان يقول : « ترى أن هنا أنواعهن ، من أى نوع تريد؛ قصيرة وطويلة ، ذات خال وبلا خال ، لا تختلف إلا أسعارهن » كان يمازح السيدة [١٠٧] الرئيسة قائلاً أريد أن أُعْرس أخى . وذهبت أخيرًا . لم يأت هو . قال : « أنا أذهب فيما بعد ، ثمة واحدة أعرفها منذ سنوات » ثم عندما ذهب قال : « حسنًا ، صرنا الآن خالصين . نحن كلينا مضطران أن نكون كتومين » .

توقف . لماذا قال هذا ؟ قال : كن يعرفنه ، لكننى أظنه لم يكن قد ذهب منذ مدة .

ـ لهذا إذن لم تأت بعد ، وكلما كنت أراك كنت تصفح بوجهك ؟

ـ لم يكن هذا وحده ، أعطانى مالاً أيضًا ، وضعه فى جيب قميصى ، قال : « قد يصيبك الهوس فجأة » طبيعى أننى لم أرد أن آخذ ، قال : « لا بأس ، أعطيكه قرضًا ، عندما يصير عندك سدده » .

ـ أكتبت « مريم » بهذه المرارة لهذا السبب ؟

ـ لا أدرى .

ثم قال : ربما .

ـ حسنًا ، ربما أراد أن يحطمك ، وليس بعيداً أيضًا أنه ساعدك . وهذا هو الواقع ، لم يعد ثمة أى امرئ يقف ، من أجل معشوق غرق ، على شاطئ النهر ليصير صفصافًا . يذهبون وينسون ، يبرأون .

ـ كلا ، أنت بالنسبة لى ـ كما قلت ـ سمنو تلك ذاتها النائمة وراء تول الناموسية ذاك بتينك الضفيرتين ، والتى يعلو صدرها ويهبط ، كان قميصك أبيض عليه زهور زرقاء . كنت زررت ياقتك واتكأت أنا على جذع شجرة ورحت ـ مع كل شهيق وزفير منك ـ أرفع رأسى وأخفضه .

ـ وأنا ، أية أفكار كنت أفكر .

ـ أية أفكار ؟

ـ لم تعد مهمة الآن . عندما احتضنت زهره أخيراً ، قلت لك ، اطمأن بالى ، وعندما أخذوا سعيداً برئت أنا أيضًا ، ثم جاءت الطفلة الثانية ، وبعد ذلك أيضًا . . حسنًا ، لقد مضى .

قالت بصوت عال ، بالفارسية : جلس المسكين تحت شجرة قيقب .

تمددت ، وسحبت الغطاء فوقها ، وتمدد هو أيضًا . قالت صنم بانو : كنت أظن سعيداً قتلنى ، ولكننى أرى الآن أنك أنت قتلتنى ، مثّلت بى وأعطيت كل قطعة لشخص .

سـحب هو أيضًـا الغطاء على صـدره ثم على عنقـه إلى مـا تحت حنكه ، وقـال : بهـذا النحـو بالذات أيضًـا نوع من أنواع التـحـول إلى صفصاف .

ـ بالنسبة لك ربما ، لأن عندك جذورك ، ولكن أنا هنا . . .

كانت قد أطفـأت المصباح . رأى من وراء زجاج النافـذة بصيص مصبـاح بعيد ، فـقـال : هذه الجذور؛ امـرأة وأطفـال طيبون ، يجـعلون مرور الأيام قابلاً للتحمل . إنني قلق على هؤلاء الذين . . .

لم يكن يذكر ما قـال . أية جذور ؟ كـانت صنم قـالت : قل الحق ، أيعني أنني صرت من الشيخوخة بحيث لم يبق من سمنوك أي أثر فيّ ؟

ـ لا ، لا تتوهمـي ، أنا صرت شيخًا ، أو أنا أصـلاً شيخ ، وجبان ، ولهذا لا أريد أن أبرأ .

قالت صنم : إذن فقد خسرنا كلانا ؟

ـ نعم ، ولكن . .

ـ لكن ماذا ؟

ـ لو أننا كنا سلكنا طريقًا أخرى ما كـان ذلك ليصـيـر فوزًا ، ربما كان علاجًا ، خسارة أخرى .

قالت صنم : طيب ، فلننم ، إذا أردت أيقظني صباحًا كي آتي معك إلى المحطة .

– ممنون .

كان يرى صفحة خدها فى نور مصباح النوم ، كانت قد وضعت خنصر يدها اليسرى بين شفتيها .

قالت صنم : طابت ليلتك .

قال إبراهيم : طابت ليلتك .

آب/ أغسطس ـ أيلول/ سبتمبر ١٩٩١

الهوامش

(١) فى التاريخ الإيرانى ، المحتسب على السنوات الشمسية اعتباراً من سنة الهجرة النبوية .

(٢) الخط التقليدى الفارسى فى الأعمال الفنية ، وهو تركيب ما بين خطى النسخ والتعليق (الديوانى) العربيين .

(٣) حرفياً : المكسور ، وهو الخط المستعمل فى الكتابة الاعتيادية الفارسية ، ويستعمل فى الخط الفنى عند إرادة تشكيل صور زخرفية ، لأنه خط مائل .

(٤) حال يوصل الرجلُ زوجتَه إليها ، عن طريق الإيذاء المستمر ، كى تطلب هى الطلاق منصاعة متنازلة عن حقها فى المهر المؤجل!

(٥) المقصود ميل الـ (زورخانة = النادى الرياضى التقليدى) ، وهو مخروط خشبى يتفاوت حجمه حسب الوزن المطلوب ، يلعب اللاعب باثنين منه فى آن واحد ، يحمل كلا منهما بيد . يستفاد منه فى ألعاب الكمال الجسمانى .

(٦) كناية عن السجن .

(٧) مثل سائر ، يضرب للدلالة على ضرورة توفر المستلزمات ، وخاصة المادية ، لإنجاز عمل ما .

(٨) Punk ، فى الأصل : مومس إذا أريدت بها المرأة ، أو غلام أرعن طائش إذا وصف بها الرجل . تسمية أطلقت فى ثمانينيات القرن الماضى على مجموعات متسكعين ضائعين .

(٩) محافظة تقع فى غرب إيران ، على الحدود مع العراق .

(١٠) آذار/ نيسان ، ١٩٧٦ .

(١١) السيدة . وعندما يرد هذا اللقب بعد الاسم الصغير يوحى بالمحبة والصميمية علاوة على الاحترام .

(١٢) ١٩ آب ، والمقصود يوم الانقلاب الأنجلو- أميركي ضد رئيس الوزراء الدكتور محمد مصدق وإجهاض حركة تأميم نفط إيران التي قادها .

(١٣) فائز أم خاسر ؟

(١٤) كناية عن ضرورة التعلم ، أو التدرب ، على تجاوز المصاعب من دون مساعدة الآخرين .

(١٥) مخفف : إسماعيل .

(١٦) سيجارة فرنسية معروفة .

(١٧) صادق هدايت (١٩٠٣ ـ ١٩٥١) روائي ، يعتبر أبرز أدباء إيران في القرن الماضي ، كتب القصة القصيرة وفي المسرح أيضًا ، يعود إليه الفضل الأكبر في عصرنة الرواية الفارسية ، مع أنه شارك في فضح المجتمع ، وحاول المشاركة في الحياة العامة ، إلا أنه ـ في المحصلة النهائية ـ كان عدميًا ، انتحر في باريس . أشهر رواياته على الإطلاق « البومة العمياء » .

(١٨) ساعدي ، غلام حسين . كاتب قصة ومسرحية ورواية . ولد سنة ١٩٣٥ في تبريز ـ شمال غربي إيران ، وأكمل بها دراسته ، حتى العالية . سجن سنة ١٩٧٤ ، وفي السجن كتب روايته « تتار الضاحكة» . بعد الثورة « الإسلامية » كتب مقالات ودراسات في الأمور الاجتماعية ـ بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه في الطب النفسي ـ ثم كتب مقالات سياسية (انتبه فيما بعد إلى « حدّتها» ، حتى خاف على حياته ، فهاجر إلى فرنسا سنة ١٩٨٢ ، ليتوفى فيها ، ويدفن في مقبرة غربائها : بيرلاشيز .

(١٩) كناية تعني : أأصابك شرره ؟ ألحق بك أذاه ؟

(٢٠) ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ميلادية .

(٢١) ١٩٧٧ ميلادية .

(٢٢) ١٩٦٠ ميلادية .

(٢٣) ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ ميلادية .

(٢٤) في باكستان .

(٢٥) مختصر « سازمان أمنيت وإطلاعات كشور» ، الاسم الرسمي لجهاز الجاسوسية الشاهنشاهي سيئ الصيت .

(٢٦) ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ ميلادية .

(٢٧) المقصود بها هيئة التحقيق ، وكانت تتكون من ضباط إيرانيين ، و« خبراء أميركان » .

(٢٨) ١٩٨٧ ميلادية .

(٢٩) من مدن شمالى إيران ، قامت فيها واحدة من أولى حروب العصابات .

(٣٠) من مدن شمالى إيران أيضاً ، قام فيها تمرد مسلح ، بقيادة اشتراكية يسارية ، ذات يوم .

(٣١) ٢ تشرين الثانى/ نوفمبر ١٩٧٧ .

(٣٢) غطاء رأس مربع ، يطوى قطرياً فيصير مثلثاً يلف به الرأس .

(٣٣) نسبة إلى مدينة (نقده) فى كردستان إيران .

(٣٤) ثكنة عسكرية ، كانت مركزاً للتحقيق السياسى قبل الثورة .

(٣٥) يعنى : الاتحاد السوفيتى السابق .

(٣٦) كيس يخاط من قماش خشن ويستعمل فى الحمام كالليف .

(٣٧) جو الانفتاح الظاهرى الذى ساد إيران بعد زيارة كارتر ، وضغوطه من أجل « انفتاح » سياسى .

(٣٨) شارع رئيسى فى طهران ، صار اسمه بعد الثورة (ولى عصر) .

(٣٩) ٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر .

(٤٠) كريّات لحم مفروم ، تسلق داخل صلصة الطعام ، أو تقلى على حدة .

(٤١) شارع فى شمالى طهران ، حيث حى الأعيان والأغنياء . وسطحه مرتفع بالنسبة لوسط المدينة وجنوبها .

(٤٢) منطقتان فى حيين شمالى طهران .

(٤٣) قطع لحم مشوية .

(٤٤) لحم مفروم مشوى .

(٤٥) قطع لحم دجاج مشوية .

(٤٦) الثلث الأول من تشرين الأول/ أكتوبر .

(٤٧) آخر تشرين الأول/ أكتوبر إلى ما قبل الأسبوع الأخير من تشرين الثانى/ نوفمبر .

(٤٨) ١٩٧٦ .

(٤٩) من ساحات طهران الشهيرة ، تقع جنوبى المدينة : منطقة سكن الفقراء .

(٥٠) رداء كالمعطف ، يلبسه الرعاة شتاء ، يكون من اللبد عادة .

(٥١) البنجر المسلوق .

(٥٢) شارع فى مركز طهران ، تبدل اسمه بعد الثورة إلى كاركر (العامل) .

(٥٣) مدينة فى شمال غرب إيران ، مركز صناعى مهم ، أكثر سكانها تُرك .

(٥٤) من قصص صادق هدايت .

(٥٥) محلة فى طهران .

(٥٦) ٢٤ مايس (أيار)/ مايو .

(٥٧) ما بين ٢٣ أيلول/ سبتمبر و٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر ، شهر افتتاح المدارس ، وبدء السنة الدراسية .

(٥٨) شريط يمتد حول الحوض ، تكون أرضيته أوطأ من أرضية الساحة المحيطة ، تغسل فيه الأرجل كى لا يتم إدخالها إلى الحوض وتوسيخ مائه ، ولأن غسلها هناك أسهل .

(٥٩) من لوازم الاحتفال بالسنة الجديدة عند الإيرانيين أسماك الزينة ، التى يجلبون عدداً منها إلى البيت قبيل العيد ، ومن كان عنده حوض فى بيته يطلقها فى هذا الحوض .

(٦٠) مركز محافظة خراسان ، شمال شرقى إيران .

(٦١) عنى : لن أجيء بنفسى ، لن أجيء حيًا .

(٦٢) شبه طاولة منخفضة يوضع عليها الكتاب ، القرآن خاصة ، ويقرأ ، كى لا يتعب القارئ من حمله ، أو لا يتأثر تجليده بكثرة التداول .

(٦٣) معارك تحرير الشوش ودزفول من العدوان والاحتلال الصدّاميين .

(٦٤) مدينة فى أصفهان - التى هى محافظة إلى الجنوب الشرقى من طهران .

(٦٥) ١٩٨٣/٦/٢٠

(٦٦) شارع فى طهران .

(٦٧) من ميادين طهران ، فى جنوب المدينة .

(٦٨) جعفر ، (؟ ـ ٩٤٠) ولد في بنج ، قرب رودك في سمرقند . شاعر فارسي غنائي ، عاش في بلاط السامانيين . ضاع أكثر شعره . من منظوماته « كليلة ودمنة » ، و« قصة السندباد » .

(٦٩) أبو الحسن علي بن جولوغ ، (؟ ـ ١٠٣٨) ، من أهل سجستان . شاعر إيراني ، تقربه رقة العاطفة في شعره من أبي فراس الحمداني .

(٧٠) سبانخ باللحم .

(٧١) خبز طويل يكاد يكون بشكل أنبوب ، أو هراوة .

(٧٢) إشارة إلى وصف الشعراء ، وخاصة حافظ الشيرازي ، إلى الورد والشمع والفراشة التي تدور حوله حتى تقتل نفسها ، الذي أوشك أن يصير إكليشة في الشعر الفارسي .

(٧٣) من ١٩٢١ إلى ١٩٤١ ميلادية .

(٧٤) من قصص هدايت المعروفة .

(٧٥) صوت الشخير .

(٧٦) مال . . مال .

(٧٧) المقصود : حرب العصابات . إذ من الغابة انطلقت حركة ميرزا كوجك خان التحررية الديمقراطية في أوائل القرن العشرين ، حتى سمي وأنصاره برجال الغابة ، كما انطلقت منها أولى محاولات حركة فدائيي الشعب في أواخر العهد الملكي .

(٧٨) ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ .

(٧٩) هي درجة النجاح العليا .

(٨٠) ١٩٧٦ .

(٨١) ١٩٨٦ .

(٨٢) ١٩٨٢ .

(٨٣) شاعر كلاسيكي فارسي .

(٨٤) حكام غزنه ، بأفغانستان . كانوا ، والمغول ، قد احتلوا إيران زمنًا .

(٨٥) نعل بسيور طويلة .

(٨٦) قام أكثر من فاتح لإيران بتكديس جماجم قتلاه من المقاومين ، أو ضحايا بلا تمييز من سكان المدن المقاومة ، فوق بعضها حتى لتصير تلاً أو منارة!

(٨٧) من مدن شمال إيران .

(٨٨) ٢٤ يو/ أيار .

(٨٩) شتيمة! أو إهانة فى الأقل! ولكنها هنا مجرد انتقاد بمعنى جاهل، « محدث معرفة » .

(٩٠) شمس الدين محمد ، (١٣٢٠ تقريبًا - ١٣٨٩) ولد فى شيراز ، شاعر غنائى ، عفيف فى وصف مشاهد الحب ، بحيث يرى بعض المتأسلمين أن غزله صوفى وليس حقيقيًا . له ديوان يعتبر من أساسيات كل بيت أهله قارئون فى إيران ، ويحترم بحيث يُستخار!

(٩١) أشهر ما خلف مولوى ، وهو منظومته الصوفية . ومولوى هو جلال الدين (الرومى) (١٢٠٧ - ١٢٧٣) ، شاعر وصوفى فارسي كبير ، تنسب له طريقة المولوية الصوفية . ولد فى بلخ (إيران) وتوفى فى قونيه (تركيا) ودفن فيها .

(٩٢) يمايوشيج ، الاسم المستعار لعلى اسفندياري ، أبى الشعر الفارسى الحديث .

(٩٣) شباط/ فبراير - آذار/ مارس .

(٩٤) ١٩٧١ - ١٩٧٢ .

(٩٥) « شادر» يعد من قطعة قماش كبيرة يلف به الفراش .

(٩٦) وحدة وزن تعادل ثلاثة كيلوغرامات .

(٩٧) كتب سير الأولياء ، التى تسمى عادة « تذكرة الصالحين » ، « تذكرة الأولياء » أو الخ . . .

(٩٨) حرفيًا = المسابقة ، وهو اسم الامتحان الذى يجرى لخريجى الدراسة الإعدادية ممن يريدون دخول الجامعات .

(٩٩) اضح أن المقصود الكلية أو المعهد العالى الذى تقبل فيه .

(١٠٠) المقصود ظهور الإمام الغائب ، الحجة المنتظر ، الذى هو عند الشيعة الإمامية الإمام الثانى عشر .

(١٠١) نسبة إلى مدينة فى تركستان ، اشتهرت بجمال نسائها .

(١٠٢) ١٩٧٠ .

(١٠٣) قضاء فى أصفهان .

(١٠٤) الخطوط الجوية الإيرانية .

(١٠٥) كناية عن الخضوع ، أو الاحترام .

(١٠٦) يستعمل تعبير « صعود الأمعاء إلى أعلى » في الفارسية أكثر مما يستعمل التعبير الصريح « التقيؤ » ، ككناية عنه . ولذلك يقول المتكلم هنا : حقًا .

(١٠٧) واضحة المعنى هنا .

المترجم فى سطور

سليم عبد الأمير حمدان

ولد سنة ١٩٤٠ فى مدينة الكاظمية ، شمالى العاصمة العراقية بغداد ، وفيها أتم دراستيه الابتدائية والإعدادية .

أثناء دراسته الجامعية ترجم مادة نقاش نظرية نشرتها مجلة «الثقافة الجديدة» - وهى أرقى مجلة ثقافية فكرية عراقية آنذاك - مما شجعه على ترجمة كتاب «فوضوية أو اشتراكية» ، الذى يعده كثيرون عمل ستالين الفكرى الوحيد ذى القيمة . لم تنشر الترجمة نظراً للموقف العام تجاه ستالين ، ولكنها أهلت المترجم للاشتغال محرراً للأخبار الخارجية فى جريدة «اتحاد الشعب» التى كانت تصدر فى بغداد آنذاك .

درس فى قسم اللغة العربية فى كلية آداب جامعة بغداد ، وتخرج منها سنة ١٩٦١ .

اختار وترجم عدداً من قصص مارك توين ، اختار لها اسم «مذكرات آدم وحواء وقصص أخرى» نشرتها له دار الفارابى فى لبنان نحو منتصف السبعينيات ، وفى الفترة ذاتها عمل محرراً للشؤون الخارجية فى يومية «طريق الشعب» التى ورثت «اتحاد الشعب» .

ترجم روايتى «قصة جاويد» و «آلام سياوش» للكاتب الإيرانى إسماعيل فصيح ، ونشرهما له المجلس الأعلى للثقافة والنشر فى مصر تحت العددين ١٨٠ و ٣٩٥ ، من سلسلة المشروع القومى للترجمة ، ونشرت له «دار المدى» فى دمشق ترجمته لـ «نداء البداءة» لجاك لندن

سنة ٢٠٠٠ ، و «مكان سلوچ الخالى» لمحمود دولت آبادى سنة ٢٠٠٢ ، ثم «كأس من ذهب» . لجون شتاينبك سنة ٢٠٠٣ .

له عدد آخر من الترجمات التى ستصدر عن المجلس ذاته، وعن دار المدى ، وعن وزارة الثقافة السورية التى ستنشر له أيضًا دراسة مكتوبة عن الرواية الفارسية .

إضافة إلى كتابته الدراسات والمقاولات الفكرية والسياسية ، فقد كتب مقدمات لعدد من الكتب أيضًا.

حرر - مدة - مجلتى «المدى» و « النهج» الصادرتين فى دمشق .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بليع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بليع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بليع
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرارجينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادى بلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى.	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى آنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فرديناند دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	چون جريبين	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف اليمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوربيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (جـ١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (جـ٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٢٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٢٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجرئ	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩-	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد علي بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تيودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩- أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥- حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النئة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار البيغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذى حدث فى «حدث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسي	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٥٠ / ٢٠٠٣

المجلس الأعلى للثقافة

كتب كلشيرى دراسات أدبية ، كثير منها فى الشعر ، واشتهر بكتابة القصة القصيرة ، التى نجد فيها - كما وجد أحد أصدقائه الكُتَّاب - أهم جزء فى أعماله الأدبية .

وعمل محرراً لصفحات أدبية فى مجلات ، ومسئولاً عن مجلات أخرى ، كما أصدر فى أواخر حياته مجلة « كارنامه » - صحيفة الأعمال الأدبية - الثقافية .

وهذه ترجمة روايته مرايا الذات معروض أمام القارىء العربى ، كعلامة من علاماته الأدبية .

الغلاف : مروه أحمد